سلسلة نصوص تراثية للباحثس (٢٨)

شاهدون على زمانهم

ابن القيم والذهبي وابن كثير

(وما نقلوه عن أهل زمانهم)

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٢هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

ابن القيم الجوزية

١-"منهم القول لا يحفظ عن غيره منهم فيه له موافقة ولا خلاف صرت إلى اتباع قوله إذا لم أجد كتابا ولا سنة ولا إجماعا ولا شيئا في معناه يحكم له بحكمه أو وجد معه قياس.

قال البيهقي وقال في كتاب اختلافه مع مالك: ما كان الكتاب والسنة موجودين فالعذر على من سمعه مقطوع إلا بإتيانه، فإن لم يكن ذلك صرنا إلى أقاويل الصحابة أو واحد منهم، ثم كان قول الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان إذا صرنا إلى التقليد أحب إلينا، وذلك إذا لم نجد دلالة في الاختلاف تدل على أقرب الاختلاف من الكتاب والسنة فنتبع القول الذي معه الدلالة؛ لأن قول الإمام مشهور بأنه يلزم الناس ومن لزم قوله الناس كان أشهر ممن يفتي الرجل أو النفر وقد يأخذ بفتياه ويدعها، وأكثر المفتين يفتون الخاصة في بيوتهم ومجالسهم ولا يعتني العامة بما قالوا عنايتهم بما قال الإمام، وقد وجدنا الأئمة ينتدبون فيسألون عن العلم من الكتاب والسنة فيما أرادوا أن يقولوا فيه ويقولون فيخبرون بخلاف قولهم، فيقبلون من المخبر، ولا يستنكفون عن أن يرجعوا لتقواهم الله وفضلهم، فإذا لم يوجد عن الأئمة فأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الدين في موضع الأمانة أخذنا بقولهم، وكان اتباعهم أولى بنا من اتباع من بعدهم.

قال الشافعي – رضي الله عنه –: والعلم طبقات، الأولى: الكتاب والسنة، الثانية: الإجماع فيما ليس كتابا ولا سنة، الثالثة: أن يقول صحابي فلا يعلم له مخالف من الصحابة، الرابعة: اختلاف الصحابة، الخامسة: القياس، هذا كله كلامه في الجديد.

قال البيهقي بعد أن ذكر هذا: وفي الرسالة القديمة للشافعي – بعد ذكر الصحابة وتعظيمهم – قال: وهو فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل، وأمر استدرك به علم، وآراؤهم لنا أحمد، وأولى بنا من رأينا، ومن أدركنا ممن ترضى أو حكي لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا أو قول بعضهم إن تفرقوا، وكذا نقول، ولم نخرج من أقوالهم كلهم.

قال: وإذا قال الرجلان منهم في شيء قولين نظرت، فإن كان قول أحدهما أشبه بالكتاب والسنة أخذت به، لأن معه شيئا قويا؛ فإن لم يكن على واحد من القولين دلالة بما وصفت كان قول الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان أرجح عندنا من واحد لو خالفهم غير إمام.

قال البيهقي: وقال في موضع آخر: فإن لم يكن على القول دلالة من كتاب ولا سنة كان قول أبي بكر وعمر وعثمان أحب إلي من قول غيرهم، فإن اختلفوا صرنا إلى القول الذي عليه دلالة، وقلما يخلو اختلافهم من ذلك، وإن اختلفوا بلا دلالة نظرنا إلى الأكثر، فإن تكافئوا نظرنا أحسن أقاويلهم مخرجا عندنا، وإن وجدنا للمفتين في زماننا أو قبله إجماعا في شيء تبعناه، فإذا نزلت نازلة لم نجد فيها واحدة من هذه الأمور فليس إلا إجهاد الرأي، فهذا كلام الشافعي - رحمه الله - ورضي عنه بنصه، ونحن نشهد بالله أنه لم". (١)

٢-"فلا يسعنا أن نفتي بخلاف ما نعتقده فنحكي المذهب الراجح ونرجحه، ونقول: هذا هو الصواب، وهو أولى أن يؤخذ به، وبالله التوفيق.

[لا يجوز للمفتي إلقاء المستفتي في الحيرة]

[لا يجوز للمفتي إلقاء المستفتي في الحيرة] الفائدة السادسة عشرة: لا يجوز للمفتي الترويج وتخيير السائل وإلقاؤه في الإشكال والحيرة، بل عليه أن يبين بيانا مزيلا للإشكال، متضمنا لفصل الخطاب، كافيا في حصول المقصود، لا يحتاج معه إلى غيره، ولا يكون كالمفتي الذي سئل عن مسألة في المواريث فقال: يقسم بين الورثة على فرائض الله عز وجل وكتبه فلان.

وسئل آخر عن صلاة الكسوف فقال: تصلى على حديث عائشة، وإن كان هذا أعلم من الأول.

وسئل آخر عن مسألة من الزكاة فقال: أما أهل الإيثار فيخرجون المال كله، وأما غيرهم فيخرج القدر الواجب عليه، أو كما قال.

وسئل آخر عن مسألة فقال: فيها قولان، ولم يزد.

قال أبو محمد بن حزم: وكان عندنا مفت إذا سئل عن مسألة لا يفتي فيها حتى يتقدمه من يكتب، فيكتب هو: جوابي فيها مثل جواب الشيخ، فقدر أن مفتيين اختلفا في جواب، فكتب تحت جوابهما: جوابي مثل جواب الشيخين، فقيل له: إنهما قد تناقضا، فقال: وأنا أتناقض كما تناقضا، وكان في زماننا رجل مشار إليه بالفتوى، وهو مقدم في مذهبه، وكان نائب السلطان يرسل إليه في الفتاوى فيكتب: يجوز كذا، أو يصح كذا، أو ينعقد بشرطه، فأرسل إليه يقول له: تأتينا فتاوى منك فيها يجوز أو ينعقد أو

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ٩٣/٤

يصح بشرطه، ونحن لا نعلم شرطه، فإما أن تبين شرطه، وإما أن لا تكتب ذلك.

وسمعت شيخنا يقول: كل أحد يحسن أن يفتي بهذا الشرط، فإن أي مسألة وردت عليه يكتب فيها يجوز بشرطه أو يصح بشرطه أو يقبل بشرطه ونحو ذلك، وهذا ليس بعلم، ولا يفيد فائدة أصلا سوى حيرة السائل وتبلده، وكذلك قول بعضهم في فتاويه: يرجع في ذلك إلى رأي الحاكم، فيا سبحان الله، والله لو كان الحاكم شريحا وأشباهه لما كان مرد أحكام الله ورسوله إلى رأيه فضلا عن حكام زماننا فالله المستعان.

وسئل بعضهم عن مسألة فقال: فيها خلاف، فقيل له: كيف يعمل المفتي؟ فقال: يختار له القاضي أحد المذهبين.

قال أبو عمرو بن الصلاح: كنت عند أبي السعادات بن الأثير الجزري، فحكى لي عن بعض المفتين أنه سئل عن مسألة فقال: فيها قولان، فأخذ يزري عليه، وقال: هذا حيد عن الفتوى، ولم يخلص السائل من عمايته، ولم يأت بالمطلوب قلت: وهذا فيه تفصيل؛ فإن المفتي المتمكن من العلم". (١)

٣-"وأذكر لك من هذا مثالا وقع في زماننا، وهو أن السلطان أمر أن يلزم أهل الذمة بتغيير عمائهم، وأن تكون خلاف ألوان عمائم المسلمين، فقامت لذلك قيامتهم، وعظم عليهم، وكان في ذلك من المصالح، وإعزاز الإسلام وإذلال الكفرة ما قرت به عيون المسلمين، فألقى الشيطان على ألسنة أوليائه وإخوانه أن صوروا فتيا يتوصلون بها إلى إزالة هذا الغبار، وهي: ما تقول السادة العلماء في قوم من أهل الذمة ألزموا بلباس غير لباسهم المعتاد وزي غير زيهم المألوف فحصل لهم بذلك ضرر عظيم في الطرقات والفلوات وتجرأ عليهم بسببه السفهاء والرعاة وآذوهم غاية الأذى، فطمع بذلك في إهانتهم، والتعدي عليهم، فهل يسوغ للإمام ردهم إلى زيهم الأول، وإعادتهم إلى ما كانوا عليه مع حصول التميز بعلامة يعرفون بها؟ وهل في ذلك مخالفة للشرع أم لا؟ فأجابهم من منع التوفيق وصد عن الطريق بجواز ذلك، وأن للإمام إعادتهم إلى ما كانوا عليه.

قال شيخنا: فجاءتني الفتوى، فقلت: لا تجوز إعادتهم، ويجب إبقاؤهم على الزي الذي يتميزون به عن المسلمين، فذهبوا ثم غيروا الفتوى، ثم جاءوا بها في قالب آخر، فقلت: لا تجوز إعادتهم، فذهبوا ثم أتوا بها في قالب آخر، فقلت: هي المسألة المعينة، وإن خرجت في عدة قوالب، ثم ذهب إلى السلطان وتكلم عنده بكلام عجب منه الحاضرون، فأطبق القوم على إبقائهم، ولله الحمد.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ٤/١٣٦

ونظائر هذه الحادثة أكثر من أن تحصى؛ فقد ألقى الشيطان على ألسنة أوليائه أن صوروا فتوى فيما يحدث ليلة النصف في الجامع، وأخرجوها في قالب حسن؛ حتى استخفوا عقل بعض المفتين، فأفتاهم بجوازه وسبحان الله، كم توصل بهذه الطرق إلى إبطال حق وإثبات باطل، وأكثر الناس إنما هم أهل ظواهر في الكلام واللباس والأفعال، وأهل النقد منهم الذين يعبرون من الظاهر إلى حقيقته وباطنه، لا يبلغون عشر معشار غيرهم ولا قريبا من ذلك، فالله المستعان.

[على المفتي ألا يفصل إلا حيث يجب التفصيل]

[على المفتي ألا يفصل إلا حيث يجب التفصيل] الفائدة التاسعة عشرة:

إذا سئل عن مسألة من الفرائض لم يجب عليه أن يذكر موانع الإرث فيقول: بشرط ألا يكون كافرا ولا رقيقا ولا قاتلا، وإذا سئل عن فريضة فيها أخ وجب عليه أن يقول: إن كان لأب فله كذا، وإن كان لأم فله كذا، وكذلك إذا سئل عن الأعمام وبنيهم وبني الإخوة وعن الجد والجدة فلا بد من التفصيل.

والفرق بين الموضعين أن". (١)

٤-"[دلالة العالم للمستفتي على غيره]

] الفائدة الخامسة والعشرون: في دلالة العالم للمستفتي على غيره، وهو موضع خطر جدا، فلينظر الرجل ما يحدث من ذلك فإنه متسبب بدلالته إما إلى الكذب على الله ورسوله في أحكامه أو القول عليه بلا علم، فهو معين على الإثم والعدوان وإما معين على البر والتقوى، فلينظر الإنسان إلى من يدل عليه، وليتق الله ربه فكان شيخنا - قدس الله روحه - شديد التجنب لذلك، ودللت مرة بحضرته على مفت أو مذهب، فانتهرني وقال: ما لك وله؟ دعه، ففهمت من كلامه أنك لتبوء بما عساه يحصل له من الإثم ولمن أفتاه، ثم رأيت هذه المسألة بعينها منصوصة عن الإمام أحمد.

قال أبو داود في مسائله: قلت لأحمد: الرجل يسأل عن المسألة فأدله على إنسان يسأله؟ فقال: إذا كان - يعني الذي أرشدته إليه - متبعا ويفتي بالسنة، فقيل لأحمد: إنه يريد الاتباع وليس كل قوله يصيب، فقال أحمد: ومن يصيب في كل شيء؟ قلت له: فرأي مالك، فقال: لا تتقلد في مثل هذا بشيء، قلت: وأحمد كان يدل على أهل المدينة ويدل على الشافعي ويدل على إسحاق ولا خلاف عنه في استفتاء

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١٤٨/٤

هؤلاء، ولا خلاف عنه في أنه لا يستفتي أهل الرأي المخالفون لسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وبالله التوفيق، ولا سيما كثير من المنتسبين إلى الفتوى في هذا الزمان وغيره، وقد رأى رجل ربيعة بن أبي عبد الرحمن يبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقال استفتى من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم، قال: ولبعض من يفتي ههنا أحق بالسجن من السراق.

قال بعض العلماء: فكيف لو رأى ربيعة زماننا، وإقدام من لا علم عنده على الفتيا، وتوثبه عليها، ومد با ع التكلف إليها، وتسلقه بالجهل والجرأة عليها مع قلة الخبرة وسوء السيرة وشؤم السريرة، وهو من بين أهل العلم منكر أو غريب، فليس له في معرفة الكتاب والسنة وآثار السلف نصيب، ولا يبدي جوابا بإحسان، وإن ساعد القدر فتواه كذلك يقول فلان بن فلان.

يمدون للإفتاء باعا قصيرة وأكثرهم عند الفتاوى يكذلك وكثير منهم نصيبهم مثل ما حكاه أبو محمد بن حزم، قال: كان عندنا مفت قليل البضاعة، فكان لا يفتي حتى يتقدمه من يكتب الجواب فيكتب تحته: جوابي مثل جواب الشيخ، فقدر أن اختلف مفتيان في جواب، فكتب تحتهما: جوابي مثل جواب الشيخين، فقيل له: إنهما قد تناقضا، فقال: وأنا أيضا تناقضت كما تناقضا، وقد أقام الله – سبحانه – لكل". (١)

٥-"من القول واختصار في الجواب فاستخرت الله سبحانه وتعالى وأجبت عنه بجواب بعض الأئمة الفقهاء، وهو أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج رحمه الله تعالى وقد سئل عن مثل هذا السؤال فقال: أقول وبالله التوفيق، حرام على العقول أن تمثل الله سبحانه وتعالى، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى الضمائر أن تعمق، وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الأفكار أن تحيط وعلى الألباب أن تصف إلا ما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وقد صح وتقرر واتضح عند جميع أهل الديانة والسنة والجماعة من السلف الماضين والصحابة والتابعين من الأئمة المهتدين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا: أن جميع الآي الواردة عن الله تعالى في ذاته وصفاته والأخبار الصادقة (الصادرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الله وفي صفاته) التي صححها أهل النقل وقبلها النقاد الأثبات. يجب على المرء المسلم المؤمن الموقن الإيمان بكل واحد منه، كما ورد وتسليم أمره إلى الله سبحانه وتعالى كما أمر وذلك مثل قوله تعالى: {هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة}

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ٤/١٥٩

[البقرة: ٢١٠] وقوله تعالى: {وجاء ربك والملك صفا صفا} [الفجر: ٢٢] وقوله تعالى: {الرحمن على العرش استوى} [طه: ٥] وقوله تعالى {والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه} [الزمر: ٦٧] ونظائرها مما نطق به القرآن كالفوقية والنفس واليدين والسمع والبصر والكلام والعين والنظر والإرادة والرضى والغضب والمحبة والكراهة والعناية والقرب والبعد والسخط والاستحياء والدنو كقاب قوسين أو أدنى وصعود الكلام الطيب " إليه " وعروج الملائكة والروح إليه ونزول القرآن منه ونداءه الأنبياء عليهم الصلاة السلام وقوله للملائكة وقبضه وبسطه وعلمه ووحدانيته وقدرته ومشيئته وصمديته وفردانيته وأوليته وآخريته وظاهريته وباطنيته وحياته وبقائه وأزليته وأبديته ونوره وتجليه والوجه وخلق آدم عليه السلام بيده، ونحو قوله تعالى: {أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض} [الملك: ١٦] وقوله تعالى:". (١)

٦-"نصيب المثل، فإن الواجب في صحيحها ليس هو أجرة مسماة فتجب في فاسدها أجرة المثل، بل هو جزء شائع من الربح، فيجب في الفاسدة نظيره.

قال شيخ الإسلام وغيره من الفقهاء: والمزارعة أحل من المؤاجرة، وأقرب إلى العدل، فإنهما يشتركان في المغرم والمغنم، بخلاف المؤاجرة، فإن صاحب الأرض تسلم له الأجرة، والمستأجر قد يحصل له زرع، وقد لا يحصل.

والعلماء مختلفون في جواز هذا وهذا، والصحيح: جوازهما، سواء كانت الأرض إقطاعا أم غيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وما علمت أحدا من علماء الإسلام - الأئمة الأربعة ولا غيرهم - قال: إجارة الإقطاع لا تجوز، وما زال المسلمون يؤجرون إقطاعاتهم قرنا بعد قرن، من زمن الصحابة إلى زمننا هذا، حتى أحدث بعض أهل زماننا فابتدع القول ببطلان إجارة الإقطاع.

وشبهته: أن المقطع لا يملك المنفعة، فيصير كالمستعير، لا يجوز أن يكري الأرض المعارة، وهذا القياس خطأ من وجهين: أحدهما: أن المستعير لم تكن المنفعة حقا له، وإنما تبرع المعير بها، وأما أراضي المسلمين: فمنفعتها حق للمسلمين، وولي الأمر قاسم بينهم حقوقهم، ليس متبرعا لهم كالمعير. والمقطع مستوف المنفعة بحكم الاستحقاق، كما يستوفي الموقوف عليه منافع الوقف وأولى.

وإذا جاز للموقوف عليه أن يؤجر الوقف - وإن أمكن أن يموت فتنفسخ الإجارة بموته على الصحيح -

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ٢/١٧١

فلأن يجوز للمقطع أن يؤجر الإقطاع وإن انفسخت الإجارة بموته أولى.
الثاني: أن المعير لو أذن في الإجارة جازت الإجارة، وولي الأمر يأذن للمقطع في الإجارة، فإنه إنما أقطعهم لينتفعوا بها: إما بالمزارعة وإما بالإجارة ومن منع الانتفاع بها بالإجارة والمزارعة فقد أفسد على المسلمين دينهم ودنياهم، وألزم الجند والأمراء أن يكونوا هم الفلاحين، وفي ذلك من الفساد ما فيه.
وأيضا: فإن الإقطاع قد يكون دورا وحوانيت، لا ينتفع بها المقطع إلا بالإجارة، فإذا لم تصح إجارة الإقطاع تعطلت منافع ذلك بالكلية، وكون الإقطاع معرضا لرجوع الإمام فيه مثل كون الموهوب للولد معرضا لرجوع الوالد فيه، وكون الصداق قبل الدخول معرضا لرجوع نصفه أو كله إلى الزوج، وذلك لا يمنع صحة الإجارة بالاتفاق، فليس مع المبطل نص ولا قياس، ولا مصلحة ولا نظير.
وإذا أبطلوا المزارعة والإجارة لم يبق بيد الجند إلا أن يستأجروا من أموالهم من يزرع الأرض ويقوم عليها، وهذا لا يكاد يفعله إلا قليل من الناس، لأنه قد يخسر ماله، ولا يحصل له شيء، بخلاف المشاركة، فإنهما يشتركان في المغنم والمغرم، فهي أقرب إلى العدل.". (١)

٧-"١٤٤- وقد جاهر بالكذب بعض من يدعي في زماننا العلم وهو يتشبع بما لم يعط إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم متى تقوم الساعة قيل له فقد قال في حديث جبريل: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل" فحرفه عن موضعه وقال معناه: "أنا وأنت نعلمها".
١٤٥- وهذا من أعظم الجهل وأقبح التحريف والنبي صلى الله عليه وسلم أعلم بالله من أن يقول لمن كان يظنه أعرابيا أنا وأنت نعلم الساعة إلا أن يقول هذا الجاهل إنه كان يعرف أنه جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الصادق في قوله: "والذي نفسي بيده ما جاءني في صورة إلا عرفته غير هذه الصورة".
١٤٦- وفي اللفظ الآخر: "ما شبه علي غير هذه المرة".". (٢)

٨-"إلى امرأة ذات جمال تطوف وإذا رجل يتلوها كلما رفعت رجلها وضع رجله موضع رجلها فجعل ينظر إلى ذلك من أمرهما فلما فرغت المرأة من طوافها تبعها الرجل هنية ثم رجع فلما رآه عمر وثب إليه وقال لتخبرني عن أمرك قال نعم هذه المرأة التي رأيت ابنة عمي وأنا لها عاشق وليس لي مال

---

(١) الطرق الحكمية ص/٢١٢

(٢) المنار المنيف في الصحيح والضعيف = نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول ص/٨١

فخطبتها إلى عمي فرغب عني وسألني المهر مالا أقدر عليه والذي رأيت هو حظي منها ومالي من الدنيا أمنية غيرها وإنما ألقاها عند الطواف وحظي ما رأيت من فعلي فقال له عمر ومن عمك قال فلان بن فلان قال انطلق معي إليه فانطلقا فاستخرجه عمر فخرج مبادرا فقال ما حاجتك يا أبا الخطاب قال تزوج ابنتك فلانة من ابن أخيك فلان وهذا المهر الذي تسأله يساق إليك من مالي قال فإني قد فعلت قال عمر إني أحب أن لا أبرح حتى يجتمعا قال وذلك ايضا قال فلم يبرح حتى جمعهما جميعا وأتى منزله فاستلقى على فراشه فجعل النوم لا يأخذه وجعل جوفه يجيش بالشعر فأنكرت جاريته ذلك فجعلت تسأله عن أمره وتقول ويحك ما الذي قد دهاك فلما أكثرت عليه جلس وأنشد

تقول وليدتي لما رأتني ... طربت وكنت قد أقصرت حينا

أراك اليوم قد أحدثت شوقا ... وهاج لك البكا داء دفينا

بربك هل أتاك لها رسول ... فشاقك أم رأيت لها خدينا

فقلت شكا إلي أخ محب ... كبعض زماننا إذ تعلمينا

فعد علي ما يلقى بهند ... فوافق بعض ما كنا لقينا". (١)

٩-"أن يأتى السفهاء من النساء والأولاد وغيرهم ومدحه النبي بقوله: "نعم المال الصالح مع المرء الصالح" وقال سعيد بن المسيب لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله يكف به وجهه عن الناس ويصل به رحمه ويعطى حقه

وقال أبو اسحاق السبيعى كانوا يرون السعة عونا على الدين وقال محمد ابن المنكدر نعم العون على التقى الغنى وقال سفيان الثورى المال فى زماننا هذا سلاح المؤمن وقال يوسف بن سباط ما كان المال فى زمان منذ خلقت الدنيا أنفع منه فى هذا الزمان والخير كالخيل لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر قالوا وقد جعل الله سبحانه المال سببا لحفظ البدن وحفظه سبب لحفظ النفس التى هى محل معرفة الله والايمان به وتصديق رسله ومحبته والانابة اليه فهو سبب عمارة الدنيا والآخرة وانما يذم منه ما استخرج من غير وجهه وصرف فى غير حقه واستعبد صاحبه وملك قلبه وشغله عن الله والدار الآخرة فيذم منه ما يتوسل به صاحبه الى المقاصد الفاسدة أو شغله عن المقاصد المحمودة فالذم للجاعل لا للمجعول

قال النبى: "تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم " فذم عبدهما دونهما

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص/٣٨٥

قال الامام أحمد: حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن يزيد بن ميسرة قال كان رجل ممن مضى جمع مالا فأوعى ثم أقبل على نفسه وهو فى أهله فقال أنعم سنين فأتاه ملك الموت فقرع الباب فى صورة مسكين فخرجوا اليه فقال ادعو لى صاحب الدار فقالوا يخرج سيدنا الى مثلك ثم مكث قليلا ثم عاد فقرع الدار وصنع مثل ذلك وقال أخبروه أنى ملك الموت فلما سمع سيدهم قعد فزعا وقال لينوا له الكلام قالوا ما تريد غير سيدنا بارك الله فيك قال لا فدخل عليه فقال قم فأوص ما كنت". (١)

١٠-"قال إن آخر وطأة الله لبوج، قال سفيان وكان سعد بن جبير يقول: قال أبو هريرة: تسألوني وفيكم عمرو بن أوس.

وفي الباب عن الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير ويعلى بن مرة.

فهذه عشرة أنواع من النزول والمجيء والإتيان ونظائرها، تضمنها كلام أعلم الخلق بالله وأقدرهم على اللفظ المطابق لما قصده من وصف الرب تعالى وأنصحهم للأمة والمجاز وإن أمكن في فرد من أفراد هذه الأنواع أو أكثر فإنه من المحال عادة أن يطرد في جميعها اطرادا واحدا، بحيث يكون الجميع من أوله إلى آخره مجازا.

وقال أبو العباس بن شريح، وقد صح عند جميع أهل الديانة والسنة إلى زماننا أن جميع الآثار والأخبار الصادقة عن رسول الله نص في الصفات يجب على المسلم الإيمان بها، وأن السؤال عن معانيها بدعة، والجواب كفر وذندقة، مثل قوله: {الرحمن على العرش استوى} [طه: ٥] {وجاء ربك والملك صفا صفا} [الفجر: ٢٢] ونظائرها مما نطق به القرآن، كالفوقية والنفس واليدين، والسمع والبصر، وصعود الكلام الطيب إليه، والضحك والتعجب، والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا.

إلى أن قال: واعتقادنا في الآي المتشابهة في القرآن نقلها ولا نردها، ولا نتأولها بتأويل المخالفين، ولا نحملها على تشبيه المشبهين، ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية ونسلم الخبر لظاهر تنزيلها.

قال إمام عصره محمد بن جرير في كتاب التبيين في معالم الدين: القول فيما أدرك علمه من الصفات خبرا، وذلك مثل إخباره سبحانه أنه سميع بصير، وأن له يدين، وأن له وجها، وأن له قدما، وأنه يضحك، وأنه يهبط إلى سماء الدنيا، وذكر أولها.

وقال إسحاق بن منصور: قلت لأحمد بن حنبل وإسحاق: «ينزل ربنا كل ليلة» . . . الحديث، أليس

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص/٢٥٩

يقول لهذا الحديث، قال أحمد وإسحاق: صحيح، وزاد إسحاق: لا يدعه إلا مبتدع، وقال الخلال: أخبرني أحمد بن الحسين بن حسان قال: قيل لأبي عبد الله: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة؟ قال: نعم، قيل له في شعبان كما جاء في الأثر؟ قال: نعم.

وقال حنبل: قيل لأبي عبد الله: ينزل الله إلى سماء الدنيا؟ قال: نعم، قلت: نزوله بعلمه أم بماذا؟ فقال اسكت عن هذا، وغضب غضبا شديدا.". (١)

١١-"وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرسل الطلائع والجواسيس في بلاد الكفر ويقتصر على الواحد في ذلك ويقبل قوله إذا رجع، وربما أقدم عليهم بالقتل والنهب بقوله وحده، ومن تدبر قول النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته لم يخف عليه ما ذكرناه، وما يرد هذا إلا مكابر ومعاند.

ولو أنك وضعت في قلبك أنك سمعت الصديق والفاروق رضي الله عنهما أو غيرهما من وجوه الصحابة يروي لك حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم في أمر من الاعتقاد من جواز الرؤية على الله وإثبات القدر أو غير ذلك لوجدت قلبك مطمئنا إلى قوله لا يداخلك شك في صدقه وثبوت قوله، وفي زماننا ترى الرجل يسمع من أستاذه الذي يختلف إليه ويعتقد فيه التقدمة والصدق إنه سمع أستاذه يخبر عن شيء من عقيدته التي يريد أن يلقى الله بها، فيحصل للسامع علم بمذهب من نقل عنه أستاذه ذلك بحيث لا يختلجه شبهة ولا يعتريه شك، وكذلك كثير من الأخبار التي يقتضيها العلم توجد بين الناس فيحصل لهم العلم بذلك الخبر ومن رجع إلى نفسه علم بذلك.

قال: واعلم أن الخبر وإن كان يحتمل الصدق والكذب والظن فللتجوز فيه مدخل، ولكن هذا الذي قلناه لا يناله أحد إلا بعد أن يكون معظم أوقاته وأيامه مشتغلا بالحديث والبحث عن سيرة النقلة والرواة، ليقف على رسوخهم في هذا العلم وكبير معرفتهم به وصدق ورعهم في أقوالهم وأفعالهم، وشدة حذرهم من الطغيان والزلل، وما بذلوه من شدة العناية في تمهيد هذا الأمر، والبحث عن أحوال الرواة والوقوف على صحيح الأخبار وسقيمها، وكانوا بحيث لو قتلوا لم يسامحوا أحدا في كلمة واحدة يتقولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا فعلوا هم بأنفسهم ذلك، وقد نقلوا هذا الدين إلينا كما نقل إليهم وأدوا كما أدي إليهم، وكانوا في صدق العناية والاهتمام بهذا الشأن ما يجل عن الوصف ويقصر دونه الذكر، وإذا وقف المرء على هذا من شأنهم وعرف حالهم وخبر صدقهم وورعهم وأمانتهم، ظهر له العلم فيما نقلوه

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ص/٤٦٧

ورووه.

قال: والذي يزيد ما قلنا إيضاحا أن النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الفرقة الناجية قال: " «ما أنا عليه وأصحابي» " فلا بد من تعرف ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وليس طريق معرفته إلا النقل، فيجب الرجوع إلى ذلك، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " «لا". (١)

١٢-"الدرداء وسلمان والمقداد وأشباههم من الصحابة رضي الله عنهم ما قلت له زاهد؛ لأن الزهد لا يكون إلا في الحلال المحض. والحلال المحض لا يوجد في زماننا هذا. وأما الحرام فإن ارتكبته عذبك الله عز وجل.

ثم اختلف هؤلاء في متعلق الزهد.

فقالت طائفة: الزهد إنما هو في الحلال؛ لأن ترك الحرام فريضة.

وقالت فرقة: بل الزهد لا يكون إلا في الحرام. وأما الحلال فنعمة من الله تعالى على عبده. والله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده. فشكره على نعمه، والاستعانة بها على طاعته، واتخاذها طريقا إلى جنته أفضل من الزهد فيها، والتخلي عنها، ومجانبة أسبابها.

والتحقيق أنها إن شغلته عن الله. فالزهد فيها أفضل. وإن لم تشغله عن الله، بل كان شاكرا لله فيها، فحاله أفضل. والزهد فيها تجريد القلب عن التعلق بها، والطمأنينة إليها. والله أعلم.

[فصل الزهد بالنسبة للعامة وللمريد]

فصل

قال صاحب " المنازل ":

الزهد هو إسقاط الرغبة عن الشيء بالكلية.

يريد بالشيء المزهود فيه ما سوى الله. والإسقاط عنه إزالته عن القلب وإسقاط تعلق الرغبة به.

وقوله: بالكلية؛ أي بحيث لا يلتفت إليه، ولا يتشوق إليه.

قال: وهو للعامة قربة. وللمريد ضرورة. وللخاصة خشية.

يعني أن العامة تتقرب به إلى الله. والقربة ما يتقرب به المتقرب إلى محبوبه. وهو ضرورة للمريد؛ لأنه لا

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ص/٥٨٨

يحصل له التخلي بما هو بصدده، إلا بإسقاط الرغبة فيما سوى مطلوبه. فهو مضطر إلى الزهد، كضرورته إلى الطعام والشراب. إذ التعلق". (١)

١٣-"الرصد الممتحن المأموني في البروج درجات ومن الرصد الحاكمي دقائق وسلك في الأحكام طرقا غير الطرق المعهودة منه اليوم وزعم أن عليها المعول وأن طرق من تقدمه ليست بشيء ولو حدث في هذا العصر من يشبه من تقدمه لرأينا اختلافا آخر ولكن هذه الصناعة قد ماتت ولم يبق بأيدي المنتسبين إليها إلا تقليد هؤلاء الضلال فيما فهموه من كلامهم الباطل وما لم يفهموه منه فقد يظنون أنه صحيح ولكن إفهامهم نبت عنه وهذا شأن جميع أهل الضلال مع رؤسائهم ومتبوعيهم فجهال النصارى إذا ناظرهم الموحد في تثليثهم وتناقضه وتكاذبه قالوا الجواب على القسيس والقسيس يقول الجواب على المطران والمطران يحيل الجواب على البترك والبترك على الأسقف والأسقف على الباب والباب على الثلاثمائة والثمانية عشر أصحاب المجمع الذي اجتمعوا في عهد قسطنطين ووضعوا للنصارى هذا التثليث والشرك المناقض للعقول والأديان ولعلهم عند الله أحسن حالا من أكثر القائلين بأحكام النجوم الكافرين برب العالمين وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

فصل ورأيت لبعض فضلائهم وهو أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى رسالة

بليغة في الرد عليهم وإبداء تناقضهم كتبها لما بصره الله رشده واراه بطلان ما عليه هؤلاء الضلال الجهال كتبها نصيحة لبعض إخوانه فأحببت أن أوردها بلفظها وان تضمنت بعض الطول والتكرار وأتعقب بعض كلامه بتقرير ما يحتاج إلى تقرير وسؤال يورد عليه ويطعن به على كلامه ثم بالجواب عنه ليكون قوة للمسترشد وبيانا للمتحير وتبصرة للمهتدي ونصيحة لأخواني المسلمين وهذا أولها

بسم الله الرحمن الرحيم عصمك الله من قبول المحالات واعتقاد ما لم تقم عليه الدلالات وضاعف لك الحسنات وكفاك المهمات بمنه ورحمته كنت أدام الله توفيقك وتسديدك ذكرت لي اهتمامك بما قد لهج به وجوه أهل زماننا من النظر في الأحكام النجوم وتصديق كل ما يأتي من أدعى أنه عارف بها من علم الغيب الذي تفرد الله سبحانه وتعالى به ولم يجعله لأحد من الأنبياء والمرسلين ولا ملائكته المقربين ولا عباده الصالحين من معرفة طويل الأعمار وقصيرها وحميد العواقب وذميمها وسائر ما يتجدد ويحدث ويتخوف ويتمنى وسألنى أن اعمل كتابا أذكر فيه بعض ما وقع من اختلافهم في أصول الأحكام الدالة

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١٧/٢

على وهمهم قبح اعتقادهم وما يستدل به من طريق النظر والقياس على ضعف مذهبهم وألخص ذلك واختصره واقربه بحسب الوسع والطاقة فوعدتك بذلك وقد ضمنته كتابي هذا والله أسأل". (١)

١٤-"معرفة بطبائعها قد أخذها عن الأخبار المتواترة التي تقدمته وأن لم يعلم طبائعها في نفس جواهرها لكن يعلم قواها التي تفعل بها كالعلم بقوة الشمس أنها تسخن وكالعلم بقوة القمر أنها ترطب وكذلك يعلم أمر قوى سائر الكواكب وكان قويا على معرفة أمثال سائر هذه الأشياء لا على المذهب الطبيعي فقط لكن يمكنه أيضا أن يعلم بجودة الحدس خواص الحال التي تكون من امتزاج جميع ذلك
قال الشارح وبطليموس يرى أن علم الأحكام إنما يلحق على جهة الحدس لا على جهة اليقين قلت وكذلك صرح أرسطاطا ليس في أول كتابه السماع الطبيعي أنه لا سبيل إلى اليقين بمعرفة تأثير الكواكب فقال لما كانت حال العلم واليقين في جميع السبل التي لها مباديء أو أسباب أو استقصا آت إنما يلزم من قبل المعرفة بهذه فإذا لم تعرف الكواكب على أي وجه تفعل هذه الأفاعيل أعني بذاتها أو بطريق العرض ولم تعرف ما هيتها وذواتها لم تكن معرفتنا بالشيء أنه يفعل على جهة اليقين
وهذا ثابت بن قرة وهو هو عندهم يقول في كتاب ترتيب العلم وأما علم القضاء من النجوم فقد اختلف فيه أهله اختلافا شديدا وخرج فيه قوم إلى ادعاء مالا يصح ولا يصدق بما لا اتصال له بالأمور الطبيعية حتى أدعوا في ذلك ما هو من علم الغيب ومع هذا فلم يوجد منه إلى زماننا هذا قريب من التمام كما وجد غيره هذا لفظه مع حسن ظنه به وعدله في العلوم وهذا أبو نصر الفارابي يقول واعلم أنك لو قلبت أوضاع المنجمين فجعلت السعد نحسا والنحس سعدا والحار باردا والبارد حارا والذكر أنثى والأنثى ذكرا ثم حكمت لكانت أحكامك من جنس أحكامهم تصيب تارة وتخطيء تارة
وهذا أبو على بن سينا قد أتى في آخر كتابه الشفاء في رد هذا العلم وإبطاله بما هو موجود فيه وقرأت بخط رزق الله المنجم وكان من زعمائهم في كتاب المقايسات لأبي حيان التوحيدي مناظرة دارت بين جماعة من فضلائهم جمع جمعهم بعض المجالس فذكرتها مخلصة ممالا يتعلق بها بل ذكرت مقاصدها قال أبو حيان هذه مقايسة دارت في مجلس أبي سليمان محمد بن ظاهر بن بهرام السجستاني وعنده أبو زكريا الصيمري والبوشنجاني أبو الفتح وأبو محمد العروضي وأبو محمد المقدسى والقوطسي وغلام زحل وكل واحد من هؤلاء إمام في شأنه فرد في صناعته فقيل في المجلس لم خلا علم النجوم من الفائدة والثمرة وليس علم من

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ١٤٨/٢

العلوم كذلك فإن الطب ليس على هذه الحال ثم ذكرت فائدته والمنفعة به وكذلك الحساب والنحو والهندسة والصنائع ذكرت وذكرت منافعها وثمراتها ثم قال السائل وليس علم النجوم كذلك فإن صاحبه إذا استقصى وبلغ الحد الأقصى في معرفة الكواكب وتحصيل سيرها واقترانها ورجوعها ومقابلتها وتربيعها وتثليثها وتسديسها وضروب مزاجها في مواضعها من بروجها وأشكالها ومطالعها ومعاطفها ومغاربها ومشارقها ومذاهبها حتى إذا". (١)

١٥-"الإسلام من الرئاسة والمال والجاه بينهم، وقد شهدوا له كلهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رئيسهم وخيرهم وسيدهم، فعلم أنهم إن علموا بإسلامه أخرجوه من تلك الرئاسة والسيادة، فأحب أن يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: أدخلني بعض بيوتك وسلهم عني، ففعل، وسألهم عنه فأخبروه أنه سيدهم ورئيسهم وعالمهم، فخرج عليهم وذكرهم وأوقفهم على أنهم يعلمون أنه رسول الله، وقابلهم بذلك، فسبوه وقدحوا فيه وأنكروا رئاسته وسيادته وعلمه.
فلو كان عبد الله بن سلام ممن يؤثر عرض الدنيا والرئاسة لفعل كما فعله إخوان القردة وأمة الغضب والقوم البهت، وهكذا شأن من أسلم من يهود خيبر.
وأما المتخلفون فكثير منهم صرح بغرضه لخاصته وعامته، وقال: إن هؤلاء قد عظمونا ورأسونا وملكونا فلو اتبعناه لنزعوا ذلك كله منا، وهذا قد رأيناه نحن في زماننا وشاهدناه عيانا. ولقد ناظرنا بعض علماء النصارى معظم يوم، فلما تبين له الحق بهت، فقلت له وأنا وهو خاليان: ما يمنعك الآن من اتباع الحق؟ فقال لي: إذا قدمت على هؤلاء الحمير - هكذا لفظه - فرشوا الشقاق تحت حوافر دابتي، وحكموني في أموالهم ونسائهم، ولم يعصوني فيما آمرهم به، وأنا لا أعرف صنعة، ولا أحفظ قرآنا، ولا نحوا ولا فقها، فلو أسلمت لدرت في الأسواق أتكفف الناس، فمن الذي يطيب نفسا بهذا؟! فقلت: هذا لا يكون، وكيف تظن بالله أنك إذا أسلمت وآثرت رضاه على هواك يخزيك ويحوجك؟! ولو فرضنا أن ذلك أصابك فما ظفرت به من الحق والنجاة من النار ومن سخط الله وغضبه، فيه أتم العوض عما فاتك، فقال: حتى يأذن الله، فقلت: والقدر لا يحتج به، ولو كان القدر حجة لكان حجة لليهود على". (٢)

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ١٧٥/٢

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ٤٣٩/٢

"وقد ثبت لعلي وبنيه من المناقب ما لم يذكره المصنف وذكر أشياء كذبا وجهلا مثل قوله نزل في حقهم (هل أتى)

وهي مكية بإتفاق وعلي لم يدخل بفاطمة إلا بعد بدر وولد له الحسن في السنة الثانية من الهجرة والحسين في السنة الرابعة من الهجرة بعد نزول (هل أتى) بسنين كثيرة

فقول القائل إنها نزلت فيهم من الكذب الذي لا يخفى على من له علم بنزول القرآن واحوال هذه السادة الأخيار

وأما آية (ويطهركم تطهيرا) فليس فيها إخبار بذهاب الرجس وبالطهارة بل فيها الأمر لهم بما يوجبهما وذلك كقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) (يريد الله ليبين لكم ويهديكم) (يريد الله أن يخفف عنكم)

فالإرادة هنا متضمنة للأمر والمحبة والرضا ليست هي الملتزمة لوقوع المراد ولو كان كذلك لتطهر كل من أراد الله طهارته وهذا على قول شيعة زماننا اوجه فإنهم معتزلة يقولون إن الله يريد مالا يكون

فقوله تعالى (يريد الله ليذهب عنكم الرجس) إذا كان بفعل المأمور وترك المحظور كان ذلك متعلقا بإرادتهم و بأفعالهم فإن فعلوا ما أمروا به طهروا

ومما يبين أن ذلك مما أمروا به مما أخبر بوقوعه أن النبي صلى الله عليه وسلم أدار الكساء على علي وفاطمة والحسن والحسين ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهركم تطهيرا رواه مسلم من حديث عائشة ورواه أهل السنن من حديث أم سلمة وفيه دليل على أنه تعالى قادرا على إذهاب الرجس والتطهير وأنه خالق أفعال العباد ردا على المعتزلي

وما يبين أن الآية متضمنة للأمر والنهي قوله في سياق الكلام (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة إلى قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركهم نتطهيرا

وإذ واذكرن ما يتلى في بيوتكن) فهذا السياق." (١)

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدالص/١٦٨

الامام الذهبي

"ولما كان الإجتماع في مظنه التغالب والتغابن بأن كل واحد قد يحتاج إلى ما في يد غيره فتدعوه القوة الشهوانية إلى أخذه قهرا فيؤدي إلى الهرج والفتن فلا بد من نصب إمام معصوم يصدهم وينصف ويوصل الحق إلى ذويه لا يجوز عليه الخطأ ولا السهو وإلا لأفتقر إلى إمام آخر لأن العلة المحوجة إلى نصبه هي جواز الخطأ على الأمة فلو جاز عليه الخطأ لأحتاج إلى إمام فإن كان معصوما فهو الإمام وإلا لزم التسلسل

وأبو بكر وعمر وعثمان ما كانوا معصومين اتفاقا وعلي معصوم فيكون هو الإمام فالجواب نقول الرسول هو المعصوم وطاعته هي الواجبة في كل وقت على الخلق وعلم الأمة بأوامره أتم من علم البعض بأوامر المنتظر

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الإمام المعصوم وأوامره معلومة فاستغنت الأمة به و بأوامره وبعلمه عن كل أحد وأولو الأمر منفذون لدينه ليس إلا

ومعلوم قطعا أنه كان نوابه في اليمن وغيرها يتصرفون في الرعية بإجتهادهم وليسوا بمعصومين ولم يتول على الأمة من ادعيت له سوى علي وكان من نوابه على رعيته بالبلاد النائية من لا يدري بما أمر ولا بما نهى بل كانوا يتصرفون بما لا يعرفه هو

ثم الإمام الذي وصفته لا يوجد في زماننا مفقود غائب عندكم ومعدوم لا حقيقة له عند سواكم ومثله لا يحصل به شيء من مقاصد الإمامة بل الإمام الذي يقوم وفيه جهل وظلم أنفع لمصالح الأمة ممن لا ينفعهم بوجه والإمام يحتاج إليه للعلم ليبلغه وللعمل ليطاع في سلطانه

وقولك لا بد من نصب إمام معصوم أتريد أن لا بد أنن يخلق الله ويقيم معصوما أم يجب على الناس أن يبايعوا من يكون كذلك وغاية ما عندكم أن تدعوا عصمة علي لكن الله ما مكنه في زمن الثلاثة بل ولا في خلافته فيكون الله عندكم قد أيد الثلاثة الظلمة بزعمكم حتى فعلوا ما فعلوه من المصالح ولم يؤيده حتى

يفعل ذلك وحينئذ فما خلق الله هذا المعصوم المؤيد الذي اقترحتموه على الله
وإن قلتم إن." (١)

"٦١ – أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي. [المتوفى: ٤٦٣ هـ]

أحد الحفاظ الأعلام، ومن ختم به إتقان هذا الشأن. وصاحب التصانيف المنتشرة في البلدان.

ولد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، وكان أبوه أبو الحسن الخطيب قد قرأ على أبي حفص الكتاني، وصار خطيب قرية درزيجان، إحدى قرى العراق، فحض ولده أبا بكر على السماع في صغره، فسمع وله إحدى عشرة سنة، ورحل إلى البصرة وهو ابن عشرين سنة، ورحل إلى نيسابور وهو ابن ثلاث وعشرين سنة. ثم رحل إلى إصبهان. ثم رحل في الكهولة إلى الشام، فسمع أبا عمر بن مهدي الفارسي، وابن الصلت الأهوازي، وأبا الحسين ابن المتيم، وأبا الحسن بن رزقويه، وأبا سعد الماليني، وأبا الفتح بن أبي الفوارس، وهلال بن محمد الحفار، وأبا الحسين بن بشران، وأبا طالب محمد بن الحسين بن بكير، والحسين بن الحسن الجواليقي الراوي عن محمد بن مخلد العطار، وأبا إسحاق إبراهيم بن مخلد الباقرحي، وأبا الحسن محمد بن عمر البلدي المعروف بابن الحطراني، والحسين بن محمد العكبري الصائغ، -[١٧٦]- وأبا العلاء محمد بن الحسن الوراق، وأمما سواهم ببغداد. وأبا عمر القاسم بن جعفر الهاشمي راوي " السنن "، وعلي بن القاسم الشاهد، والحسن بن علي السابوري، وجماعة بالبصرة. وأبا بكر أحمد ابن الحسن الحيري، وأبا حازم عمر بن أحمد العبدويي، وأبا سعيد محمد بن موسى الصيرفي، وعلي بن محمد بن محمد الطرازي، وأبا القاسم عبد الرحمن السراج، وجماعة من أصحاب الأصم فمن بعده بنيسابور. وأبا الحسن علي بن يحيى بن عبدكويه، ومحمد بن عبد الله بن شهريار، وأبا نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ، وأبا عبد الله الجمال، وطائفة بإصبهان. وأبا نصر أحمد بن الحسين الكسار، وجماعة بالدينور. ومحمد بن عيسى، وجماعة بهمذان. وسمع بالكوفة، والري، والحجاز، وغير ذلك.

وقدم دمشق في سنة خمس وأربعين ليحج منها، فسمع بها أبا الحسين محمد بن عبد الرحمن بن أبي نصر، وأبا علي الأهوازي، وخلقا كثيرا حتى سمع بها عامة رواة عبد الرحمن بن أبي نصر التميمي، لأنه سكنها مدة. وتوجه إلى الحج من دمشق فحج، ثم قدمها سنة إحدى وخمسين فسكنها، وأخذ يصنف في كتبه،

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدالص/٤٠٦

وحدث بها بعامة تواليفه.

روى عنه من شيوخه: أبو بكر البرقاني، وأبو القاسم الأزهري، وغيرهما. ومن أقرانه خلق منهم: عبد العزيز بن أحمد الكتاني، وأبو القاسم بن أبي العلاء. وممن روى هو عنه في تصانيفه فرووا عنه نصر المقدسي الفقيه، وأبو الفضل أحمد بن خيرون، وأبو عبد الله الحميدي، وغيرهم.

وروى عنه الأمير أبو نصر علي بن ماكولا، وعبد الله بن أحمد السمرقندي، وأبو الحسين ابن الطيوري، ومحمد بن مرزوق الزعفراني، وأبو بكر ابن الخاضبة، وأبو الغنائم أبي النرسي. وفي أصحابه الحفاظ كثرة، فضلا عن الرواة.

قال الحافظ ابن عساكر: حدثنا عنه أبو القاسم النسيب، وأبو محمد بن الأكفاني، وأبو الحسن بن قبيس، ومحمد بن علي بن أبي العلاء، والفقيه نصر الله بن محمد اللاذقي، وأبو تراب حيدرة، وغيث الأرمنازي، وأبو طاهر -[١٧٧]- ابن الجرجرائي، وعبد الكريم بن حمزة، وطاهر بن سهل، وبركات النجاد، وأبو الحسن بن سعيد، وأبو المعالي ابن الشعيري، بدمشق. والقاضي أبو بكر الأنصاري، وأبو القاسم ابن السمرقندي، وأبو السعادات أحمد المتوكلي، وأبو القاسم هبة الله الشروطي، وأبو بكر المزرفي، وأحمد بن عبد الواحد بن زريق، وأبو السعود ابن المجلي، وأبو منصور عبد الرحمن بن زريق الشيباني، وأبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون، وبدر بن عبد الله الشيحي ببغداد. ويوسف بن أيوب الهمذاني، بمرو.

قلت: وكان من كبار فقهاء الشافعية. تفقه على أبي الحسن ابن المحاملي، وعلى القاضي أبي الطيب.

وقال ابن عساكر: أخبرنا أبو منصور بن خيرون قال: حدثنا الخطيب قال: ولدت في جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، وأول ما سمعت في المحرم سنة ثلاث وأربعمائة.

وقال: استشرت البرقاني في الرحلة إلى ابن النحاس بمصر، أو أخرج إلى نيسابور إلى أصحاب الأصم، فقال: إنك إن خرجت إلى مصر إنما تخرج إلى رجل واحد، إن فاتك ضاعت رحلتك. وإن خرجت إلى نيسابور ففيها جماعة، إن فاتك واحد أدركت من بقي. فخرجت إلى نيسابور.

وقال الخطيب في تاريخه: كنت كثيرا أذاكر البرقاني بالأحاديث، فيكتبها عني ويضمنها جموعه. وحدث عني وأنا أسمع، وفي غيبتي. ولقد حدثني عيسى بن أحمد الهمذاني، قال: أخبرنا أبو بكر الخوارزمي في سنة عشرين وأربعمائة، قال: حدثنا أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، قال: حدثنا محمد بن موسى الصيرفي، قال: حدثنا الأصم، فذكر حديثا.

وقال ابن ماكولا: كان أبو بكر آخر الأعيان ممن شاهدناه معرفة وحفظا وإتقانا وضبطا لحديث رسول

الله صلى الله عليه وسلم، وتفننا في علله وأسانيده، وعلما بصحيحه، وغريبه، وفرده، ومنكره، ومطروحه. قال: ولم يكن للبغداديين بعد أبي الحسن الدارقطني مثله. وسألت أبا عبد الله الصوري عن الخطيب وعن -[١٧٨]- أبي نصر السجزي أيهما أحفظ؟ ففضل الخطيب تفضيلا بينا.

وقال المؤتمن الساجي: ما أخرجت بغداد بعد الدارقطني أحفظ من أبي بكر الخطيب.

وقال أبو علي البرداني: لعل الخطيب لم ير مثل نفسه.

روى القولين الحافظ ابن عساكر في ترجمته، عن أخيه أبي الحسين هبة الله، عن أبي طاهر السلفي، عنهما.

وقال في ترجمته: سمعت محمود بن يوسف القاضي بتفليس يقول: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن علي الفيروزآباذي يقول: أبو بكر الخطيب يشبه بالدارقطني ونظرائه في معرفة الحديث وحفظه.

وقال أبو الفتيان عمر الرؤاسي: كان الخطيب إمام هذه الصنعة، ما رأيت مثله.

وقال أبو القاسم النسيب: سمعت الخطيب يقول: كتب معي أبو بكر البرقاني كتابا إلى أبي نعيم يقول فيه: وقد رحل إلى ما عندك أخونا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت أيده الله وسلمه ليقتبس من علومك، وهو بحمد الله ممن له في هذا الشأن سابقة حسنة، وقدم ثابت. وقد رحل فيه وفي طلبه، وحصل له منه ما لم يحصل لكثير من أمثاله، وسيظهر لك منه عند الاجتماع من ذلك، مع التورع والتحفظ، ما يحسن لديك موقعه.

وقال عبد العزيز الكتاني: إنه، يعني الخطيب، أسمع الحديث وهو ابن عشرين سنة. وكتب عنه شيخه أبو القاسم عبيد الله الأزهري في سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، وكتب عنه شيخه البرقاني سنة تسع عشرة، وروى عنه. وكان قد علق الفقه عن أبي الطيب الطبري، وأبي نصر ابن الصباغ. وكان يذهب إلى مذهب أبي الحسن الأشعري رحمه الله.

قلت: مذهب الخطيب في الصفات أنها تمر كما جاءت؛ صرح بذلك في تصانيفه. -[١٧٩]-

وقال أبو سعد ابن السمعاني في " الذيل " في ترجمته: كان مهيبا، وقورا، ثقة، متحريا، حجة، حسن الخط، كثير الضبط، فصيحا، ختم به الحفاظ.

وقال: رحل إلى الشام حاجا، فسمع بدمشق، وصور، ومكة، ولقي بها أبا عبد الله القضاعي، وقرأ " صحيح البخاري " في خمسة أيام على كريمة المروزية، ورجع إلى بغداد، ثم خرج منها بعد فتنة البساسيري، لتشوش الحال، إلى الشام سنة إحدى وخمسين، فأقام بها إلى صفر سنة سبع وخمسين. وخرج من دمشق إلى صور، فأقام بصور، وكان يزور البيت المقدس ويعود إلى صور، إلى سنة اثنتين وستين وأربعمائة، فتوجه

إلى طرابلس، ثم إلى حلب، ثم إلى بغداد على الرحبة، ودخل بغداد في ذي الحجة. وحدث في طريقه بحلب، وغيرها.

سمعت الخطيب مسعود بن محمد بمرو يقول: سمعت الفضل بن عمر النسوي يقول: كنت بجامع صور عند أبي بكر الخطيب، فدخل عليه علوي وفي كمه دنانير فقال: هذا الذهب تصرفه في مهماتك. فقطب وجهه وقال: لا حاجة لي فيه. فقال: كانك تستقله؟ ونفض كمه على سجادة الخطيب، فنزلت الدنانير، فقال: هذه ثلاثمائة دينار. فقام الخطيب خجلا محمرا وجهه وأخذ سجادته ورمى الدنانير وراح، فما أنسى عز خروجه، وذل ذلك العلوي وهو يلتقط الدنانير من شقوق الحصير.

وقال الحافظ ابن ناصر: حدثني أبو زكريا التبريزي اللغوي قال: دخلت دمشق فكنت أقرأ على الخطيب بحلقته بالجامع كتب الأدب المسموعة له، وكنت أسكن منارة الجامع، فصعد إلي وقال: أحببت أن أزورك في بيتك. فتحدثنا ساعة، ثم أخرج ورقة وقال: الهدية مستحبة، اشتر بهذا أقلاما ونهض. قال: فإذا هي خمسة دنانير مصرية. ثم صعد مرة أخرى، ووضع نحوا من ذلك، وكان إذا قرأ الحديث في جامع دمشق يسمع صوته في آخر الجامع. وكان يقرأ معربا صحيحا.

وقال أبو سعد: سمعت على ستة عشر نفسا من أصحابه سمعوا منه -[١٨٠]- ببغداد، سوى نصر الله المصيصي فإنه سمع منه بصور، وسوى يحيى بن علي الخطيب، سمع منه بالأنبار. وقرأت بخط والدي: سمعت أبا محمد ابن الأبنوسي يقول: سمعت الخطيب يقول: كلما ذكرت في التاريخ في رجل اختلفت فيه أقاويل الناس في الجرح والتعديل، فالتعويل على ما أخرت ذكره من ذلك، وختمت به الترجمة.

وقال ابن شافع في " تاريخه ": خرج الخطيب إلى الشام في صفر سنة إحدى وخمسين، وقصد صور، وبها عز الدولة الموصوف بالكرم، وتقرب منه، فانتفع به، وأعطاه مالا كثيرا. انتهى إليه الحفظ والإتقان والقيام بعلوم الحديث.

وقال ابن عساكر: سمعت الحسين بن محمد يحكي عن أبي الفضل بن خيرون أو غيره، أن أبا بكر الخطيب ذكر أنه لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث شربات، وسأل الله تعالى ثلاث حاجات، أخذا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ماء زمزم لما شرب له ". فالحاجة الأولى أن يحدث " بتاريخ بغداد " ببغداد، والثانية أن يملي الحديث بجامع المنصور، والثالثة أن يدفن عند بشر الحافي، فقضى الله الحاجات الثلاث له.

وقال غيث الأرمنازي: حدثنا أبو الفرج الإسفراييني، قال: كان الخطيب معنا في الحج، فكان يختم كل يوم

ختمة إلى قرب الغياب قراءة ترتيل. ثم يجتمع عليه الناس وهو راكب يقولون: حدثنا. فيحدثهم. أو كما قال.

وقال المؤتمن الساجي: سمعت عبد المحسن الشيحي يقول: كنت عديل أبي بكر الخطيب من دمشق إلى بغداد، فكان له في كل يوم وليلة ختمة.

وقال الحافظ أبو سعد ابن السمعاني: وله ستة وخمسون مصنفا، منها: " التاريخ لمدينة السلام " في مائة وستة أجزاء، " شرف أصحاب الحديث " -[١٨١]- ثلاثة أجزاء، " الجامع " خمسة عشر جزءا، " الكفاية في معرفة الرواية " ثلاثة عشر جزءا، كتاب " السابق واللاحق " عشرة أجزاء، كتاب " المتفق والمفترق " ثمانية عشر جزءا، كتاب " تلخيص المتشابه " ستة عشر جزءا، كتاب " تالي التلخيص " أجزاء، كتاب " الفصل للوصل والمدرج في النقل " تسعة أجزاء، كتاب " المكمل في المهمل " ثمانية أجزاء، كتاب " غنية المقتبس في تمييز الملتبس "، كتاب " من وافقت كنيته اسم أبيه " ثلاثة أجزاء، كتاب " الأسماء المبهمة " مجلد، كتاب " الموضح " أربعة عشر جزءا، كتاب " من حدث ونسي " جزء، كتاب " التطفيل " ثلاثة أجزاء، كتاب " القنوت " ثلاثة أجزاء، كتاب " الرواة عن مالك " ستة أجزاء، كتاب " الفقيه والمتفقه " اثنا عشر جزءا، كتاب " تمييز متصل الأسانيد " ثمانية أجزاء، كتاب " الحيل " ثلاثة أجزاء، " الأسماء المبهمة " جزء، كتاب " الآباء عن الأبناء " جزء، " الرحلة " جزء، " مسألة الاحتجاج بالشافعي " جزء، كتاب " البخلاء " أربعة أجزاء، كتاب " المؤتنف لتكملة المؤتلف والمختلف "، كتاب " مبهم المراسيل " ثلاثة أجزاء، كتاب " أن البسملة من الفاتحة "، كتاب " الجهر بالبسملة " جزءان، كتاب " مقلوب الأسماء والأنساب "، كتاب " صحة العمل باليمين مع الشاهد "، كتاب " أسماء المدلسين "، كتاب " اقتضاء العلم العمل " جزء، كتاب " تقييد العلم " ثلاثة أجزاء، كتاب " القول في علم النجوم " جزء، كتاب " روايات الصحابة عن التابعين " جزء، " صلاة التسبيح " جزء، " مسند نعيم بن همار " جزء، " النهي عن صوم يوم الشك " جزء، " الإجازة للمعدوم والمجهول " جزء، " روايات الستة من التابعين بعضهم عن بعض ". وذكر تصانيف أخر، قال: فهذا ما انتهى إلينا من تصانيفه.

وقد قال الخطيب في تاريخه في ترجمة الحيري إسماعيل بن أحمد النيسابوري الضرير: حج وحدث ونعم الشيخ كان. ولما حج كان معه حمل كتب ليجاور، وكان في جملة كتبه " صحيح البخاري "، سمعه من الكشميهني، فقرأت عليه جميعه في ثلاثة مجالس. وقد سقنا هذا في سنة ثلاثين في ترجمة -[١٨٢]- الحيري، وهذا شيء لا أعلم أحدا في زماننا يستطيعه.

وقد قال ابن النجار في " تاريخه ": وجدت فهرست مصنفات الخطيب وهي نيف وستون مصنفا، فنقلت أسماء الكتب التي ظهرت منها، وأسقطت ما لم يوجد، فإن كتبه احترقت بعد موته، وسلم أكثرها. ثم سرد ابن النجار أسماءها، وقد ذكرنا أكثرها آنفا، ومما لم نذكره: كتاب " معجم الرواة عن شعبة " ثمانية أجزاء، كتاب " المؤتلف والمختلف " أربعة وعشرون جزءا، " حديث محمد بن سوقة " أربعة أجزاء، " المسلسلات " ثلاثة أجزاء، " الرباعيات " ثلاثة أجزاء، " طرق قبض العلم " ثلاثة أجزاء، " غسل الجمعة " ثلاثة أجزاء، " الإجازة للمجهول " جزء.

وفيها يقول الحافظ السلفي:

تصانيف ابن ثابت الخطيب ... ألذ من الصبا الغض الرطيب

يراها إذ رواها من حواها ... رياضا للفتى اليقظ اللبيب

ويأخذ حسن ما قد صاغ منها ... بقلب الحافظ الفطن الأريب

فأية راحة ونعيم عيش ... يوازي كتبها بل أي طيب؟

أنشدناها أبو الحسين اليونيني، عن أبي الفضل الهمذاني، عن السلفي. وقد رواها أبو سعد ابن السمعاني في " تاريخه "، عن يحيى بن سعدون القرطبي، عن السلفي، فكأني سمعتها منه.

وقال أبو الحسن محمد بن عبد الملك الهمذاني في " تاريخه ": وفيها توفي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المحدث. ومات هذا العلم بوفاته. وقد كان رئيس الرؤساء، تقدم إلى الخطباء والوعاظ أن لا يرووا حديثا حتى يعرضوه عليه، فما صححه أوردوه، وما رده لم يذكروه. وأظهر بعض اليهود كتابا ادعى أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادة الصحابة، وذكروا أن خط علي رضي الله عنه فيه، وحمل الكتاب إلى رئيس الرؤساء فعرضه على الخطيب فتأمله ثم قال: هذا مزور. قيل له: ومن أين قلت ذلك؟ قال: فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح، وفتحت خيبر سنة سبع، وفيها شهادة سعد بن معاذ، ومات يوم بني قريظة قبل فتح خيبر بسنتين، فاستحسن ذلك منه، ولم يجرهم على ما في الكتاب. -[١٨٣]-

وقال أبو سعد السمعاني: سمعت يوسف بن أيوب الهمذاني يقول: حضر الخطيب درس شيخنا أبي إسحاق، فروى الشيخ حديثا من رواية بحر بن كنيز السقاء، ثم قال: للخطيب: ما تقول فيه؟ فقال الخطيب: إن أذنت لي ذكرت حاله. فأسند الشيخ ظهره من الحائط، وقعد كالتلميذ، وشرع الخطيب يقول: قال فيه فلان كذا، وقال فيه فلان كذا، وشرح أحواله شرحا حسنا، فاثني الشيخ أبو إسحاق عليه

وقال: هو دارقطني عصرنا.

وقال أبو علي البرداني: أخبرنا حافظ وقته أبو بكر الخطيب، وما رأيت مثله، ولا أظنه رأى مثل نفسه.

وقال السلفي: سألت أبا غالب شجاعا الذهلي، عن الخطيب فقال: إمام مصنف حافظ، لم ندرك مثله.

وقال أبو نصر محمد بن سعيد المؤدب: سمعت أبي يقول: قلت لأبي بكر الخطيب عند لقائي إياه: أنت الحافظ أبو بكر؟ فقال: انتهى الحفظ إلى الدارقطني، أنا أحمد بن علي الخطيب.

وقال ابن الآبنوسي: كان الحافظ الخطيب يمشي وفي يده جزء يطالعه.

وقال المؤتمن الساجي: كان الخطيب يقول: من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس.

وقال ابن طاهر في " المنثور ": حدثنا مكي بن عبد السلام الرميلي قال: كان سبب خروج أبي بكر الخطيب من دمشق إلى صور أنه كان يختلف إليه صبي مليح، سماه مكي، فتكلم الناس في ذلك. وكان أمير البلد رافضيا متعصبا، فبلغته القصة، فجعل ذلك سببا للفتك به، فأمر صاحب شرطته أن يأخذ الخطيب بالليل ويقتله. وكان صاحب الشرطة سنيا، فقصده تلك الليلة مع جماعة ولم يمكنه أن يخالف الأمير فأخذه، وقال: قد أمرت فيك بكذا وكذا، ولا أجد لك حيلة إلا أني أعبر بك عند دار الشريف ابن أبي الجن العلوي، فإذا حاذيت الباب اقفز وادخل الدار، فإني لا أطلبك، وأرجع إلى الأمير، فأخبره بالقصة. ففعل ذلك، ودخل دار الشريف، فأرسل الأمير إلى الشريف أن يبعث به، فقال: أيها الأمير، أنت تعرف اعتقادي فيه وفي أمثاله، وليس في قتله مصلحة، هذا مشهور بالعراق، إن قتلته قتل به جماعة من -[١٨٤]- الشيعة، وخربت المشاهد. قال: فما ترى؟ قال: أرى أن يخرج من بلدك. فأمر بإخراجه، فراح إلى صور، وبقي بها مدة.

قال ابن السمعاني: خرج من دمشق في صفر سنة سبع وخمسين، فقصد صور، وكان يزور منها القدس ويعود، إلى أن سافر سنة اثنتين وستين إلى طرابلس، ومنها إلى حلب، فبقي بها أياما، ثم ورد بغداد في أعقاب السنة.

قال ابن عساكر: سعى بالخطيب حسين بن علي الدمنشي إلى أمير الجيوش وقال: هو ناصبي، يروي فضائل الصحابة وفضائل العباس في الجامع.

وقال المؤتمن الساجي: تحاملت الحنابلة على الخطيب حتى مال إلى ما مال إليه. فلما عاد إلى بغداد حدث " بالتاريخ " ووقع إليه جزء فيه سماع القائم بأمر الله، فأخذ الجزء وحضر إلى دار الخلافة وطلب الإذن في قراءة الجزء. فقال الخليفة: هذا رجل كبير في الحديث، وليس له في السماع حاجة، ولعل له

حاجة أراد أن يتوصل إليها بذلك، فسلوه ما حاجته؟ فسئل، فقال: حاجتي أن يؤذن لي أن أملي بجامع المنصور. فتقدم الخليفة إلى نقيب النقباء بالإذن له في ذلك، فأملي بجامع المنصور. وقد دفن إلى جانب بشر.

وقال ابن طاهر: سألت أبا القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي: هل كان الخطيب كتصانيفه في الحفظ؟ قال: لا، كنا إذا سألناه عن شيء أجابنا بعد أيام. وإن ألحنا عليه غضب. وكانت له بادرة وحشة، ولم يكن حفظه على قدر تصانيفه.

وقال أبو الحسين ابن الطيوري: أكثر كتب الخطيب سوى " تاريخ بغداد " مستفادة من كتب الصوري. كان الصوري ابتدأ بها، وكانت له أخت بصور خلف أخوها عندها اثني عشر عدلا من الكتب، فحصل الخطيب من كتبه أشياء. وكان الصوري قد قسم أوقاته في نيف وثلاثين شيئا. -[١٨٥]-

أخبرنا أبو علي ابن الخلال، قال: أخبرنا جعفر، قال: أخبرنا السلفي، قال: أخبرنا محمد بن مرزوق الزعفراني، قال: حدثنا الحافظ أبو بكر الخطيب قال: أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها. وقد نفاها قوم، فأبطلوا ما أثبته الله تعالى، وحققها قوم من المثبتين، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه. والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله. فإذا كان معلوم أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته، إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا: لله يد وسمع وبصر، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولا نقول: أن معنى اليد القدرة، ولا إن معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول إنها جوارح، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول: إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله: {ليس كمثله شيء}، و {ولم يكن له كفوا أحد}.

وقال الحافظ ابن النجار في ترجمة الخطيب: ولد بقرية من أعمال نهر الملك، وكان أبوه يخطب بدرزيجان، ونشأ هو ببغداد، وقرأ القرآن بالروايات، وتفقه على الطبري، وعلق عنه شيئا من الخلاف. إلى أن قال: وروى عنه أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون، وأبو سعد أحمد بن محمد الزوزني، ومفلح بن أحمد الدومي، والقاضي محمد بن عمر الأرموي وهو آخر من حدث عنه.

قلت: يعني بالسماع. وآخر من حدث عنه بالإجازة مسعود الثقفي.

وخط الخطيب خط مليح، كثير الشكل والضبط، وقد قرأت بخطه: أخبرنا علي بن محمد السمسار، قال: أخبرنا محمد بن المظفر، قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحجاج، قال: حدثنا جعفر بن نوح، قال: حدثنا محمد بن عيسى، قال: سمعت يزيد بن هارون يقول: ما عزت النية في الحديث إلا لشرفه. -[١٨٦]-

وقال أبو منصور علي بن علي الأمين: لما رجع الخطيب من الشام كانت له ثروة من الثياب والذهب، وما كان له عقب، فكتب إلى القائم بأمر الله: إني إذا مت يكون مالي لبيت المال، فأذن لي حتى أفرق مالي على من شئت. فإذن له، ففرقها على المحدثين.

وقال الحافظ ابن ناصر: أخبرتني أمي أن أبي حدثها قال: كنت أدخل على الخطيب وأمرضه، فقلت له يوما: يا سيدي، إن أبا الفضل بن خيرون لم يعطني شيئا من الذهب الذي أمرته أن يفرقه على أصحاب الحديث. فرفع الخطيب رأسه من المخدة وقال: خذ هذه الخرقة بارك الله لك فيها. فكان فيها أربعون دينارا. فأنفقتها مدة في طلب العلم.

وقال مكي الرميلي: مرض الخطيب ببغداد في رمضان في نصفه، إلى أن اشتد به الحال في غرة ذي الحجة، وأوصى إلى أبي الفضل بن خيرون، ووقف كتبه على يده، وفرق جميع ماله في وجوه البر وعلى المحدثين، وتوفي رابع ساعة من يوم الإثنين سابع ذي الحجة، ثم أخرج بكرة الثلاثاء وعبروا به إلى الجانب الغربي، وحضره القضاة والأشراف والخلق، وتقدمهم القاضي أبو الحسين ابن المهتدي بالله، فكبر عليه أربعا، ودفن بجنب بشر الحافي.

وقال ابن خيرون: مات ضحوة الإثنين ودفن بباب حرب، وتصدق بماله وهو مائتا دينار، وأوصى بأن يتصدق بجميع ثيابه، ووقف جميع كتبه وأخرجت جنازته من حجرة تلي النظامية في نهر معلى، وتبعه الفقهاء والخلق، وحملت جنازته إلى جامع المنصور، وكان بين يدي الجنازة جماعة ينادون: هذا الذي كان يذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا الذي كان ينفي الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا الذي كان يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وختم على قبره عدة ختمات.

وقال الكتاني: ورد كتاب جماعة أن الحافظ أبا بكر توفي في سابع ذي الحجة، وكان أحد من حمل جنازته الإمام أبو إسحاق الشيرازي، وكان ثقة، حافظا، متقنا، متحريا، مصنفا.

وقال أبو البركات إسماعيل بن أبي سعد الصوفي: كان الشيخ أبو بكر بن -[١٨٧]- زهراء الصوفي، وهو أبو بكر بن علي الطريثيثي الصوفي، برباطنا قد أعد لنفسه قبرا إلى جانب قبر بشر الحافي، وكان يمضي

إليه في كل أسبوع مرة، وينام فيه، ويقرأ فيه القرآن كله. فلما مات أبو بكر الخطيب، وكان قد أوصى أن يدفن إلى جنب قبر بشر الحافي، فجاء أصحاب الحديث إلى أبي بكر بن زهراء وسألوه أن يدفنوا الخطيب في قبره وأن يؤثره به، فامتنع وقال: موضع قد أعددته لنفسي يؤخذ مني؟! فلما رأوا ذلك جاؤوا إلى والدي أبي سعد، وذكروا له ذلك، فأحضر أبا بكر فقال: أنا لا أقول لك أعطهم القبر، ولكن أقول لك لو أن بشرا الحافي في الأحياء، وأنت إلى جانبه، فجاء أبو بكر الخطيب ليقعد دونك، أكان يحسن بك أن تقعد أعلى منه؟ قال: لا، بل كنت أقوم وأجلسه مكاني. قال: فهكذا ينبغي أن تكون الساعة. قال: فطاب قلبه، وأذن لهم فدفنوه في ذلك القبر.

وقال أبو الفضل بن خيرون: جاءني بعض الصالحين وأخبرني لما مات الخطيب أنه رآه في المنام، فقال له: كيف حالك؟ قال: أنا في روح وريحان وجنة نعيم.

وقال أبو الحسن علي بن الحسين بن جدا: رأيت بعد موت الخطيب كأن شخصا قائما بحذائي، فأردت أن أسأله عن الخطيب، فقال لي ابتداء: أنزل وسط الجنة حيث يتعارف الأبرار؛ رواها أبو علي البرداني في " المنامات "، له عن ابن جدا.

وقال غيث الأرمنازي: قال مكي بن عبد السلام: كنت نائما ببغداد في ليلة ثاني عشر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وأربعمائة، فرأيت عند السحر كأنا اجتمعنا عند أبي بكر الخطيب في منزله لقراءة " التاريخ " على العادة، فكأن الخطيب جالس والشيخ أبو الفتح نصر بن إبراهيم الفقيه عن يمينه، وعن يمين الفقيه نصر رجل لم أعرفه، فسألت عنه، فقيل: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء ليسمع " التاريخ "، فقلت في نفسي: هذه جلالة لأبي بكر، إذ يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه. وقلت: وهذا رد لقول من يعيب التاريخ، ويذكر أن فيه تحاملا على أقوام.

وقال أبو الحسن محمد بن مرزوق الزعفراني: حدثني الفقيه الصالح أبو -[١٨٨]- علي الحسن بن أحمد البصري قال: رأيت الخطيب في المنام، وعليه ثياب بيض حسان، وعمامة بيضاء، وهو فرحان يتبسم، فلا أدري قلت: ما فعل الله بك؟ أو هو بدأني فقال: غفر الله لي أو رحمني، وكل من يجيء - فوقع لي أنه يعني بالتوحيد - إليه يرحمه أو يغفر له، فأبشروا، وذلك بعد وفاته بأيام.

وقال أبو الخطاب بن الجراح يرثيه:

فاق الخطيب الورى صدقا ومعرفة ... وأعجز الناس في تصنيفه الكتبا

حمى الشريعة من غاو يدنسها ... بوضعه ونفى التدليس والكذبا

جلا محاسن بغداد فأودعها ... تاريخه مخلصا لله محتسبا

وقال في الناس بالقسطاس منحرفا ... عن الهوى وأزال الشك والريبا

سقى ثراك أبا بكر على ظمأ ... جون ركام تسح الواكف السربا

ونلت فوزا ورضوانا ومغفرة ... إذا تحقق وعد الله واقتربا

يا أحمد بن علي طبت مضطجعا ... وباء شانيك بالأوزار محتقبا

وقال أبو الحسين ابن الطيوري: أنشدنا أبو بكر الخطيب لنفسه:

تغيب الخلق عن عيني سوى قمر ... حسبي من الخلق طرا ذلك القمر

محله في فؤادي قد تملكه ... وحاز روحي فما لي عنه مصطبر

والشمس أقرب منه في تناولها ... وغاية الحظ منه للورى النظر

وددت تقبيله يوما مخالسة ... فصار من خاطري في خده أثر

وكم حليم رآه ظنه ملكا ... وردد الفكر فيه أنه بشر

وقال غيث الأرمنازي: أنشدنا أبو بكر الخطيب لنفسه:

إن كنت تبغي الرشاد محضا ... لأمر دنياك والمعاد

فخالف النفس في هواها ... إن الهوى جامع الفساد

وقال أبو القاسم النسيب: أنشدنا أبو بكر الخطيب لنفسه:

لا تغبطن أخا الدنيا لزخرفها ... ولا للذة وقت عجلت فرحا

فالدهر أسرع شيء في تقلبه ... وفعله بين للخلق قد وضحا

كم شارب عسلا فيه منيته ... وكم تقلد سيفا من به ذبحا." (١)

"١٩٤ - محمد بن طاهر بن علي بن أحمد، الحافظ أبو الفضل المقدسي، ويعرف في وقته بابن القيسراني، الشيباني. [المتوفى: ٥٠٧ هـ]

له الرحلة الواسعة، سمع ببلده من: نصر المقدسي، وابن ورقاء، وجماعة، ودخل بغداد سنة سبع وستين، فسمع من: الصريفيني، وابن النقور، وطبقتهما، وحج، وجاور فسمع من: أبي علي الشافعي، وسعد الزنجاني، وهياج الحطيني، وصحب الزنجاني، وتخرج به في التصوف، والحديث، والسنة، ورحل بإشارته إلى

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ١٠/١٧٥

مصر، فسمع بها من أبي إسحاق الحبال، وبالإسكندرية من الحسين بن عبد الرحمن الصفراوي، وبتنيس من علي بن الحسين بن محمد بن أحمد ابن الحداد، حدثه عن جده، عن أحمد بن عيسى الوشاء، عن عيسى بن زغبة، وذلك من أعلى ما وقع له في الرحلة المصرية، وسمع بدمشق من أبي القاسم بن أبي العلاء الفقيه، وبحلب من الحسن بن مكي الشيزري، وبالجزيرة العمرية من أبي أحمد عبد الوهاب بن محمد اليمني، عن أبي عمر بن مهدي، وبالرحبة من الحسين بن سعدون، وبصور من القاضي علي بن محمد بن عبيد الله الهاشمي، وبإصبهان من: عبد الوهاب بن منده، وإبراهيم بن محمد القفال، وطائفة، وبنيسابور من: الفضل بن المحب، وموسى بن عمران، وأبي بكر بن خلف، وبهراة من: محمد بن أبي مسعود الفارسي، وكلار، وبيبى، وشيخ الإسلام، وبجرجان من: إسماعيل بن مسعدة، والمظفر بن حمزة البيع، وبآمد من قاسم بن أحمد الخياط الأصبهاني، وهو من كبار شيوخه، -[٩٣]- سمع سنة أربع وثمانين وثلاث مائة من محمد بن أحمد بن جشنس، صاحب ابن صاعد، وبأستراباذ من: علي بن عبد الملك الحفصي، حدثه عن هلال الحفار، وببوشنج من: عبد الرحمن بن محمد بن عفيف كلار، وبالبصرة من: عبد الملك ابن شغبة، وبالدينور من: أحمد بن عيسى بن عباد الدينوري، عن ابن لال الهمذاني، وبالري من: إسماعيل بن علي الخطيب، عن يحيى بن إبراهيم المزكي، وبسرخس من: محمد بن عبد الملك المظفري، عن أحمد بن محمد بن الفضل الكرابيسي، عن محمد بن حمدويه المروزي، وبشيراز من: علي بن محمد بن علي الشروطي، عن الحسن بن أحمد بن محمد بن الليث الحافظ إملاء سنة إحدى وأربعمائة، قال: حدثنا ابن البختري ببغداد، وبقزوين من: أبي بكر محمد بن إبراهيم بن علي العجلي الإمام، عن أبي عمر بن مهدي، قدم عليهم، وبالكوفة من: أبي القاسم الحسين بن محمد، من طريق ابن أبي غرزة، وبالموصل من: هبة الله بن أحمد المقرئ، عن محمد بن علي بن بحشل، عن محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن حرب، وبمرو: محمد بن الحسن المهربندقشاني، عن أحمد بن محمد بن عبدوس النسوي، وبمروالروذ من: الحسن بن محمد الفقيه، عن الحيري، وبنوقان من: محمد بن سعيد الحاكم، عن السلمي، وبنهاوند من: عمر بن عبيد الله القاضي، عن عبد الملك بن بشران، وبهمذان من: عبد الواحد بن علي الصوفي، عن محمد بن علي بن حمدويه الطوسي، وبالمدينة النبوية من: طراد الزينبي، وبواسط من صدقة بن محمد المتولي، وبساوة من: محمد بن أحمد الكامخي، وبأسداباذ من: أبي الحسن علي بن محمد المحلمي، عن الحيري، وبالأنبار من: أبي الحسن علي بن محمد بن محمد الخطيب، وبإسفرايين من: عبد الملك بن أحمد العدل، عن علي بن محمد بن علي السقاء، وبآمل طبرستان من: الفضل بن أحمد البصري، عن جده، عن أبي أحمد ابن عدي، وبالأهواز

من: عمر بن محمد بن حيكان النيسابوري، عن ابن ريذة، وببسطام من: أبي الفضل محمد بن علي السهلكي، عن الحيري، وبخسروجرد من: الحسن بن أحمد البيهقي، عن الحيري، فهذه أربعون مدينة قد سمع فيها الحديث، وسمع في بلدان أخر تركتها.

روى عنه: شيرويه الهمذاني، وأبو جعفر محمد بن الحسن الهمذاني، وأبو نصر أحمد بن عمر الغازي، وعبد الوهاب الأنماطي، وابن ناصر، -[٩٤]- والسلفي، وطائفة كبيرة، آخرهم موتا محمد بن إسماعيل الطرسوسي الأصبهاني.

قال أبو القاسم ابن عساكر: سمعت إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ يقول: أحفظ من رأيت محمد بن طاهر.

وقال يحيى بن منده في تاريخه: كان أحد الحفاظ، حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، صدوقا، عالما بالصحيح والسقيم، كثير التصانيف، لازما للأثر.

وقال السلفي: سمعت ابن طاهر يقول: كتبت " صحيح البخاري " " ومسلم " " وأبي داود " سبع مرات بالوراقة، وكتبت " سنن ابن ماجه " بالوراقة عشر مرات، سوى التفاريق بالري.

وقال ابن السمعاني: سألت أبا الحسن محمد بن أبي طالب عبد الملك الفقيه بالكرج، عن محمد بن طاهر، فقال: ما كان على وجه الأرض له نظير، وعظم أمره، ثم قال: كان داودي المذهب، قال لي: اخترت مذهب داود، فقلت له: ولم؟ قال: كذا اتفق، فسألته عن أفضل من رأى، فقال: سعد الزنجاني، وعبد الله بن محمد الأنصاري.

وقال أبو مسعود الحاجي: سمعت ابن طاهر يقول: بلت الدم في طلب الحديث مرتين، مرة ببغداد، ومرة بمكة، وذاك أني كنت أمشي حافيا في حر الهواجر، فلحقني ذلك، وما ركبت دابة قط في طلب الحديث، وكنت أحمل كتبي على ظهري، إلى أن استوطنت البلاد، وما سألت في حال الطلب أحدا، وكنت أعيش على ما يأتي من غير مسألة.

وقال ابن السمعاني: سمعت بعض المشايخ يقول: كان ابن طاهر يمشي في ليلة واحدة قريبا من سبعة عشر فرسخا، وكان يمشي على الدوام بالليل والنهار عشرين فرسخا.

أخبرنا إسحاق الأسدي، قال: أخبرنا ابن خليل، قال: أخبرنا خليل بن أبي الرجاء الراراني، قال: حدثنا محمد بن عبد الواحد الدقاق، قال: محمد -[٩٥]- ابن طاهر كان صوفيا ملامتيا، سكن الري، ثم همذان، له كتاب " صفوة الصوفية "، له أدنى معرفة بالحديث في باب شيوخ البخاري ومسلم، وغيرهما.

شاهدناه بجرجان، ونيسابور، ذكر لي عنه حديث الإباحة، أسأل الله أن يجنبنا منها، وممن يقول بها من الرجال والنساء، والأخابث الكحلية من جونية زماننا، وصوفية وقتنا، وأن ينقذنا من المعاصي كلها، وهم قوم ملاعين، لهم رموز ورطانات، وضلالة، وخذلان، وإباحات، إن قولهم عند فعل الحرام المنع شؤم، والسراويل حجاب، وحال المذنبين من شربة الخمور والظلمة، يعني خير منهم.

وقال ابن ناصر: محمد بن طاهر ممن لا يحتج به، صنف كتابا في جواز النظر إلى المرد، وأورد فيه حكاية يحيى بن معين أنه قال: رأيت جارية بمصر مليحة صلي الله عليها.

فقيل له: تصلي عليها؟! فقال: صلى الله عليها وعلى كل مليح.

ثم قال ابن ناصر: كان يذهب مذهب الإباحة، قلت: يعني في النظر إلى الملاح، وإلا فلو كان يذهب إلى إباحة مطلقة لكان كافرا، والرجل مسلم متبع للأثر، سني، وإن كان قد خالف في أمور مثل جواز السماع، وقد صنف فيه مصنفا ليته لا صنفه.

وقال ابن السمعاني: سألت عنه إسماعيل الحافظ، فتوقف، ثم أساء الثناء عليه، وسمعت أبا القاسم ابن عساكر يقول: جمع ابن طاهر أطراف الصحيحين، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأخطأ فيه في مواضع خطأ فاحشا، رأيته بخطه عند أبي العلاء العطار.

وقال ابن ناصر: محمد بن طاهر كان لحنة وكان يصحف، قرأ: وإن جبينه "ليتقصد" عرقا، بالقاف، فقلت: بالفاء، فكابرني.

وقال السلفي: كان فاضلا يعرف، ولكنه كان لحنة، حكى لي المؤتمن قال: كنا بهراة عند عبد الله الأنصاري، وكان ابن طاهر يقرأ ويلحن، فكان الشيخ يحرك رأسه ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال ابن طاهر: ولدت في شوال سنة ثمان وأربعين ببيت المقدس، -[٩٦]- وأول ما سمعت سنة ستين، ورحلت إلى بغداد سنة سبع وستين، ثم رجعت إلى بيت المقدس، فأحرمت من ثم إلى مكة.

وقال ابن عساكر: كان ابن طاهر له مصنفات كثيرة، إلا أنه كثير الوهم، وله شعر حسن، مع أنه كان لا يحسن النحو، وله كتاب " المختلف والمؤتلف ".

وقال ابن طاهر في " المنثور ": رحلت من مصر إلى نيسابور، لأجل أبي القاسم الفضل بن المحب صاحب أبي الحسين الخفاف، فلما دخلت عليه قرأت في أول مجلس جزأين من حديث أبي العباس السراج فلم أجد لذلك حلاوة، واعتقدت أني نلته بغير تعب، لأنه لم يمتنع علي، ولا طالبني بشيء، وكل حديث من الجزأين يسوى رحلة.

وقال: لما قصدت الإسكندرية كان في القافلة من رشيد إليها رجل من أهل الشام، ولم أدر ما قصده في ذلك، فلما كانت الليلة التي كنا في صبيحتها ندخل الإسكندرية رحلنا بالليل، وكان شهر رمضان، فمشيت قدام القافلة، وأخذت في طريق غير الجادة، فلما أصبح الصباح، كنت على غير الطريق بين جبال الرمل، فرأيت شيخا في مقثأة له، فسألته عن الطريق، فقال: تصعد هذا الرمل، وتنظر البحر وتقصده، فإن الطريق على شاطئ البحر، فصعدت الرمل، ووقعت في قصب الأقلام، وكنت كلما وجدت قلما مليحا اقتلعته، إلى أن اجتمع من ذلك حزمة عظيمة، وحميت الشمس وأنا صائم، وكان الصيف، وتعبت، فأخذت أنتقي الجيد، وأطرح ما سواه، إلى أن بقي معي ثلاثة أقلام لم أر مثلها، طول كل عقدة شبرين وزيادة، فقلت: إن الإنسان لا يموت من حمل هذه، ووصلت إلى القافلة المغرب، فقام إلي ذلك الرجل وأكرمني، فلما كان في بعض الليل رحلت القافلة، فقال لي: إن في هذا البلد مكس، ومعي هذه الفضة، وعليها العشر، فإن قدرت وحملتها معك، لعلها تسلم، فعلت في حقي جميلا، فقلت: أفعل، قال: فحملتها ووصلت الإسكندرية وسلمت، ودفعتها إليه فقال: تحب أن تكون عندي، فإن المساكن تتعذر، فقلت: أفعل، فلما كان المغرب صليت، ودخلت عليه، فوجدته قد أخذ الثلاثة -[٩٧]- الأقلام، وشق كل واحد منها نصفين، وشدها شدة واحدة، وجعلها شبه المسرجة وأقعد السراج عليها، فلحقني من ذلك من الغم شيء لم يمكني أن آكل الطعام معه، واعتذرت إليه، وخرجت إلى المسجد، فلما صليت التراويح، أقمت في المسجد، فجاءني القيم وقال: لم تجر العادة لأحد أن يبيت في المسجد، فخرجت وأغلق الباب، وجلست على باب المسجد، لا أدري إلى أين أذهب، فبعد ساعة عبر الحارس، فأبصرني، فقال لي: من أنت؟ فقلت: غريب من أهل العلم، وحكيت له القصة، فقال: قم معي، فقمت معه، فأجلسني في مركزه، وثم سراج جيد، وأخذ يطوف ويرجع إلى عندي، واغتنمت أنا السراج، فأخرجت الأجزاء، وقعدت أكتب إلى وقت السحر، فأخرج إلي شيئا من المأكول، فقلت: لم تجر لي عادة بالسحور، وأقمت بعد هذا بالإسكندرية ثلاثة أيام، أصوم النهار، وأبيت عنده، واعتذر إليه وقت السحر، ولا يعلم إلى أن سهل الله بعد ذلك وفتح.

وقال: أقمت بتنيس مدة على أبي محمد ابن الحداد ونظرائه، فضاق بي، ولم يبق معي غير درهم، وكنت في ذلك أحتاج إلى خبز، وأحتاج إلى كاغد، فكنت أتردد إن صرفته في الخبز لم يكن لي كاغد، وإن صرفته في الكاغد لم يكن لي خبز، ومضى على هذا ثلاثة أيام ولياليهن لم أطعم فيها، فلما كان بكرة اليوم الرابع قلت في نفسي: لو كان لي اليوم كاغد لم يمكن أن أكتب فيه شيئا لما بي من الجوع، فجعلت الدرهم في

فمي، وخرجت لأشتري الخبز، فبلعته، ووقع علي الضحك، فلقيني أبو طاهر بن حطامة الصائغ المواقيتي بها وأنا أضحك، فقال لي: ما أضحكك؟ فقلت: خير، فألح علي وأبيت، فحلف بالطلاق لتصدقني لم تضحك؟ فأخبرته، وأخذ بيدي، وأدخلني منزله، وتكلف لي ذلك اليوم أطعمة، فلما كان وقت صلاة الظهر خرجت أنا وهو إلى الصلاة، فاجتمع به بعض وكلاء عامل تنيس، فسأله عني، فقال: هو هذا، فقال: إن صاحبي منذ شهر أمرني أن أوصل إليه في كل يوم عشرة دراهم، قيمتها ربع دينار، وسهوت عنه، قال: فأخذ منه ثلاثمائة درهم، وجاءني وقال: قد سهل الله رزقا لم يكن في الحساب، وأخبرني بالقصة، فقلت: تكون عندك، ونكون على ما نحن من الاجتماع إلى وقت الخروج، فإنني وحدي، ففعل، وكان بعد ذلك يصلني ذلك القدر، إلى أن خرجت من البلد إلى الشام. -[٩٨]-

وقال: رحلت من طوس إلى إصبهان لأجل حديث أبي زرعة الرازي الذي أخرجه مسلم عنه في الصحيح، ذاكرني به بعض الرحالة بالليل، فلما أصبحت شددت علي، وخرجت إلى إصبهان، فلم أحلل عني حتى دخلت على الشيخ أبي عمرو، فقرأته عليه، عن أبيه، عن أبي بكر القطان، عن أبي زرعة، ودفع إلي ثلاثة أرغفة وكمثراتين، ثم خرجت من عنده إلى الموضع الذي نزلت فيه، وحللت عني.

وقال: كنت ببغداد في أول الرحلة الثانية من الشام، وكنت أنزل برباط الزوزني وكان به صوفي يعرف بأبي النجم، فمضى علينا ستة أيام لم نطعم فيها، فدخل علي الشيخ أبو علي المقدسي الفقيه، فوضع دينارا وانصرف، فدعوت بأبي النجم وقلت: قد فتح الله بهذا، أي شيء نعمل به؟ فقال: تعبر ذاك الجانب، وتشتري خبزا، وشواء، وحلواء، وباقلى أخضر، ووردا، وخسا بالجميع، وترجع، فتركت الدينار في وسط مجلدة معي وعبرت، ودخلت على بعض أصدقائنا، وتحدثت عنده ساعة، فقال لي: لأي شيء عبرت؟ فقلت له، فقال: وأين الدينار؟ فظننت أني قد تركته في جيبي، فطلبته فلم أجده، فضاق صدري ونمت، فرأيت في المنام كأن قائلا يقول لي: أليس قد وضعته في وسط المجلدة؟ فقمت من النوم، وفتحت المجلدة، وأخذت الدينار، واشتريت جميع ما طلب رفيقي، وحملته على رأسي، ورجعت إليه وقد أبطأت عليه، فلم أخبره بشيء إلى أن أكلنا، ثم أخبرته، فضحك وقال: لو كان هذا قبل الأكل لكنت أبكي.

وقال: كنت ببغداد في سنة سبع وستين، فلما كان عشية اليوم الذي بويع فيه المقتدي بأمر الله دخلنا على الشيخ أبي إسحاق جماعة من أهل الشام، وسألناه عن البيعة، كيف كانت؟ فحكى لنا ما جرى، ثم نظر إلي، وأنا يومئذ مختط، وقال: هو أشبه الناس بهذا، وكان مولد المقتدي في الثاني عشر من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، ومولدي في سادس شوال من هذه السنة.

قال أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر: أنشدني أبي لنفسه: -[٩٩]-
لما رأيت فتاة الحي قد برزت ... من الحطم تروم السعي في الظلم
ضوء النهار بدا من ضوء بهجتها ... وظلمة الليل من مسودها الفحم
خدعتها بكلام يستلذ به ... وإنما يخدع الأحرار بالكلم
وقال المبارك بن كامل الخفاف: أنشدنا ابن طاهر لنفسه:
ساروا بها كالبدر في هودج ... يميس محفوفا بأترابه
فاستعبرت تبكي، فعاتبتها ... خوفا من الواشي وأصحابه
فقلت: لا تبك على هالك ... بعدك ما يبقى على ما به
للموت أبواب، وكل الورى ... لا بد أن تدخل من بابه
وأحسن الموت بأهل الهوى ... من مات من فرقة أحبابه
وله:
خلعت العذار بلا منة ... على من خلعت عليه العذارا
وأصبحت حيران لا أرتجي ... جنانا، ولا أتقي فيه نارا
وقال شيرويه في " تاريخ همذان ": محمد بن طاهر سكن همذان، وبنى بها دارا، وكان ثقة، صدوقا، حافظا، عالما بالصحيح والسقيم، حسن المعرفة بالرجال والمتون، كثير التصانيف، جيد الخط، لازما للأثر، بعيدا من الفضول والتعصب، خفيف الروح، قوي السير في السفر، كثير الحج والعمرة، كتب عن عامة مشايخ الوقت.
قال شجاع الذهلي: مات ابن طاهر عند قدومه بغداد من الحج يوم الجمعة في ربيع الأول.
وقال أبو المعمر: توفي يوم الجمعة النصف من ربيع الأول ببغداد.." (١)

"٢٥٨ - أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة، أبو عبد الله التغلبي الكاتب الدمشقي الشاعر، المعروف بابن الخياط. [المتوفى: ٥١٧ هـ]
كان شاعرا محسنا، بديع القول، حفظة لأشعار المتقدمين وأخبارهم، ذكيا عارفا باللغة، لم يكن بالشام في وقته أحد أشعر منه. وكان مولده في سنة خمسين وأربعمائة، ويعرف بابن سني الدولة أبي الكتائب

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ١١/٩٢

الطرابلسي الكاتب. وقد كتب محمد لبعض الأمراء، وكتب أبو عبد الله بحماة لأبي الفوارس بن مانك مدة ثم اشتهر بالشعر، ومدح الملوك والأمراء، وأخذ بحلب عن الأمير أبي الفتيان محمد بن حيوس، وروى عنه وعن السابق: محمد بن الخضر بن -[٢٦٩]- أبي مهزول المعري، وحسان بن الحباب، وأبي نصر ابن الخيسي، وعبد الله بن أحمد بن الدويدة.

تخرج به محمد بن نصر القيسراني الشاعر.

قال السلفي: كان ابن الخياط في عصره شاعر الشام، قال: لي نجا بن إسماعيل العمري بدمشق، وكان شاعرا مفلقا: ابن الخياط في عصره أشعر الشاميين بلا خلاف.

قال السلفي: وقد اخترت من شعره مجلدة لطيفة وسمعتها منه.

ولما أنشد ابن حيوس، قال: نعيت إلي نفسي فإن الشام لا تخلو من شاعر مجيد، فأنت وارثي، فاقصد بني عمار بطرابلس، فإنهم يحبون هذا الفن. ثم وصله ابن حيوس بثياب ودنانير، ومجح بني عمار فأجازوه.

قال العماد الكاتب: ابن حيوس أشعر من ابن الخياط، لكن لشعر ابن الخياط طلاوة ليست لابن حيوس، ومن كان ينظر إلى ابن الخياط يعتقده جمالا أو حمالا في بزته وشكله، وله في وجيه الملك أبي الذواد مفرج بن الحسن الصوفي:

لو كنت شاهد عبرتي يوم النقا ... لمنعت قلبك بعدها أن يعشقا

وعذرت في أن لا أطيق تجلدا ... وعجبت من أن لا أذوب تحرقا

إن الضباء غداة رامة لم تدع ... إلا حشى قلقا وقلبا شيقا

سنحت وما منحت وكم من عارض ... قد مر مجتازا عليك وما سقى

وهي طويلة.

وله في الأمير عضب الدولة أبق بن عبد الرزاق الدمشقي يقول:

سلو سيف ألحاظه الممتشق ... أعند القلوب دم للحدق

أما من معين ولا عاذر ... إذا عنف الشوق يوما رفق

تجلى لنا صارم المقلتيـ ... ـن ماضي الموشح والمنتطق -[٢٧٠]-

من الترك ما سهمه إذ رمى ... بأفتك من طرفه إذا رمق

وليلة وافيته زائرا ... سمير السهاد ضجيع القلق

وقد راضت الكأس أخلاقه ... ووقر بالسكر منه النزق

وخف العناق فقبلته ... شهي المقبل والمعتنق

وبت أخالج شكي به ... أزور طرا أم خيال طرق

أفكر في الهجر كيف انقضى ... وأعجب للوصل كيف اتفق

فللحب ما عز مني وهان ... وللحسن ما جل منه ودق

لقد أبق الدمع من راحت ... ي لما أحس بنعمى أبق

تطاوح يهرب من جوده ... ومن أمه السيل خاف الغرق

وقال أبو عبد الله أحمد بن محمد الطليطلي النحوي: كان ابن الخياط أول ما دخل طرابلس يغشاني وينشدني ما أستكثره له، لأنني كنت إذا سألته عن شيء من الأدب لا يقوم به، فوبخته يوما على قطعة عملها وقلت: أنت لا تقوم بنحو ولا لغة فمن أين لك هذا الشعر؟ فقام إلى زاوية ففكر ثم أتى، وقال: اسمع:

وفاضل قال إذا أنشدته نخبا ... من بعض شعري وشعري كله نخب

لا شيء عندك مما يستعين به ... من شأنه معجزات النظم والخطب

فلا عروض ولا نحو ولا لغة ... قل لي فمن أين هذا الفضل والأدب

فقلت قول امرئ صحت قريحته ... إن القريحة علم ليس يكتسب

ذوقي عروضي ولفظي جله لغتي ... والنحو طبعي فهل يعتاقني سبب

فقلت: حسبك، والله لا استعظمت لك بعدها عظيما، ولزمني بعد ذلك، فأفاد مني من الأدب ما استقل به.

وقال ابن القيسراني: وقع الوزير أبو النجم هبة الله بن بديع لابن الخياط بألف دينار، وهو آخر شاعر في زماننا وقع له بألف دينار، وله من قصيدة في أبي النجم. -[٢٧١]-

وخيل تمطت بي وليل كأنه ... ترادف وفد الهم أو زاخر اليم

شققت دجاه والنجوم كأنها ... قلائد نظمي أو مساعي أبي النجم

وله:

أو ما ترى قلق الغدير كأنه ... يبدو لعينك منه حلي مناطق

مترقرق لعب الشعاع بمائه ... فارتج يخفق مثل قلب العاشق

فإذا نظرت إليه راعك لمعه ... وعللت طرفك من سراب صادق

توفي في حادي عشر رمضان بدمشق.." (١)

"٢١٢ - علي بن محمد بن طاهر بن علي، أبو تراب التميمي الكرميني، [المتوفى: ٥٥٦ هـ]

أحد الأئمة الكبار.

قال ابن السمعاني: أديب عديم النظير، حافظ لأصول اللغة، لا نعرف في زماننا له نظيرا، ومع هذا الفضل كان ورعا عفيفا كثير التلاوة والتهجد متدينا متقنا لما ينقله.

سمع من القاضي أبي بكر محمود بن مسعود، وغيره، لقيته ببخارى، ومات بكرمينية في صفر.

قلت: وروى عنه ابنه عبد الرحيم ابن السمعاني.." (٢)

"٣٦ - محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى أحمد بن عمر بن محمد، الحافظ الكبير أبو موسى المديني، الأصبهاني، [المتوفى: ٥٨١ هـ]

صاحب التصانيف وبقية الأعلام.

ولد في ذي القعدة سنة إحدى وخمسمائة.

وسمع حضورا في سنة ثلاث باعتناء والده من أبي سعد محمد بن محمد المطرز، ومات المطرز في شوال سنة ثلاث وخمسمائة. وسمع من أبي منصور محمد بن مندويه الشروطي، وغانم البرجي، وأبي علي الحداد، وأبي الفتح محمد بن عبد الله خوروست، -[٧٣٩]- وأبي الفتح محمد بن عبد الله الشرابي بليزة، وأبي الرجاء محمد بن أبي زيد الجركاني، ومحمد بن أحمد بن المطهر العدناني، وأبي الفضل محمد بن طاهر الحافظ، ومحمد بن الفضل القرابي القصار، وأبي الرجاء أحمد بن عبد الله بن منده، وإبراهيم بن أبي الحسين محمد بن أبرويه، وإبراهيم بن عبد الواحد بن أبي ذر الصالحاني، وإسماعيل بن الفضل الإخشيد، وأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ وبه تخرج وهو أستاذه، وإسحاق بن أحمد الراشتيناني، وتميم بن علي الواعظ، وجعفر بن عبد الواحد الثقفي، وحمزة بن العباس العلوي، وأبي شكر حمد بن علي الحبال، وحبيب بن أبي مسلم الزاهد، ورجاء بن إبراهيم الخباز، وطلحة بن الحسين الصالحاني، وطاهر بن أحمد البزاز، وأبي نهشل عبد الصمد بن أحمد العنبري، وعبد الكريم بن علي بن فورجة، وعبد الواحد بن محمد الدشتج، وعثمان بن عبد الرحيم اللبيكي، النيسابوري، وعلي بن عبد الله النيسابوري الواعظ يرويان عن ابن مسرور؛

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ١١/٢٦٨

(٢) تاريخ الإسلام ت بشار ١٢/١١٥

وغانم بن علي العطار مشكة، ومحمود بن إسماعيل الصيرفي الأشقر، ونصر بن أبي القاسم الصباغ، ونوشروان بن شيرزاد الديلمي، وهبة الله بن الحسن الأبرقوهي، وهبة الله بن الحصين، سمع منه " المسند "؛ وهبة الله ابن الطبر الحريري، وهادي بن إسماعيل العلوي، والهيثم بن محمد المعداني، ويحيى بن عبد الوهاب بن منده الحافظ، وخجسته بنت علي بن أبي ذر، ودعجاء بنت أبي سهل الكاغدي، وفاطمة الجوزدانية، وأبي العز بن كادش، وخلق كثير ببلده، وببغداد، وهمذان.

وصنف التصانيف النافعة. وكان واسع الدائرة في معرفة الحديث، وعلله، وأبوابه، ورجاله، وفنونه، ولم يكن في وقته أحد أحفظ منه، ولا أعلم، ولا أعلى سندا ممن يعتني بهذا الشأن.

قال ابن الدبيثي: عاش حتى صار أوحد وقته وشيخ زمانه إسنادا وحفظا.

وقال أبو سعد السمعاني: سمعت منه وكتب عني، وهو ثقة صدوق. -[٧٤٠]-

قلت: وروى عنه الحافظ أبو بكر محمد بن موسى الحازمي، والحافظ عبد الغني، والحافظ عبد القادر الرهاوي، والحافظ محمد بن مكي، وعبد العظيم بن عبد اللطيف الشرابي، والحسن بن أبي معشر الأصبهاني، والناصح ابن الحنبلي، وأبو نجيح محمد بن معاوية مقرئ أصبهان، وخلق كثير.

وبالإجازة: الفقيه محمد اليونيني، وعبد الله ابن الخشوعي، وآخرون.

وكانت رحلته إلى ابن الحصين سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

ثم قدم بغداد ثانيا في سنة اثنتين وأربعين، وعاد إلى بلده وأقبل على التصنيف والإملاء وتعليم العلم والأدب.

ومن مصنفاته الكتاب المشهور في " تتمة معرفة الصحابة " الذي ذيل به على أبي نعيم، يدل على تبحره وحفظه، وكتاب " الطوالات " مجلدان، وكتاب " تتمة الغريبين " يدل على براعته في اللغة والغريب، وكتاب " الوظائف "، وكتاب " اللطائف " وكتاب " عوالي التابعين "، وغير ذلك.

وعرض من حفظه كتاب " علوم الحديث " للحاكم على إسماعيل الحافظ.

قال الحافظ عبد القادر: إن أبا موسى حصل من المسموعات بأصبهان خاصة ما لم يحصل لأحد في زمانه فيما أعلم، وانضم إلى كثرة مسموعاته الحفظ والإتقان. وله التصانيف التي أربى فيها على تصانيف بعض من تقدمه، مع الثقة فيما يقول، وتعففه الذي لم نره لأحد من حفاظ الحديث في زماننا، له شيء يسير يتربح به وينفق منه، ولا يقبل من أحد شيئا قط، حتى إنه كان ببعض قرى أصبهان رجل من أهل العلم والدين أراد أن يحج حج نافلة، فجاء جماعة إلى الحافظ أبي موسى فسألوه أن يشفع إليه في قعوده

عن الحج لما يرجون من الانتفاع بإقامته، فخرج معهم إلى القرية راكبا على حمار، فأجابه إلى ذلك، فحملوا إلى أبي موسى شيئا من الذهب، فلم يقبله. فقالوا: فرقه في -[٧٤١]- أصحابك. فقال: فرقوه أنتم إن شئتم.

وحدثني بعض من رحل بعدي إلى أصبهان أن رجلا من الأغنياء أوصى إلى الشيخ أبي موسى بمال كثير يفرقه في البر، فلم يقبل، وقال: بل أوص إلى غيري، وأنا أدلك إلى من تدفعه إليه. ففعل. وفيه من التواضع بحيث أنه يقرئ كل من أراد ذلك من صغير وكبير. ويرشد المبتدئين، حتى رأيته يحفظ صبياننا القرآن في الألواح. ولا يكاد يستتبع أحدا إذا مضى إلى موضع، حتى إنني تبعته مرة فقال: ارجع. ثم تبعته، فالتفت إلي مغضبا وقال لي: ألم أقل لك لا تمش خلفي، أنت إذا مشيت خلفي لا تنفعني، وتبطل عن النسخ؛ وترددت إليه نحوا من سنة ونصف، فما رأيت منه ولا سمعت عنه سقطة تعاب عليه.

وقال محمد بن محمود الرويدشتي: توفي الحافظ أبو موسى في تاسع جمادى الأولى. وكان أبو مسعود كوتاه الحافظ يقول: أبو موسى كنز مخفي.

وقال الحسين بن يوحن الباوري: كنت في مدينة الخان فجاءني رجل فسألني عن رؤيا، قال: رأيت كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي. فقلت: هذه رؤيا الكبار، وإن صدقت رؤياك يموت إمام لا نظير له في زمانه. فإن هذا المنام رئي حالة وفاة الشافعي والثوري وأحمد بن حنبل. قال: فما أمسينا حتى جاءنا الخبر بوفاة الحافظ أبي موسى.

وعن عبد الله بن محمد الخجندي قال: لما مات أبو موسى لم يكادوا يفرغون حتى جاء مطر عظيم في الحر الشديد، وكان الماء قليلا بأصبهان.." (١)

"٥٩٥ - عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر. الحافظ الكبير، تقي الدين، أبو محمد المقدسي الجماعيلي، ثم الدمشقي، الصالحي، الحنبلي. [المتوفى: ٦٠٠ هـ]

ولد سنة إحدى وأربعين وخمس مائة. هو والشيخ الموفق في عام، وهما ابنا خالة، ولدا بجماعيل.

سمع بدمشق أبا المكارم عبد الواحد بن هلال، وأبا المعالي بن صابر، وسلمان بن علي الرحبي. وببغداد: أبا الفتح ابن البطي، والشيخ عبد القادر، وأبا زرعة المقدسي، وهبة الله بن هلال الدقاق، وأحمد ابن المقرب، وأبا بكر ابن النقور، والمبارك بن المبارك السمسار، وأحمد بن عبد الغني الباجسرائي، ومعمر بن

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار١٢/٧٣٨

الفاخر، ويحيى بن ثابت، والمبارك بن خضر، ويحيى بن علي الخيمي، والمبارك بن محمد البادرائي، وأبا محمد ابن الخشاب، وطبقتهم. وبالموصل: أبا الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب، وبهمذان عبد الرزاق بن إسماعيل القومساني، ونسيبه المطهر بن عبد الكريم، وإسماعيل بن محمد بن إسماعيل القومساني، وجماعة. بأصبهان: الحافظ أبا موسى المديني، وأبا سعد محمد بن عبد الواحد الصائغ، وأبا رشيد إسماعيل بن غانم البيع، وأبا الفتح بن أحمد الخرقي، وأحمد بن منصور الترك، وأبا رشيد حبيب بن إبراهيم، وأبا غالب محمد بن محمد بن ناصر، وسفيان وعليا ابني أبي الفضل بن أبي طاهر الخرقي، وبنيمان بن أبي الفوارس السباك، ومعاوية بن علي الصوفي، وحمزة بن أبي الفتح الطبري، وغيرهم. وبالإسكندرية: أبا طاهر السلفي فأكثر، وأبا محمد عبد الله العثماني، وعبد الرحمن بن خلف الله المقرئ، وجماعة. وبمصر: محمد بن علي الرحبي، وعلي بن هبة الله الكاملي، وعبد الله بن بري النحوي، وجماعة. -[١٢٠٤]-

وحدث بإصبهان، وبغداد، ودمشق، ومصر، ودمياط، والإسكندرية.

وكتب ما لا يوصف، وصنف التصانيف المفيدة، ولم يزل يسمع ويسمع ويكتب ويجمع إلى أن توفاه الله تعالى إلى رحمته.

روى عنه الشيخ الموفق، والحافظ عبد القادر الرهاوي، وولداه أبو الفتح محمد وأبو موسى عبد الله، والحافظ الضياء، والحافظ ابن خليل، والفقيه اليونيني، وسليمان الأسعردي، والزين بن عبد الدائم، وعثمان بن مكي الشارعي الواعظ، وأحمد بن حامد بن أحمد بن حمد الأرتاحي المقرئ، وإسماعيل بن عبد القوي بن عزون، وأبو عيسى عبد الله بن علاق، وسعد الدين محمد بن مهلهل الجيتي، وبقي هذا إلى ربيع الأول سنة أربع وسبعين. وبالإجازة: أحمد بن أبي الخير، وغيره.

قال أبو عبد الله ابن النجار: حدث بالكثير، وصنف في الحديث تصانيف حسنة. وكان غزير الحفظ، من أهل الإتقان والتجويد، قيما بجميع فنون الحديث، عارفا بقوانينه، وأصوله، وعلله، وصحيحه، وسقيمه، وناسخه، ومنسوخه، وغريبه، ومشكله، وفقهه، ومعانيه، وضبط أسماء رواته. وكان كثير العبادة، ورعا، متمسكا بالسنة على قانون السلف. ولم يزل بدمشق - يعني بعد رجوعه من إصبهان - يحدث وينتفع به الناس، إلى أن تكلم في الصفات والقرآن بشيء أنكره عليه أهل التأويل من الفقهاء، وشنعوا عليه، وعقد له مجلس بدار السلطان، حضره الفقهاء والقضاة، فأصر على قوله، وأباحوا إراقة دمه فشفع فيه جماعة إلى السلطان من الأمراء الأكراد، وتوسطوا في القضية على أن يخرج من دمشق، فأخرج إلى مصر، وأقام بها خاملا إلى حين وفاته.

أخبرنا يعيش بن مالك الحنبلي، قال: أخبرنا عبد الغني. قلت: فذكر حديثا. -[١٢٠٥]-
قرأت بخط العلامة شيخ إصبهان أبي موسى المديني: يقول أبو موسى عفا الله عنه: قل من قدم علينا من الأصحاب يفهم هذا الشأن كفهم الشيخ الإمام ضياء الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، زاده الله تعالى توفيقا. وقد وفق لتبيين هذه الغلطات على أن في الكتب المصنفة في معرفة الصحابة غير هذا من الخطأ، ولا تنفك الكتب المجموعة في ذلك من ذلك، وما ذكره كما ذكره. إلى أن قال: ولو كان الدراقطني وأمثاله في الأحياء لصوبوا فعله، وقل من يفهم في زماننا لما فهمه. كتبه أبو موسى.
قلت: هذا كتبه على ظهر كتاب "تبيين الإصابة لأوهام حصلت في معرفة الصحابة" الذي جمعه الحافظ أبو نعيم. وهو مجلد صغير أبان فيه عن حفظ باهر، ومعرفة تامة.
وقال الضياء: ثم سافر الحافظ إلى إصبهان. وكان خرج وليس معه إلا قليل فلوس، فسهل الله له من حمله وأنفق عليه، حتى دخل إصبهان، وأقام بها مدة، وحصل بها الكتب الجيدة. وكان ليس بالأبيض الأمهق، بل يميل إلى السمرة، حسن الثغر، كث اللحية، واسع الجبين، عظيم الخلق، تام القامة، كأن النور يخرج من وجهه. وكان قد ضعف بصره من كثرة البكاء والنسخ والمطالعة.
ذكر تصانيفه رحمه الله
كتاب المصباح في الأحاديث الصحاح في ثمانية وأربعين جزءا، يشتمل على أحاديث الصحيحين، كتاب نهاية المراد في السنن نحو مائتي جزء لم يبيضه، كتاب اليواقيت مجلد، كتاب تحفة الطالبين في الجهاد والمجاهدين مجلد، كتاب الروضة أربعة أجزاء، كتاب فضائل خير البرية أربعة أجزاء، كتاب الذكر جزءان، كتاب الإسراء جزءان، كتاب التهجد جزءان، كتاب الفرج جزءان، كتاب صلات الأحياء إلى الأموات جزءان، كتاب الصفات جزءان، كتاب محنة أحمد ثلاثة أجزاء، كتاب ذم الرياء جزء، ذم الغيبة جزء، الترغيب في الدعاء جزء، الأمر بالمعروف جزء، -[١٢٠٦]- كتاب فضائل مكة أربعة أجزاء، فضائل رمضان جزء، فضائل العشر جزء، فضائل الصدقة جزء، فضائل الحج جزء، فضائل رجب جزء، وفاة النبي صلى الله عليه وسلم جزء، أقسام النبي صلى الله عليه وسلم جزء، الأربعون جزء، أربعون أخرى جزء، الأربعين من كلام رب العالمين جزء، أربعون حديثا بسند واحد، اعتقاد الشافعي جزء، كتاب الحكايات سبعة أجزاء، كتاب غنية الحفاظ في مشكل الألفاظ في مجلدتين، ذكر القبور جزء، مناقب عمر بن عبد العزيز جزء، أجزاء في الأحاديث والحكايات أكثر من مائة جزء، وهذه كلها بأسانيده.
ومن الكتب بلا إسناد: الأحكام في ستة أجزاء، العمدة في الأحكام جزءان، كتاب درر الأثر تسعة

أجزاء، كتاب السيرة النبوية جزء كبير، النصيحة في الأدعية الصحيحة جزء، الاعتقاد جزء، تبيين أوهام أبي نعيم الحافظ في الصحابة جزء كبير، كتاب الكمال في معرفة الرجال عدة مجلدات، وفيه إسناد.

قال: وكان لا يكاد أحد يسأله عن حديث إلا ذكره له وبينه. ولا يسأل عن رجل، إلا قال: هو فلان بن فلان، وبين نسبه.

قال: وأنا أقول: كان الحافظ عبد الغني المقدسي أمير المؤمنين في الحديث. سمعته يقول: كنت عند الحافظ أبي موسى فنازعني رجل في حديث فقال: هو في البخاري. وقلت: ليس هو فيه. قال: فكتب الحديث في رقعة، ورفعها إلى الحافظ أبي موسى يسأله عنه، فناولني الحافظ الرقعة وقال: ما تقول؟ هل هذا الحديث في البخاري أم لا؟ فقلت: لا. قال: فخجل الرجل.

وسمعت أبا الطاهر إسماعيل بن ظفر يقول: جاء رجل إلى الحافظ - يعني عبد الغني - فقال: رجل حلف بالطلاق أنك تحفظ مائة ألف حديث. فقال: لو قال أكثر لصدق.

شاهدت الحافظ غير مرة بجامع دمشق يسأله بعض الحاضرين وهو على المنبر: اقرأ لنا أحاديث من غير الجزء. فيقرأ الأحاديث بأسانيدها عن ظهر قلبه. -[١٢٠٧]-

وقيل: إنه سئل: لم لا تقرأ من غير كتاب؟ يعني دائما، قال: إني أخاف العجب.

وسمعت الإمام أبا العباس أحمد بن محمد ابن الحافظ، قال: سمعت علي بن فارس الزجاج العلثي الصالح قال: لما جاء الحافظ من بلاد العجم. قلت: يا حافظ ما حفظت بعد مائة ألف حديث؟ فقال: بلى، أو ما هذا معناه.

سمعت أبا محمد عبد العزيز بن عبد الملك الشيباني يقول: سمعت التاج الكندي يقول: لم يكن بعد الدارقطني مثل الحافظ عبد الغني، يعني المقدسي.

وقال الفقيه أبو الثناء محمود بن همام الأنصاري: سمعت التاج الكندي يقول: لم ير الحافظ عبد الغني مثل نفسه.

وقال أبو نزار ربيعة بن الحسن: قد رأيت أبا موسى المديني، وهذا الحافظ عبد الغني أحفظ منه.

قال الضياء: وكل من رأينا من المحدثين ممن رأى الحافظ عبد الغني وجرى ذكر حفظه ومذاكراته، قال: ما رأينا مثله، أو ما يشبه هذا.

ثم ذكر الضياء فصلا في حرصه على الحديث وطلبه وتحريضه للطلبة، وقال: حرضني على السفر إلى مصر، وسافر معنا ولده أبو سليمان وله نحو عشر سنين. وسير قبلنا ولديه محمدا وعبد الله إلى إصبهان.

ثم سفر إسماعيل بن ظفر، وزوده وأعطاه ما احتاج إليه، فسافر إلى بغداد، وإصبهان، وخراسان. وقبل ذلك حرض أبا الحجاج يوسف بن خليل على السفر.

وكان يقرأ الحديث يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع دمشق وليلة الخميس بالجامع أيضا. ويجتمع خلق. وكان يقرأ ويبكي، ويبكي الناس بكاء كثيرا، وكان بعد القراءة يدعو دعاء كثيرا.

وسمعت شيخنا أبا الحسن علي بن إبراهيم بن نجا الواعظ بالقرافة يقول على المنبر: قد جاء الإمام الحافظ وهو يريد أن يقرأ الحديث، فأشتهي أن تحضروا مجلسه ثلاث مرات، وبعدها أنتم تعرفونه، وتحصل لكم الرغبة. فجلس أول يوم، وكنت حاضرا بجامع القرافة، فقرأ أحاديث بأسانيدها حفظا، وقرأ جزءا، ففرح الناس بمجلسه فرحا كثيرا. ثم سمعت ابن نجا شيخنا يقول: -[١٢٠٨]- قد حصل الذي كنت أريده في أول مجلس. قال: وكان يجلس بمصر في غير موضع يقرأ الحديث.

وكان رحمه الله لا يكاد يضيع شيئا من زمانه بلا فائدة، فإنه كان يصلي الفجر، ويلقن القرآن، وربما لقن الحديث. فقد حفظنا منه أحاديث جمة تلقينا. ثم يقوم فيتوضأ، ويصلي ثلاث مائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إلى قبل وقت الظهر، ثم ينام نومة، ثم يصلي الظهر، ويشتغل إما بالتسميع أو النسخ إلى المغرب، فإن كان صائما أفطر، وإن كان مفطرا صلى من المغرب إلى العشاء الآخرة، فإذا صلى العشاء نام إلى نصف الليل أو بعده. ثم قام فتوضأ وصلى لحظة، ثم توضأ، ثم صلى كذلك، ثم توضأ وصلى إلى قرب الفجر، وربما توضأ في الليل سبع مرات أو أكثر. فقيل له في ذلك، فقال: ما تطيب لي الصلاة إلا ما دامت أعضائي رطبة. ثم ينام نومة يسيرة إلى الفجر. وهذا دأبه، وكان لا يكاد يصلي فريضتين بوضوء واحد.

سألت خالي الإمام موفق الدين عن الحافظ فقال وكتب بخطه: كان رفيقي في الصبى وفي طلب العلم، وما كنا نستبق إلى خير إلا سبقني إليه إلا القليل. وكمل الله فضيلته بابتلائه بأذى أهل البدعة، وعداوتهم له، وقيامهم عليه. ورزق العلم وتحصيل الكتب الكثيرة، إلا أنه لم يعمر حتى يبتغ غرضه في روايتها ونشرها.

قال الضياء: وكان يستعمل السواك كثيرا، حتى كأن أسنانه البرد.

سمعت محمود بن سلامة الحراني التاجر غير مرة يقول: كان الحافظ عبد الغني نازلا عندي بإصبهان، وما كان ينام من الليل إلا قليلا، بل يصلي ويقرأ ويبكي، حتى ربما منعنا النوم إلى السحر. أو ما هذا معناه.

وكان الحافظ لا يرى منكرا إلا غيره بيده أو بلسانه. وكان لا تأخذه في الله لومة لائم. رأيته مرة يريق خمرا، فجذب صاحبه السيف، فلم يخف، وأخذه من يده. وكان قويا في بدنه. وكثيرا ما كان بدمشق ينكر ويكسر الطنابير والشبابات. قال لنا خالي الموفق: كان لا يصبر عن إنكار المنكر إذا رآه.

سمعت فضائل بن محمد بن علي بن سرور المقدسي، قال: سمعتهم -[١٢٠٩]- يتحدثون بمصر أن الحافظ كان قد دخل على الملك العادل، فلما رآه قام له، فلما كان اليوم الثاني إذا الأمراء قد جاؤوا إلى الإمام الحافظ إلى مصر، مثل سركس، وأزكش، فقالوا: آمنا بكراماتك يا حافظ. وذكروا أن العادل قال: ما خفت من أحد ما خفت من هذا الرجل. فقلنا: أيها الملك، هذا رجل فقيه، أيش خفت منه؟ قال: لما دخل ما خيل إلي إلا أنه سبع يريد أن يأكلني. فقلنا: هذه كرامة للحافظ.

قال الضياء: شاهدت بخط الحافظ قال: والملك العادل اجتمعت به، وما رأيت منه إلا الجميل، فأقبل علي وأكرمني، وقام لي والتزمني، ودعوت له. ثم قلت: عندنا قصور فهو الذي يوجب التقصير. فقال: ما عندك لا تقصير ولا قصور. وذكر أمر السنة فقال: ما عندك شيء تعاب به في أمور الدين ولا الدنيا، ولا بد للناس من حاسدين. وبلغني عنه بعد ذلك أنه ذكر عنده العلماء فقال: ما رأيت بالشام ولا مصر مثل فلان، دخل علي فخيل إلي أنه أسد قد دخل علي، وهذا ببركة دعائكم ودعاء الأصحاب.

قال الضياء: وكان المبتدعة قد وغروا صدر العادل على الحافظ، وتكلموا فيه عنده. وكان بعضهم يقول: إنه ربما قتله إذا دخل عليه. فسمعت بعضهم أن بعض المبتدعة أرسل إلى العادل يبذل في قتل الحافظ خمسة آلاف دينار.

وسمعت الشيخ أبا بكر بن أحمد الطحان، قال: وكان في دولة الأفضل علي جعلوا الملاهي عند درج جيرون، فجاء الحافظ فكسر شيئا كثيرا منها. ثم جاء فصعد على المنبر يقرأ الحديث، فجاء إليه رسول القاضي يطلبه حتى يناظره في الدف والشبابة فقال الحافظ: ذاك عندي حرام. وقال: لا أمشي إليه، إن كان له حاجة فيجيء هو. ثم تكلم على المنبر، فعاد الرسول فقال: لا بد من مجيئك قد بطلت هذه الأشياء على السلطان. فقال الحافظ: ضرب الله رقبته ورقبة السلطان. فمضى الرسول، وخفنا من فتنة، فما جاء أحد بعد ذلك.

سمعت محمود بن سلامة الحراني بإصبهان قال: كان الحافظ بإصبهان فيصطف الناس في السوق ينظرون إليه. ولو أقام بإصبهان مدة وأراد أن يملكها -[١٢١٠]- لملكها. يعني من حبهم له ورغبتهم فيه.

قال الضياء: ولما وصل إلى مصر أخيرا كنا بها، فكان إذا خرج يوم الجمعة إلى الجامع لا نقدر نمشي معه من كثرة الخلق، يتبركون به، ويجتمعون حوله. وكان سخيا، جوادا، كريما، لا يدخر دينارا ولا درهما. ومهما حصل له أخرجه. ولقد سمعت عنه أنه كان يخرج في بعض الليالي بقفاف الدقيق إلى بيوت المحتاجين، فإذا فتحوا له ترك ما معه ومضى لئلا يعرف. وكان يفتح له بشيء من الثياب والبرد، فيعطيه للناس، وربما

كان عليه ثوب مرقع. قال لي خالي الموفق: كان جوادا، يؤثر بما تصل يده إليه سرا وعلانية. وقال عبد الجليل الجيلاني: كنت في مسجد الوزير، فبقيت ثلاثة أيام ما لنا شيء، فلما كان العصر يوم الجمعة سلمت على الحافظ، ومشيت معه إلى خارج باب الجامع فناولني نفقة، فإذا هي نحو خمسين درهما. وسمعت بدر بن محمد الجزري، قال: ما رأيت أحدا أكرم من الحافظ عبد الغني، قد أوفى عني غير مرة. سمعت سليمان بن إبراهيم الأسعردي يقول: بعث الملك الأفضل إلى الحافظ بنفقة وقمح كثير. ففرقه كله، ولم يترك شيئا. سمعت أحمد بن عبد الله العراقي، قال: حدثني منصور، قال: شاهدت الحافظ في الغلاء بمصر، وهو ثلاث ليال يؤثر بعشائه ويطوي. سمعت الفقيه مقصد بن علي بن عبد الواحد المصري، قال: سمعت أن الحافظ كان زمان الغلاء يؤثر بعشائه. يعني غلاء مصر.

قال الضياء: وقد فتح له بمصر بأشياء كثيرة من الذهب وغير ذلك، فما كان يترك شيئا. سمعت الرضى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار؛ سمعت الحافظ يقول: سألت الله أن يرزقني مثل حال الإمام أحمد بن حنبل، فقد رزقني صلاته. قال: ثم أبتلي بعد ذلك وأوذي.

سمعت الإمام أبا محمد عبد الله بن أبي الحسن الجبائي يقول: كان أبو نعيم قد أخذ على الحافظ ابن منده أشياء في معرفة الصحابة، فكان الحافظ أبو موسى يشتهي أن يأخذ على أبي نعيم في كتابه، فما كان يجسر. فلما جاء الحافظ عبد الغني أشار إليه بذلك، فأخذ على أبي نعيم في كتابه معرفة الصحابة نحوا من مائتين وتسعين موضعا. فلما سمع بذلك الصدر عبد اللطيف بن الخجندي طلب الحافظ عبد الغني، وأراد هلاكه، فاختفى الحافظ. -[١٢١١]-

وسمعت محمود بن سلامة الحراني، قال: ما أخرجنا الحافظ من إصبهان إلا في إزار. وذلك أن بيت الخجندي أشاعرة يتعصبون لأبي نعيم، وكانوا رؤساء إصبهان.

سمعت الحافظ يقول: كنا بالموصل نسمع الجرح والتعديل للعقيلي، فأخذني أهل الموصل وحبسوني، وأرادوا قتلي من أجل ذكر أبي حنيفة فيه. قال: فجاءني رجل طويل معه سيف، فقلت: لعله يقتلني وأستريح. قال: فلم يصنع شيئا. ثم أطلقت. وكان يسمع هو وابن البرني، فأخذ ابن البرني الكراس التي فيها ذكر أبي حنيفة، ففتشوا الكتاب، فلم يجدوا شيئا، فهذا كان سبب خلاصه.

قلت: سمعت عبد الحميد بن خولان، قال: سمعت الضياء يقول: كان الحافظ يقرأ الحديث بدمشق، ويجتمع الخلق عليه، فحسد، وشرعوا يعملون لهم وقتا في الجامع، ويقرأ عليهم الحديث، ويجمعون الناس، فهذا ينام، وهذا قلبه غير حاضر، فلم يشف قلوبهم، فشرعوا في مكيدة، فأمروا الناصح ابن الحنبلي بأن

يعظ بعد الجمعة تحت النسر، وقت جلوس الحافظ، فأخر الحافظ ميعاده إلى العصر. فلما كان في بعض الأيام، والناصح قد فرغ، وقد ذكر الإمام، فدسوا إليه رجلا ناقص العقل من بيت ابن عساكر، فقال للناصح ما معناه: أنك تقول الكذب على المنبر. فضرب الرجل وهرب، وخبئ في الكلاسة، ومشوا إلى الوالي، وقالوا له: هؤلاء الحنابلة ما قصدهم إلا الفتنة. وهم وهم واعتقادهم. ثم جمعوا كبراءهم، ومضوا إلى القلعة، وقالوا للوالي: نشتهي أن تحضر الحافظ. وسمع مشايخنا، فانحدروا إلى المدينة، خالي الموفق، وأخي الشمس البخاري، والفقهاء، وقالوا: نحن نناظرهم. وقالوا للحافظ: اقعد أنت لا تجئ، فإنك حاد، ونحن نكفيك. فاتفق أنهم أرسلوا إلى الحافظ فأخذوه، ولم يعلم أصحابنا، فناظروه وكان أجهلهم يغري به، فاحتد. وكانوا قد كتبوا شيئا من اعتقادهم، وكتبوا خطوطهم فيه، وقالوا له: اكتب خطك. فلم يفعل. فقالوا للوالي: قد اتفق الفقهاء كلهم، وهذا -[١٢١٢]- يخالفهم. واستأذنوه في رفع منبره. فأرسلوا الأسرى، فرفعوا ما في جامع دمشق من منبر وخزانة وقالوا: نريد أن لا نجعل في الجامع إلا صلاة الشافعية. وكسروا منبر الحافظ، ومنعوه من الجلوس، ومنعوا أصحابنا من الصلاة في مكانهم، ففاتتهم الظهر. ثم إن الناصح جمع البنوية وغيرهم، وقالوا: إن لم يخلونا نصلي صلينا بغير اختيارهم. فبلغ ذلك القاضي، وهو كان صاحب الفتنة، فإذن لهم، وخاف أن يصلوا بغير إذنه. وكان الحنفية حموا مقصورتهم بجماعة من الجند. ثم إن الحافظ ضاق صدره، ومضى إلى بعلبك، فأقام بها مدة، وتوجه إلى مصر، فبقي بنابلس مدة يقرأ الحديث وكنت أنا في ذلك الوقت بمصر فجاء شاب من دمشق بفتاوى إلى الملك عثمان العزيز، ومعه كتب أن الحنابلة يقولون كذا وكذا. وكان بنواحي الإسكندرية، فقال: إذا رجعنا أخرجنا من بلادنا من يقول بهذه المقالة؟ فاتفق أنه لم يرجع، وشب به فرسه. وأقاموا ولده موضعه. ثم أرسلوا إلى الأفضل، كان بصرخد، فجاء وأخذ مصر. ثم انحرف إلى دمشق فاتفق أنه لقي الحافظ في الطريق، ففرح به وأكرمه. ونفذ يوصي به بمصر، فلما وصل الحافظ إلى مصر تلقي بالبشر والإكرام، وأقام بها يسمع الحديث بمواضع ويجلس. وقد كان بمصر كثير من المخالفين، لكن كانت رائحة السلطان تمنعهم. ثم إن الأفضل حاصر دمشق، ورد عنها بعد أن أشرف على أخذها، ورجع إلى مصر، فجاء العادل خلفه فأخذ مصر. وبقي بمصر. وأكثر المخالفون على الحافظ، حتى استدعي، ولم يحصل لهم بحمد الله ما أرادوا. وأكرمه العادل، وسافر إلى دمشق. وبقي الحافظ بمصر، وهم لا يتركون الكلام فيه، فلما أكثروا عزم الكامل على إخراجه من مصر. ثم إن الحافظ اعتقل في دار سبع ليال فسمعت التقي أحمد ابن العز محمد بن عبد الغني: حدثني الشجاع بن أبي زكري الأمير قال: قال لي الكامل: هاهنا رجل فقيه قالوا: إنه كافر. قلت: لا

أعرفه. قال: بلى، هو محدث. فقلت: لعله الحافظ عبد الغني؟ قال: نعم هذا هو. فقلت: أيها الملك، العلماء أحدهم يطلب الآخرة، والآخر يطلب الدنيا. وأنت هاهنا باب الدنيا، فهذا الرجل جاء إليك، أو أرسل إليك رقعة؟ قال: -[١٢١٣]- لا. قلت: والله هؤلاء يحسدونه. فهل في هذه البلاد أرفع منك؟ قال: لا. فقلت: هذا الرجل أرفع العلماء. فقال: جزاك الله خيرا كما عرفتني هذا.

وقال أبو المظفر ابن الجوزي في تاريخه: اجتمع قاضي دمشق محيي الدين والخطيب ضياء الدين وجماعة، وصعدوا إلى متولي القلعة أن عبد الغني قد أضل الناس ويقول بالتشبيه، فعقدوا له مجلسا وأحضروه، فناظرهم، فأخذوا عليه مواضع، منها قوله: لا أنزهه تنزيها ينفي حقيقة النزول. ومنها: كان الله ولا مكان، وليس هو اليوم على ما كان. ومنها مسألة الحرف والصوت. فقالوا: إذا لم يكن على ما كان، فقد أثبت له المكان. وإذا لم تنزهه تنزيها ينفي عنه حقيقة النزول فقد أجزت عليه الانتقال. وأما الحرف والصوت فإنه لم يصح عن إمامك فيه شيء وإنما المنقول عنه أنه كلام الله لا غير. وارتفعت الأصوات، فقال له صارم الدين بزغش والي القلعة: كل هؤلاء على ضلالة، وأنت على الحق؟ قال: نعم. فأمر الأسارى، فنزلوا فكسروا منبره، ومنعوا الحنابلة من الصلاة، ففاتتهم صلاة الظهر.

وقال أبو المظفر في مكان آخر: اجتمع الشافعية، والحنفية، والمالكية بالملك المعظم بدار العدل، وكان يجلس فيها هو والصارم بزغش، فكان ما اشتهر من أمر عبد الغني الحافظ، وإصراره على ما ظهر من اعتقاده، وإجماع الفقهاء على الفتيا بتكفيره، وأنه مبتدع لا يجوز أن يترك بين المسلمين، فسأل أن يمهل ثلاثة أيام لينفصل عن البلد، فأجيب.

قلت: قوله: وإجماع الفقهاء على الفتيا بتكفيره كلام ناقص، وهو كذب صريح، وإنما أفتى بذلك بعض الشافعية الذين تعصبوا عليه، وأما الشيخ موفق الدين وأبو اليمن الكندي شيخا الحنفية والحنابلة فكانا معه. ولكن نعوذ بالله من الظلم والجهل.

قال أبو المظفر: وسافر عبد الغني إلى مصر، فنزل عند الطحانين، وصار يقرأ الحديث، فأفتى فقهاء مصر بإباحة دمه، فكتبوا إلى ابن شكر الوزير يقولون: قد أفسد عقائد الناس، ويذكر التجسيم على رؤوس الأشهاد. فكتب -[١٢١٤]- إلى والي مصر بنفيه، فمات قبل وصول الكتاب رحمه الله تعالى بمسجد المصنع.

قال: وكان يصلي كل يوم وليلة ثلاث مائة ركعة ورد الإمام أحمد بن حنبل. وكان يقوم الليل عامة دهره، ويحمل ما أمكنه إلى بيوت الأرامل واليتامى سرا. وكان أوحد زمانه في علم الحديث.

وقال الضياء: سمعت بعض أصحابنا يقول: إن الحافظ أمر أن يكتب اعتقاده، فكتب: أقول كذا لقول الله تعالى كذا، وأقول كذا لقول النبي صلى الله عليه وسلم كذا. حتى فرغ من المسائل التي يخالفونه فيها، فلما وقف عليها الملك الكامل قال: أيش أقول في هذا؟ يقول بقول الله وقول رسوله؟ فخلى عنه. فصل

قال: وسمعت أبا موسى بن عبد الغني قال: كنت مع والدي بمصر وهو يذكر فضائل سفيان الثوري. فقلت في نفسي: إن والدي مثله. قال: فالتفت إلي وقال: أين نحن من أولئك؟

سمعت الزاهد إبراهيم بن محمود البعلبكي يقول: كنت يوما عند الشيخ عماد الدين، وقد جاء تجار، فحدثوه أنهم رأوا، أو قال: يرى، النور على قبر الحافظ عبد الغني كل ليلة، أو كل ليلة جمعة. شك إبراهيم.

سمعت الإمام أبا العباس أحمد بن محمد بن عبد الغني، قال: رأيت البارحة الكمال عبد الرحيم – يعني أخي – وعليه ثوب أبيض. فقلت: أين أنت؟ قال: في جنة عدن. فقلت: أيما أفضل الحافظ عبد الغني، أو الشيخ أبو عمر؟ قال: ما أدري، وأما الحافظ فكل ليلة جمعة ينصب له كرسي تحت العرش، ويقرأ عليه الحديث، وينثر عليه الدر، وهذا نصيبي منه. وكان في كمه شيء، وقد أمسك بيده على رأس الكم.

وسمعت عبد الله بن الحسن بن محمد الكردي بحران، قال: رأيت الحافظ في المنام، فقلت له: يا سيدي، أليس قد مت؟ فقال: إن الله أبقى علي وردي من الصلاة. أو نحو هذا. -[١٢١٥]-

وسمعت القاضي أبا حفص عمر بن علي الهكاري بنابلس يقول: رأيت الحافظ عبد الغني في النوم كأنه قد جاء إلى بيت المقدس، فقلت: جئت غير راكب؟ فقال: أنا حملني النبي صلى الله عليه وسلم.

سمعت الحافظ أبا موسى قال: حدثني رجل من أصحابنا، قال: رأيت الحافظ في النوم، وكان يمشي مستعجلا، فقلت: إلى أين؟ قال: أزور النبي صلى الله عليه وسلم. فقلت: وأين هو؟ قال: في المسجد الأقصى. فإذا النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أصحابه. فلما رأى الحافظ قام صلى الله عليه وسلم له وأجلسه إلى جانبه. قال: فبقي الحافظ يشكو إليه ما لقي، ويبكي ويقول: يا رسول الله كذبت في الحديث الفلاني، والحديث الفلاني، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: صدقت يا عبد الغني، صدقت يا عبد الغني.

سمعت أبا موسى قال: مرض والدي مرضا شديدا منعه من الكلام والقيام ستة عشر يوما. وكنت كثيرا ما أسأله: ما تشتهي؟ فيقول: أشتهي الجنة، أشتهي رحمة الله. ولا يزيد على ذلك. فلما كان يوم الإثنين جئت إليه، وكان عادتي أبعث كل يوم من يأتي بماء من الحمام بكرة يغسل به أطرافه. فلما جئنا بالماء مد يده، فعرفت أنه يريد الوضوء، فوضأته وقت صلاة الصبح، فلما توضأ قال: يا عبد الله قم فصل بنا

وخفف. فقمت فصليت بالجماعة، وصلى معنا جالسا، فلما انصرف الناس، جئت وقد استقبل القبلة فقال: اقرأ عند رأسي يس. فقرأتها، فجعل يدعو وأنا أؤمن. فقلت له: هاهنا دواء قد عملناه، تشربه. قال: يا بني، ما بقي إلا الموت. فقلت: ما تشتهي شيئا؟ قال: أشتهي النظر إلى وجه الله سبحانه. فقلت: ما أنت عني راض؟ قال: بلى والله، أنا راض عنك وعن إخوتك، وقد أجزت لك ولإخوتك، ولابن أخيك إبراهيم.

فقلت: ما توصي بشيء. قال: ما لي على أحد شيء، ولا لأحد علي شيء. قلت: توصيني بوصية. قال: يا بني، أوصيك بتقوى الله، والمحافظة على طاعته. فجاء جماعة يعودونه، فسلموا، فرد عليهم، وجعلوا يتحدثون ففتح عينيه وقال: ما هذا الحديث؟ اذكروا الله، قولوا: لا إله إلا الله. فقالوا، ثم قاموا، وجعل هو يذكر الله ويحرك شفتيه، ويشير بعينيه. فدخل درع النابلسي فسلم عليه وقال: ما تعرفني؟ قال: بلى. فقمت لأناوله كتابا من جانب المسجد، فرجعت وقد خرجت روحه. وذلك يوم الإثنين الثالث والعشرين من -[١٢١٦]- ربيع الأول. وبقي ليلة الثلاثاء في المسجد، واجتمع من الغد خلق كثير من الأئمة والأمراء والناس ما لا يحصيهم إلا الله. ودفناه بالقرافة مقابل قبر الشيخ أبي عمرو بن مرزوق، في مكان ذكر لي خادمه عبد المنعم أنه كان يزور ذلك المكان، ويبكي فيه إلى أن يبل الحصى، ويقول: قلبي يرتاح إلى هذا المكان. فرحمه الله ورضي عنه.

قال الضياء: وتزوج ببنت خاله رابعة بنت أحمد بن محمد بن قدامة، فولدت له محمدا، وعبد الله، وعبد الرحمن، وفاطمة، وعاشوا حتى كبروا. وتسرى بجارية في مصر، فلم توافقه، ثم بأخرى، فولدت له بنتين ماتتا ولم تكبرا.

سمعت عبد الحميد بن خولان أن الضياء أخبرهم، قال: لما دخلنا إصبهان كنا سبعة، أحدنا الإمام أحمد بن محمد ابن الحافظ، وكان طفلا، فسمعنا على المشايخ. وكان شيخنا مؤيد الدين ابن الإخوة عنده جملة حسنة من المسموعات، فسمعنا عليه قطعة، وكان يتشدد علينا. ثم إنه توفي، فضاق صدري لموته كثيرا، لأنه كانت عنده مسموعات عند غيره. وأكثر ما ضاق صدري لأجل ثلاث كتب: مسند العدني، ومعجم ابن المقرئ، ومعجم أبي يعلى. وكنت قد سمعت عليه في السفرة الأولى مسند العدني ولكن لأجل رفقتي، فرأيت في النوم كأن الحافظ عبد الغني رحمه الله قد أمسك رجلا، وهو يقول لي: أم هذا، أم هذا. والرجل الذي أشار إليه هو ابن عائشة بنت معمر. فلما استيقظت قلت في نفسي: ما قال هذا إلا لأجل شيء. فوقع في قلبي أنه يريد الحديث، فمضيت إلى دار بني معمر وفتشت الكتب، فوجدت مسند العدني سماع

عائشة مثل ابن الإخوة، فلما سمعناه عليها قال لي بعض الحاضرين: إن لها سماعا بمعجم ابن المقرئ. قلت: أين هو؟ قال: عند فلان الخباز. فأخذناه وسمعناه منها. وبعد أيام ناولني بعض الإخوان معجم أبي يعلى سماعها. فسمعناه.

أنشدنا ابن خولان، قال: أنشدنا أبو عبد الله الحافظ سنة ست وعشرين وست مائة، قال: أنشدنا أبو عبد الله محمد بن سعد بن عبد الله لنفسه يرثي الحافظ: -[١٢١٧]-

هذا الذي كنت يوم البين أحتسب ... فليقض دمعك عني بعض ما يجب

لم يبق في الأسى والسقم جارحة ... نفس تذوب ودمع إثرها يجب

تالله لا رمت صبرا عنهم أبدا ... وفي الحياة فما لي دونهم أرب

لا تعجبن لوفاتي بعدهم أسفا ... وإنما حياتي من بعدهم عجب

سقيا ورعيا لأيام لنا سفلت ... والشمل مجتمع والأنس منتسب

والعيش غض وعين الدهر راقدة ... والبين رث وأثواب الهوى قشب

والدار ما نزحت والورق ما صدحت ... وحبذا بكم الأجراع والكتب

إن تمس دارهم عني مباعدة ... فإن مسكنهم في القلب مقترب

يا سائرين إلى مصر سألتكم ... رفقا علي فإن الأجر مكتسب

قولوا لساكنها: حييت من سكن ... يا منية النفس ماذا الصد والغضب

بالشام قوم وفي بغداد قد أسفوا ... لا البعد أخلق بلواهم ولا الحقب

ومنها:

لولاك ماد عمود الدين وانهدمت ... قواعد الحق واغتال الهدى عطب

فاليوم بعدك جمر الغي مضطرم ... بادي الشرار وركن الرشد مضطرب

فليبكينك رسول الله ما هتفت ... ورق الحمام وتبكي العجم والعرب

لم يفترق بكم حال فموتكما ... في الشهر واليوم هذا الفخر والحسب

أحييت سنته من بعد ما دفنت ... وشدتها وقد انهدت لها رتب

يا شامتين وفينا ما يسوؤهم ... مستبشرين وهذا الدهر محتسب

ليس الفناء بمقصور على سبب ... ولا البقاء بممدود له سبب

من لم يعظه بياض الشعر أيقظه ... سواد عيش فلا لهو ولا طرب

الصبر أهون ما تمطى غواربه ... والأجر أعذب ما يجنى ويجتلب

إن تحسبوه كريه الطعم أيسره ... سم مذاق ففي أعقابه الضرب

ما مات من كان عز الدين يعقبه ... وإنما الميت منكم من له عقب

ولا تقوض بيت كان يعمده ... مثل العماد ولا أودى له طنب

علا العلى بجمال الدين بعدكما ... تحيا العلوم بمحيي الدين والقرب

مثل الدراري السواري شيخنا أبدا ... نجم يغور وتبقي بعده شهب -[١٢١٨]-

من معشر هجروا الأوطان وانتهكوا ... حمى الخطوب وأبكار العلا خطبوا

شم العرانين ملح لو سألتهم ... بذل النفوس لما هابوا بأن يهبوا

بيض مفارقهم سود عواتقهم ... يمسي مسابقهم من حظه التعب

نور إذا سئلوا، نار إذا حملوا ... سحب إذا نزلوا، أسد إذا ركبوا

الموقدون ونار الخير خامدة ... والمقدمون ونار الحرب تلتهب

هذا الفخار فإن تجزع فلا جزع ... على المحب وإن تصبر فلا عجب." (١)

"٤٩٧ - أحمد بن مسعود بن علي، أبو الفضل التركستاني الفقيه الحنفي. [المتوفى: ٦١٠ هـ]

قدم بغداد وتفقه، وبرع في المناظرة، وانتهت إليه الرياسة في المذهب.

ودرس بمشهد أبي حنيفة. وحدث بالإجازة عن الإمام الناصر لدين الله، وليس ذلك من العلو في شيء؛ فإن في زماننا لو روى شخص عن الناصر بالإجازة لما عد ذلك في العوالي، فكيف الرواية عنه من أكثر من مائة سنة وفي حياته؟! وإنما ذلك من الكبر والتعاظم بلا مستند.

وقد صدر أبو الفضل رسولا إلى النواحي. وتوفي في ربيع الآخر.." (٢)

"٢٠٩ - ذيال بن أبي المعالي بن راشد بن نبهان بن مرجى، أبو عبد الملك العراقي، الزاهد العارف. [المتوفى: ٦١٤ هـ]

أفرد الحافظ جزءا في كراماته، فقال: سكن بيت المقدس مدة.

قال: وقيل: إنه بلغ مائة وعشرين سنة، ولم نسمع في زماننا من سلك طريقته سوى ولده الإمام عبد الملك، كان يتقوت من لقاط الزرع، ولا يأكل لأحد شيئا إلا لآحاد الناس، وانتفع به الخلق، وعلمهم

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار١٢٠٣/١٢

(٢) تاريخ الإسلام ت بشار٢٣٢/١٣

القرآن والفقه، وأمر الناس بالصلاة، وصار علما في تلك الناحية. اجتهدت على السفر إلى زيارته فلم يقدر.

وسمعت الحافظ أبا إسحاق الصريفيني يذكره ويفخم أمره، ويذكره كثيرا، وقال: دخلت إلى بيته فلم أر فيه غير دلو وحبل ومنجل ومقدحة، وليس للبيت باب سوى حزمة حطب، وقال: قال لي أهل القرية التي هو فيها: لا يأخذ من عندنا نارا، ولا يملأ بحبلنا، ولا دلونا، ولا يأكل لنا شيئا، وما رأينا مثله.

وكان شيخنا العماد يطنب في مدحه، ومدح زيارته، وفي خبزه، حتى لقد حدثني الحافظ الصريفيني، قال: قال الشيخ العماد: المشي إلى زيارة الشيخ ذيال أفضل من زيارة بيت المقدس. فلما لقيت الشيخ العماد حكيت له ذلك، فقال: قد قلته، وما أدري يصح هذا أم لا؟ وإنما قلت ذلك لأن زيارة الإخوان تجوز شد الرحال إليهم أينما كانوا، وشد الرحال لا تجوز إلا إلى ثلاثة مساجد، فكانت زيارة الإخوان أبلغ من زيارة المساجد، أو ما هذا معناه.

وسمعت مسعود بن أبي بكر بن شكر يقول: أتيت الشيخ العماد بلقمة من خبز الشيخ ذيال، ففرح بها، فأتاه رجل فقال: يا سيدي ولدي مريض، فأشتهي أن تدعو له، فأعطاه من تلك اللقمة قليلا، وقال: خذ هذه، فاجعلها في ماء، واسقه إياها. قال: فلقيت الرجل بعد ذلك، فقال: عوفي بإذن الله.

وسمعت أن الشيخ العماد كان يخبئ خبزه للمرض، وقال: ما هو إلا -[٤٠٧]- مجرب، وكان مخلوطا: القمح والشعير والعدس.

سمعت مكارم بن حسن الباجباري فقال: أنا صحبت الشيخ ذيال، وقرأت عليه، وما رأيت مثله.

وسمعت القاضي الإمام أبا حفص عمر بن علي الهكاري يصف الشيخ ذيال بمعرفة العلم، والنحو، واللغة.

سمعت الشيخ قصة بن علي المقدسي قال: قال لي الشيخ ذيال يوما: خرجت البارحة والجبال تسبح. ومرض مرة، فخفنا عليه، فقال: في مرضتي هذه ما يصيبني شيء. قال: فعوفي من تلك المرضة. ولما جاء الفرنج وهرب الناس، قال لنا الشيخ ذيال: لا تبرحوا، فما يصلوا إلى هنا، فقعدنا وسلمنا.

توفي في يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من ذي القعدة، بدير أبي القرطام، قريبا من البيرة التي بقرب القدس، وقبره يزار، رضي الله عنه.." (١)

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار١٣/٤٠٦

"٦٦٩ - عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر، شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، [المتوفى: ٦٢٠ هـ]
صاحب التصانيف.

ولد بقرية جماعيل في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، وهاجر فيمن هاجر مع أبيه وأخيه، وله عشر سنين، وحفظ القرآن، واشتغل في صغره، وسمع من أبيه سنة نيف وخمسين، وارتحل إلى بغداد في أوائل سنة إحدى وستين في صحبة ابن خالته الحافظ عبد الغني، فأدركا من حياة الشيخ عبد القادر خمسين يوما، فنزلا في مدرسته، وشرعا يقرآن عليه في " مختصر الخرقي "، وسمع منه ومن هبة الله بن هلال الدقاق، وأبي الفتح ابن البطي، وأبي زرعة المقدسي، وأحمد ابن المقرب، وأحمد بن محمد الرحبي، وأحمد بن عبد الغني الباجسرائي، وأبي المناقب حيدرة بن عمر العلوي، وخديجة النهروانية، وشهدة الكاتبة، ونفيسة البزازة، وسعد الله ابن الدجاجي، وعبد الله بن منصور الموصلي، وأبي بكر ابن النقور، وأبي محمد ابن الخشاب، وعلي بن عبد الرحمن ابن تاج القراء، ومعمر بن الفاخر، وعبد الواحد بن الحسين البارزي، وعمر بن بنيمان الدلال، ومحمد بن محمد بن السكن، والمبارك بن محمد الباذرائي، وأبي شجاع محمد بن الحسين المادرائي، والمبارك بن المبارك السمسار، وأبي طالب المبارك بن خضير، وأبي حنيفة محمد بن عبيد الله الخطيبي، وهبة الله ابن المحدث عبد الله بن أحمد ابن السمرقندي، ويحيى بن ثابت البقال، وغيرهم.

وتفقه على أبي الفتح ابن المني، وقرأ عليه بقراءة أبي عمرو، وقرأ على أبي الحسن البطائحي بقراءة نافع.

وسمع بدمشق من أبي المكارم عبد الواحد بن هلال، وأبي تميم سلمان بن علي الرحبي، وأبي المعالي بن صابر، وطائفة. وبالموصل من أبي الفضل الطوسي الخطيب، وبمكة من المبارك بن علي ابن الطباخ.

روى عنه: البهاء عبد الرحمن، وابن نقطة، والجمال أبو موسى، والضياء، -[٦٠٢]- وابن خليل، والبرزالي، والمنذري، والجمال ابن الصيرفي، والشهاب أبو شامة، والمحب ابن النجار، والزين ابن عبد الدائم، وشمس الدين ابن أبي عمر، والعز إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر، والفخر علي، والتقي ابن الواسطي، والشمس ابن الكمال، والتاج عبد الخالق، والعماد عبد الحافظ بن بدران، والعز إسماعيل ابن الفراء، والعز أحمد ابن العماد، وأبو الفهم السلمي، ويوسف الغسولي، وإبراهيم ابن الفراء، وزينب بنت الواسطي، وخلق كثير آخرهم موتا التقي ابن مؤمن، حضر عليه قطعة من " الموطأ ".

وكان إماما، حجة، مفتيا، مصنفا، متفننا، متبحرا من العلوم، كبير القدر.

أخبرنا عبد الحافظ بقراءتي، قال: أخبرنا أبو محمد بن قدامة، قال: أخبرنا عبد الواحد بن الحسين، قال:

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة، قال: أخبرنا أبو القاسم الحسن بن الحسين بن المنذر، قال: حدثنا عمر بن دينار إملاء، قال: حدثنا أبو يزيد يوسف بن يزيد بن كامل، قال: حدثنا ابن أبي مريم، قال: حدثنا عثمان بن مكتل، وأنس بن عياض، قالا: حدثنا الحارث بن عبد الرحمن، عن عبد الرحمن مولى أبي هريرة، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها ".

قال ابن النجار: كان - يعني الشيخ موفق الدين - إمام الحنابلة بالجامع. وقد سمع منه ببغداد رفيقه عبد العزيز بن طاهر الخياط سنة ثمان وستين وخمسمائة، وكان ثقة، حجة، نبيلا، غزير الفضل، نزها، ورعا، عابدا، على قانون السلف، على وجهه النور والوقار، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه.

وقال فيه عمر ابن الحاجب: هو إمام الأئمة، ومفتي الأمة، خصه الله بالفضل الوافر، والخاطر الماطر، والعلم الكامل، طنت بذكره الأمصار، -[٦٠٣]- وضنت بمثله الأعصار. قد أخذ بمجامع الحقائق النقلية والعقلية، فأما الحديث فهو سابق فرسانه، وأما الفقه فهو فارس ميدانه، أعرف الناس بالفتيا، وله المؤلفات الغزيرة، وما أظن الزمان يسمح بمثله، متواضع عند الخاصة والعامة، حسن الاعتقاد، ذو أناة وحلم ووقار، وكان مجلسه عامرا بالفقهاء والمحدثين وأهل الخير، وصار في آخر عمره يقصده كل أحد، وكان كثير العبادة، دائم التهجد، لم نر مثله، ولم ير مثل نفسه.

وقال الضياء في " سيرته ": كان تام القامة أبيض مشرق الوجه، أدعج العينين، كأن النور يخرج من وجهه لحسنه، واسع الجبين، طويل اللحية، قائم الأنف، مقرون الحاجبين، صغير الرأس، لطيف اليدين والقدمين، نحيف الجسم، متعه الله بحواسه حتى توفي، رحل هو والحافظ عبد الغني، فأقاما ببغداد نحوا من أربع سنين، ثم رجعا وقد حصلا الفقه والحديث والخلاف، أقاما خمسين ليلة عند الشيخ عبد القادر، ومات، ثم أقاما عند أبي الفرج ابن الجوزي، ثم انتقلا إلى رباط الشيخ محمود النعال، واشتغلا على ابن المني، ثم سافر هو ثانية إلى بغداد سنة سبع وستين، هو والشيخ العماد، فأقاما سنة، وكان لحقهما عبيد الله أخوه، وعبد الملك بن عثمان، فضيقا عليهما، لكونهما حدثين، فرجع بهما إلى دمشق، ثم حج سنة ثلاث وسبعين ووالدي وعمرو بن عبد الله، وردوا على درب العراق.

ذكر تصانيفه:

" البرهان في القرآن " جزءان، " مسألة العلو " جزءان، " الاعتقاد " جزء، " ذم التأويل " جزء، "كتاب القدر " جزءان، كتاب " فضائل الصحابة " جزءان، "كتاب المتحابين " جزءان، جزء " فضل عاشوراء

"، جزء " فضائل العشر "، " ذم الوسواس " جزء، " مشيخته " جزء ضخم، وغير ذلك من الأجزاء، وصنف: " المغني " في الفقه في عشر مجلدات كبار، و" الكافي " في أربعة مجلدات، و " المقنع " مجلد، و " العمدة " مجلد لطيف، و " التوابين " مجلد صغير، و " الرقة " مجلد صغير، " مختصر الهداية " مجلد صغير، " التبيين في نسب القرشيين " مجلد صغير، " الاستبصار في نسب الأنصار " مجلد، كتاب " قنعة الأريب في -[٦٠٤]- في الغريب " مجلد صغير، كتاب " الروضة " في أصول الفقه مجلد، كتاب " مختصر العلل " للخلال، مجلد ضخم.

قال الضياء: رأيت الإمام أحمد بن حنبل في النوم، وألقى علي مسألة في الفقه، فقلت: هذه في " الخرقي " فقال: ما قصر صاحبكم الموفق في " شرح الخرقي ".

قال الضياء: وكان - رحمه الله - إماما في القرآن وتفسيره، إماما في علم الحديث ومشكلاته، إماما في الفقه، بل أوحد زمانه فيه، إماما في علم الخلاف، أوحد زمانه في الفرائض، إماما في أصول الفقه، إماما في النحو، إماما في الحساب، إماما في النجوم السيارة والمنازل، وسمعت الوجيه داود بن صالح المقرئ بمصر، قال: كنت أتردد إلى الشيخ أبي الفتح ابن المني، فسمعته يقول - وعنده الإمام موفق الدين -: إذا خرج هذا الفتى من بغداد، احتاجت إليه، وسمعت البهاء عبد الرحمن بن إبراهيم يقول: كان شيخنا أبو الفتح ابن المني يقول للشيخ الموفق: اسكن هنا فإن بغداد مفتقرة إليك، وأنت تخرج من بغداد، ولا تخلف فيها مثلك، وكان الموفق يقول: إن لي أولادا ولا يمكنني المقام، وكان شيخنا العماد يعظم الشيخ الموفق تعظيما كبيرا، ويدعو له، ويقعد بين يديه كما يقعد المتعلم من العالم، وسمعت الإمام أبا عبد الله محمد بن محمود الأصبهاني يقول: ما رأى أحد في زمانه مثل الشيخ الموفق، وسمعت الإمام المفتي أبا عبيد الله عثمان بن عبد الرحمن الشافعي يقول عن شيخنا موفق الدين: ما رأيت مثله، كان مؤيدا في فتاويه، شاهدت بخط شيخنا العماد إبراهيم بن عبد الواحد: وقفت على وصية شيخنا وسيدنا الإمام العالم الأوحد الصدر شيخ الإسلام موفق الدين، الذي شهد بفضله وعلمه المؤالف والمخالف، الناصر السنة المحمدية، والسالك الطريقة النبوية الأحمدية، القامع البدعة المردية الردية، وسمعت الإمام المفتي شيخنا أبا بكر محمد بن معالي بن غنيمة ببغداد يقول: ما أعرف أحدا في زماننا أدرك درجة الاجتهاد إلا الموفق، وسمعت الإمام الحافظ الزاهد أبا عبد الله اليونيني يقول - وكتبه لي - قال: أما ما علمته من أحوال شيخنا وسيدنا موفق الدين، فإنني إلى الآن، ما -[٦٠٥]- أعتقد أن شخصا ممن رأيته، حصل له من الكمال في العلوم والصفات الحميدة التي يحصل بها الكمال، سواه، فإنه - رحمه الله - كان كاملا في صورته

ومعناه، من حيث الحسن والإحسان، والحلم والسؤدد، والعلوم المختلفة، والأخلاق الجميلة، والأمور التي ما رأيتها كملت في غيره، وقد رأيت من كرم أخلاقه، وحسن عشرته، ووفور حلمه، وكثرة علمه، وغزير فطنته، وكمال مروءته، وكثرة حيائه، ودوام بشره، وعزوف نفسه عن الدنيا وأهلها، والمناصب وأربابها، ما قد عجز عنه كبار الأولياء، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما أنعم الله على عبد نعمة أفضل من أن يلهمه ذكره "، فقد ثبت بهذا أن إلهام الذكر أفضل من الكرامات، وأفضل الذكر ما يتعدى نفعه إلى العباد، وهو تعليم العلم والسنة، وأعظم من ذلك وأحسن ما كان جبلة وطبعا، كالحلم والكرم والعقل والحياء، وكان الله قد جبله على خلق شريف، وأفرغ عليه المكارم إفراغا، وأسبغ عليه النعم، ولطف به في كل حال.

قال الضياء: وكان لا يكاد يناظر أحدا، إلا وهو يتبسم، فسمعت بعض الناس يقول: هذا الشيخ يقتل خصمه بتبسمه، وسمعت الفقيه أحمد بن فهد العلثي يقول: ناظر الموفق لابن فضلان، يعني: يحيى بن محمد الشافعي، فقطعه الموفق.

قلت: وكان ابن فضلان يضرب به المثل في المناظرة.

وأقام الموفق مدة يعمل حلقة يوم الجمعة بجامع دمشق، يناظر فيها بعد الصلاة، ويجتمع إليه أصحابنا، وغيرهم، ثم ترك ذلك في آخر عمره.

وكان يشتغل عليه الناس من بكرة إلى ارتفاع النهار، ثم يقرأ عليه بعد الظهر، إما الحديث وإما من تصانيفه، إلى المغرب، وربما قرئ عليه بعد المغرب، وهو يتعشى، وكان لا يري لأحد ضجرا، وربما تضرر في نفسه ولا يقول لأحد شيئا، فحدثني ولده أبو المجد، قال: جاء إلى والدي يوما جماعة يقرؤون عليه، فطولوا، ومن عادته أن لا يقول لأحد شيئا، فجاء هذا القط الذي لنا، فأخذ القلم الذي يصلحون به بفمه، فكسره، فتعجبوا من ذلك وقالوا: لعلنا أطلنا، وقاموا، واشتغل الناس عليه مدة بـ " الخرقي " و " الهداية " -[٦٠٦]- ثم بـ " مختصر الهداية " الذي جمعه، ثم بعد ذلك، اشتغل عليه الخلق بتصانيفه: " المقنع " و " الكافي " و " العمدة "، وكان يقرأ عليه النحو، ويشرحه، ولم يترك الإشغال إلا من عذر، وانتفع به غير واحد من البلدان، ورحلوا إليه، وكان لا يكاد يراه أحد إلا أحبه، حتى كان كثير من المخالفين يحبونه، ويصلون خلفه ويمدحونه مدحا كثيرا، وكنت أعرف في عهد أولاده أنهم يتخاصمون عنده، ويتضاربون وهو لا يتكلم، وكنا نقرأ عليه، ويحضر من لا يفهم، فربما اعترض ذلك الرجل بما لا يكون في ذلك المعنى، فنغتاظ نحن، ويقول: ليس هذا من هذا، وجرى ذلك غير مرة، فما أعلم أنه قال

له قط شيئا، ولا أوجع قلبه، وكانت له جارية تؤذيه بخلقها فما كان يقول لها شيئا، وكذلك غيرها من نسائه.

وسمعت البهاء عبد الرحمن يقول: لم أر فيمن خالطت أجمل منه، ولا أكثر احتمالا.

وكان متواضعا، يقعد إليه المساكين، ويسمع كلامهم، ويقضي حوائجهم، ويعطيهم، وكان حسن الأخلاق، لا نكاد نراه إلا متبسما، يحكي الحكايات لجلسائه، ويخدمهم، ويمزح، ولا يقول إلا حقا.

وسمعت البهاء عبد الرحمن يقول: قد صحبناه في الغزاة، فكان يمازحنا، وينبسط معنا، يقصد بذاك طيب قلوبنا، فما رأيت أكرم منه، ولا أحسن صحبة، وكان عندنا صبيان يشتغلون عليه من حوران، وكانوا يلعبون بعض الأوقات إذا خلوا، فشكى بعض الجماعة إلى الشيخ أبي عمر، فقال: أخرجوهم من عندنا، ثم قال: هؤلاء أصحاب الموفق، فاذكروهم له، فقالوا له، فقال: وهل يصنعون إلا أنهم يلعبون؟ هم صبيان لابد لهم من اللعب إذا اجتمعوا، وإنكم كنتم مثلهم، وكان بعض الأوقات يرانا نلعب فلا ينكر علينا.

ولقد شاورته في أشياء متعددة، فيشير علي بشيء، فأراه بعد كما قال، وكم قد جرى على أصحابنا من غم وضيق صدر من جهة السلاطين واختلافهم، فإذا وصل الكلام إليه أشار بالرأي السديد الذي يراه، فيكون في -[٦٠٧]- رأيه اليمن والبركة، وكان أخوه الشيخ أبو عمر مع كونه الأكبر، لا يكاد يعمل أمرا حتى يشاوره.

سمعت الإمام الزاهد أبا عبد الله محمد بن أبي الحسين اليونيني، قال: كنت بعض الأوقات ألازم القراءة وبعضها أتركها، فقال لي الموفق: يا فلان، في صورة من يأتيك إبليس؟ قلت: في صورة أويس القرني، قال: ما يقول لك؟ قلت: يقول لي: ما أحب أن أكون محدثا ولا مفتيا ولا قاصا، في نفسي شغل عن الناس، فقال: والله مليح ما يقوله لك، أفيقول لك: هذه ليلة السجود فتسجد إلى الصباح، هذه ليلة البكاء فتبكي إلى الصباح؟ قلت: لا، قال: هذا مقصوده أنك تبطل العلم وتفوتك فضيلته، وما يحصل لك فعل أويس، فبعد ذلك ما جاءني إبليس في هذا المعنى.

قال الضياء: وكان لا ينافس أهل الدنيا، ولا يكاد أحد يسمعه يشكو، وربما كان أكثر حاجة من غيره، وكان إذا حصل عنده شيء من الدنيا فرقه ولم يتركه، وسمعت البهاء عبد الرحمن يقول: كان فيه من الشجاعة، كان يتقدم إلى العدو، ولقد أصابه على القدس جرح في كفه، ولقد رأيت أنا منه على قلعة صفد، وكنا نرامي الكفار، فكان هو يجعل النشابة في القوس، ويرى الكافر أنه يرميه فيتترس منه، يفعل ذلك غير مرة، ولا يرمي حتى تمكنه فرصة.

ولما مات ابنه أبو الفضل محمد بهمذان، جاءه خبره، فحدثني بعض من حضره أنه استرجع، وقام يصلي.
قلت: كان فاضلا، مشتغلا، عاش نيفا وعشرين سنة.
قال: ولما مات ابنه أبو المجد عيسى، وكنا عنده، صبر، واحتسب، وسمعت عنه أنه كان لا يطلب من أهل بيته أن يغسلوا ثيابه، ولا يطبخوا، ولا يكلفهم شيئا، بل هو عندهم مثل الضيف، إن جاؤوا بشيء أكل، وإلا سكت، وكان يصلي صلاة حسنة بخشوع، وحسن ركوع، وسجود، ولا يكاد يصلي سنة الفجر والمغرب والعشاء، إلا في بيته، اتباعا للسنة، وكان يصلي كل ليلة بين العشاءين ركعتين بـ " الم تنزيل السجدة "، و" تبارك الذي بيده الملك " -[٦٠٨]- وركعتين بـ " ياسين " و " الدخان "، لا يكاد يخل بهن، وكان يقوم بالليل سحرا يقرأ بالسبع، وربما رفع صوته بالقراءة، وكان حسن الصوت، رحمة الله عليه.
سمعت الحافظ الزاهد أبا عبد الله اليونيني، قال: لما كنت أسمع شناعة الخلق على الحنابلة بالتشبيه، عزمت على سؤال الشيخ الموفق عن هذه المسألة، وهل هي مجرد شناعة عليهم أو قال بها بعضهم؟ أو هي مقالة لا تظهر من علمائهم إلا إلى من يوثق به؟ وبقيت مدة شهور أريد أن أسأله، ما يتفق لي خلو المكان، إلى أن سهل الله مرة بخلو الطريق لي، وصعدت معه إلى الجبل، فلما كنا عند الدرب المقابل لدار ابن محارب، وما اطلع على ضميري سوى الله عز وجل، فقلت له: يا سيدي، فالتفت إلي، وأنا خلفه، فقال لي: التشبيه مستحيل، وما نطقت أنا له بأكثر من قولي: " يا سيدي "، فلما قال ذلك تجلدت، وقد أخبر بما أريد أن أسأله عنه، وكشف الله له الأمر، فقلت له: لم؟ قال: لأن من شرط التشبيه أن نرى الشيء، ثم نشبهه، من الذي رأى الله، ثم شبهه لنا؟
وسمعت أبا عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن جعفر المقرئ يقول: جئت إلى الشيخ الموفق، وعنده جماعة، فسلمت، فرد علي ردا ضعيفا، فقعدت ساعة، فلما قام الجماعة، قال لي: اذهب فاغتسل، فبقيت متفكرا، ثم قال لي: اذهب فاغتسل، فتفكرت، فإذا قد أصابتني جنابة من أول الليل ونسيتها.
وسمعت الشريف أبا عبد الله محمد بن كباس الأعناكي يقول: كنت يوما أتفكر في نفسي، لو أن لي شيئا من الدنيا لبنيت مدرسة للشيخ الموفق، وجعلت له كل يوم ألف درهم، ثم إنني قمت، فجئت إليه فسلمت عليه، فنظر إلي وتبسم، وقال: إذا نوى الشخص نية خير كتب له أجرها!
وقال أبو شامة: وذكر الشيخ الموفق فقال: كان إماما من أئمة المسلمين، وعلما من أعلام الدين في العلم والعمل، صنف كتبا كثيرة حسانا في الفقه وغيره، ولكن كلامه فيما يتعلق بالعقائد في مسائل الصفات على -[٦٠٩]- الطريقة المشهورة عن أهل مذهبه، فسبحان من لم يوضح له الأمر فيها على جلالته في

العلم ومعرفته بمعاني الأخبار والآثار، سمعت منه " مسند الشافعي " بفوت ورقتين، وكتاب " النصيحة " لابن شاهين.

وقال غير واحد عن عز الدين ابن عبد السلام، شيخ الشافعية: إنه سئل: أيما كان أعلم فخر الدين ابن عساكر، أم الشيخ الموفق؟ فغضب، وقال: والله موفق الدين كان أعلم بمذهب الشافعي من ابن عساكر، فضلا عن مذهبه.

قال أبو شامة: ومن أظرف ما يحكى عن الموفق أنه كان يجعل في عمامته ورقة مصرورة فيها رمل يرمل به الفتاوى والإجازات، فخطفت عمامته ليلا، فقال لخاطفها: يا أخي خذ من العمامة الورقة بما فيها، ورد العمامة، أغطي رأسي، وأنت في أوسع الحل، فظن الخاطف أنها فضة، ورآها ثقيلة فأخذها، ورمى العمامة له، وكانت صغيرة عتيقة.

قال: وكان الموفق بعد موت أخيه هو الذي يؤم بالجامع المظفري ويخطب، فإن لم يحضر فعبد الله ابن أخيه يؤم ويخطب، ويصلي الموفق بمحراب الحنابلة إذا كان في البلد، وإلا صلى الشيخ العماد، ثم كان بعد موت الشيخ العماد يصلي فيه أبو سليمان ابن الحافظ عبد الغني، وكان الموفق إذا فرغ من صلاة العشاء الآخرة يمضي إلى بيته بالرصيف، ويمضي معه من فقراء الحلقة من قدره الله، فيقدم لهم ما تيسر، يأكلونه معه.

وقال الضياء: سمعت أختاي، زينب وآسية تقولان: لما جاء خالنا الموت هللنا، فهلل، وجعل يستعجل في التهليل، حتى توفي، رحمه الله.

قال: وسمعت الإمام أبا محمد إسماعيل بن حماد الكاتب يقول: رأيت ليلة عيد الفطر كأني عند المقصورة، فرأيت كأن مصحف عثمان قد عرج به، وأنا قد لحقني من ذلك غم شديد، وكأن الناس لا يكترثون لذلك، فلما كان -[٦١٠]- الغد، قيل: مات الشيخ الموفق.

وسمعت خالد بن عبد الله الحبشي يقول: إنه رأى ليلة توفي الشيخ الموفق كأن القرآن قد رفع من المصاحف، وسمعت الإمام عبد المحسن بن عبد الكريم المصري يقول: رأيت وقت مات الشيخ الموفق في النوم، كأن قد رفعت قناديل الجامع كلها، وسمعت الشريف عبد الرحمن بن محمد العلوي يقول: رأينا ليلة الأحد في قريتنا مردك – وهي في جبل بني هلال على دمشق – ضوءا عظيما جدا حتى أضاء له جبل قاسيون، فقلنا قد احترقت دمشق، قال: وخرج أهل قريتنا الرجال والنساء يتفرجون على الضوء، فلما جئنا إلى بعض الطريق سألنا: أيش الحريق الذي كان بدمشق؟ فقالوا: ما كان بها حريق، فلما وصلنا إلى هنا قال لي ابني: إن الشيخ الموفق توفي، فقلت: ما كان هذا النور إلا لأجله.

قال الضياء: وقد سمعنا نحو هذا من غير واحد يحدثه، أنه رأى ذلك بحوران، وبالطريق، وسمعت العدل أبا عبد الله محمد بن نصر بن قوام التاجر بعد موت الشيخ الموفق بأيام، قال: رأيت ليلة الجمعة في الثلث الأخير الحق عز وجل وكأنه عال علينا بنحو من قامة، يعني ليس هو على الأرض، وإلى جانبي رجل خطر في قلبي أنه الخضر عليه السلام، فذكر الشيخ الموفق، فقال الحق للخضر: هل تعرف أخته وابنته؟ فقال: لا، قال: بلى اذهب، فعزهما في الموفق، وخطر ببالي أنه تعالى يقول: فإني أعددت له ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم انتبهت.

وقد ساق الضياء منامات كثيرة في سيرة الشيخ الموفق، تركتها خوف الإطالة.

ثم قال: تزوج ببنت عمته مريم بنت أبي بكر بن عبد الله بن سعد، فولدت له أولادا، عاش منهم حتى كبر: أبو الفضل محمد، وأبو المجد عيسى، وأبو العز يحيى، وصفية، وفاطمة، فمات بنوه في حياته، ولم يعقب منهم سوى عيسى، وتسرى بجارية، ثم ماتت هي وزوجته بعدها، ثم تسرى بجارية، وجاءه منها بنت، ثم ماتت البنت، وروح الجارية، ثم تزوج عزية بنت إسماعيل، وتوفيت قبله، ومن شعره: -[٦١١]-

أتغفل يا ابن أحمد والمنايا ... شوارع يخترمنك عن قريب

أغرك أن تخطتك الرزايا ... فكم للموت من سهم مصيب

كؤوس الموت دائرة علينا ... وما للمرء بد من نصيب

إلى كم تجعل التسويف دأبا ... أما يكفيك إنذار المشيب

أما يكفيك أنك كل حين ... تمر بقبر خل أو حبيب

كأنك قد لحقت بهم قريبا ... ولا يغنيك إفراط النحيب

قال الضياء: توفي يوم السبت، يوم الفطر، ودفن من الغد، وكان الخلق لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل، وكنت فيمن غسله، توفي بمنزله بدمشق.." (١)

"٦٧ - أحمد أمير المؤمنين الإمام الناصر لدين الله، أبو العباس ابن الإمام المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن ابن الإمام المستنجد بالله أبي المظفر يوسف ابن الإمام المقتفي لأمر الله أبي عبد الله محمد ابن الإمام المستظهر بالله أحمد ابن المقتدي بأمر الله أبي القاسم الهاشمي العباسي البغدادي. [المتوفى: ٦٢٢ هـ]

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار١٣/٦٠١

ولد يوم الاثنين عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة. وبويع أول ذي القعدة سنة خمس وسبعين.
وكان أبيض اللون، تركي الوجه، مليح العينين، أنور الجبهة، أقنى الأنف، خفيف العارضين، أشقر اللحية، مليح المحاسن. نقش خاتمه " رجائي من الله عفوه ".
أجاز له أبو الحسين عبد الحق اليوسفي، وأبو الحسن علي بن عساكر البطائحي، وشهدة، وجماعة. وأجاز هو لجماعة من الكبار، فكانوا يحدثون عنه في حياته، ويتنافسون في ذلك، وما غرضهم العلو ولا الإسناد، بل غرضهم التفاخر، وإقامة الشعار والوهم.
ولم تكن الخلافة لأحد أطول مدة منه، إلا ما ذكر عن الخوارج العبيديين، فإنه بقي في الأمر بديار مصر المستنصر نحوا من ستين سنة. وكذا بقي الأمير عبد الرحمن صاحب الأندلس خمسين سنة.
وكان المستضيء أبوه قد تخوف منه، فاعتقله، ومال إلى أخيه أبي منصور. وكان ابن العطار، وأكثر الدولة مع أبي منصور، وحظية المستضيء بنفشا، والمجد ابن الصاحب، ونفر يسير مع أبي العباس. فلما بويع أبو العباس، قبض على ابن العطار وسلمه إلى المماليك. وكان قد أساء إليهم، فأخرج بعد أيام ميتا، وسحب في شوارع بغداد. وتمكن المجد ابن الصاحب فوق الحد وطغا، وآلت به الحال إلى أن قتل.
قال الموفق عبد اللطيف: وكان الناصر لدين الله، شابا مرحا، عنده ميعة الشباب. يشق الدروب والأسواق أكثر الليل والناس يتهيبون لقاءه. وظهر -[٦٨٧]- التشيع بسبب ابن الصاحب، ثم انطفى بهلاكه. وظهر التسنن المفرط ثم زال. وظهرت الفتوة والبندق والحمام الهادي، وتفنن الناس في ذلك. ودخل فيه الأجلاء ثم الملوك، فألبسوا الملك العادل وأولاده سراويل الفتوة، وكذا ألبسوا شهاب الدين الغوري ملك غزنة والهند، وصاحب كميش، وأتابك سعد صاحب شيراز، والملك الظاهر صاحب حلب، وتخوفوا من السلطان طغريل. وجرت بينهم حروب. وفي الآخر استدعوا تكش لحربه، وهو خوارزم شاه، فخرج في جحفل لجب، والتقى معه على الري، واحتز رأسه، وسيره إلى بغداد. ثم تقدم تكش نحو بغداد يلتمس رسوم السلطنة، فتحركت عليه أمة الخطا، فرجع إلى خوارزم، وما لبث أن مات. وكان الناصر لدين الله قد خطب لولده الأكبر أبي نصر بولاية العهد، ثم ضيق عليه لما استشعر منه، وعين أخاه، ثم ألزم أبا نصر بأن أشهد على نفسه أنه لا يصلح، وأنه قد نزل عن الأمر. وأكبر الأسباب في نفور الناصر من ولده هو الوزير نصير الدين ابن مهدي العلوي، فإنه خيل إلى الخليفة فساد نية ولده بوجوه كثيرة. وهذا الوزير أفسد على الخليفة قلوب الرعية والجند، وبغضه إليهم وإلى ملوك الأطراف، وكاد يخلي بغداد عن أهلها، بالإرهاب تارة وبالقتل أخرى، ولا يقدر أحد أن يكشف للخليفة حال الوزير، حتى تمكن الفساد وظهر، فقبض

عليه برفق. وفي أثناء ذلك، ظهر بخراسان وما وراء النهر خوارزم شاه محمد بن تكش وتجبر وطوى البلاد، واستبعد الملوك الكبار وفتك بكثير منهم، وأباد أمما كثيرة من الترك، فأباد أمة الخطا، وأمة الترك، وأساء إلى باقي الأمم الذين لم يصل إليهم سيفه. ورهبه الناس كلهم. وقطع خطبة بني العباس من بلاده، وصرح بالوقيعة فيهم. وقصد بغداد فوصل إلى همذان وبوادره إلى حلوان فوقع عليهم ثلج عظيم عشرين يوما، فغطاهم في غير إبانه، فأشعره بعض خواصه أن ذلك غضب من الله، حيث نقصد بيت النبوة. والخليفة مع ذلك قد جمع الجموع، وأنفق النفقات، واستعد بكل ما تصل المكنة إليه، لكن الله وقى شره ورده على عقبه. وسمع أن أمم الترك قد تألبوا عليه وطمعوا في البلاد لبعده عنها، فقصدهم، فقصدوه، ثم كايدوه، وكاثروه إلى أن مزقوه في كل وجهة، وبلبلوا لبه، وشتتوا شمله، وملكوا عليه أقطار الأرض، حتى ضاقت عليه بما رحبت، وصار أين توجه، وجد سيوفهم متحكمة فيه، فتقاذفت به البلاد حتى -[٦٨٨]- لم يجد موضعا يحويه، ولا صديقا يؤويه، فشرق وغرب، وأنجد وأسهل، وأصحر وأجبل، والرعب قد ملك لبه، فعند ذلك قضى نحبه.

قال: وكان الشيخ شهاب الدين لما جاء في الرسالة خاطبه بكل قول ولاطفه، ولا يزداد إلا طغيانا وعتوا، ولم يزل الإمام الناصر مدة حياته في عز وجلالة، وقمع للأعداء، واستظهار على الملوك، لم يجد ضيما، ولا خرج عليه خارجي إلا قمعه، ولا مخالف إلا دمغه، وكل من أضمر له سوءا رماه الله بالخذلان. وأباده. وكان مع سعادة جده شديد الاهتمام بمصالح الملك، لا يخفى عليه شيء من أحوال رعيته كبارهم وصغارهم. وأصحاب أخباره في أقطار البلاد يوصلون إليه أحوال الملوك الظاهرة والباطنة حتى يشاهد جميع البلاد دفعة واحدة. وكانت له حيل لطيفة، ومكايد غامضة، وخدع لا يفطن لها أحد. يوقع الصداقة بين ملوك متعادين وهم لا يشعرون، ويوقع العداوة بين ملوك متفقين وهم لا يفطنون.

قال: ولو أخذنا في نوادر حكاياته، لاحتاجت إلى صحف كثيرة.

ولما دخل رسول صاحب مازندران بغداد، كانت تأتيه ورقة كل صباح بما عمل في الليل، فصار يبالغ في التكتم، والورقة تأتيه، فاختلى ليلة بامرأة دخلت من باب السر، فصبحته الورقة بذلك، وفيها: كان عليكم دواج فيه صورة الأفيلة. فتحير، وخرج من بغداد وهو لا يشك أن الخليفة يعلم الغيب؛ لأن الإمامية يعتقدون أن الإمام المعصوم يعلم ما في بطن الحامل، وما وراء الجدار.

وقيل: إن الناصر كان مخدوما من الجن.

وأتى رسول خوارزم شاه برسالة مخفية وكتاب مختوم، فقيل: ارجع، فقد عرفنا ما جئت به، فرجع وهو يظن

أنهم يعلمون الغيب.

ووصل رسول آخر فقال: الرسالة معي مشافهة إلى الخليفة، فحبس، -[٦٨٩]- ونسي ثمانية أشهر، ثم أخرج وأعطي عشرة آلاف دينار، فذهب إلى خوارزم شاه، وصار صاحب خبر لهم، وسير جاسوسا يطلعه على أخبار عسكر خوارزم شاه لما وجه إلى بغداد، وكان لا يقدر أحد أن يدخل بينهم إلا قتلوه، فابتدأ الجاسوس وشوه خلقته وأظهر الجنون، وأنه قد ضاع له حمار فأنسوا به، وضحكوا منه، وتردد بينهم أربعين يوما، ثم عاد إلى بغداد، فقال: هم مائة وتسعون ألفا إلا أن يزيدوا ألفا أو ينقصوا ألفا.

وكان الناصر إذا أطعم أشبع، وإذا ضرب أوجع، وله مواطن يعطي فيها عطاء من لا يخاف الفقر. ووصل رجل معه ببغاء تقرأ " {قل هو الله أحد} " تحفة للخليفة من الهند، فأصبحت ميتة، وأصبح حيران، فجاءه فراش يطلب منه الببغاء، فبكى، وقال: الليلة ماتت، فقال: قد عرفنا هاتها ميتة، وقال: كم كان في ظنك أن يعطيك الخليفة؟ قال: خمسمائة دينار، فقال: هذه خمسمائة دينار خذها، فقد أرسلها إليك أمير المؤمنين، فإنه علم بحالك مذ خرجت من الهند!

وكان صدر جهان قد صار إلى بغداد ومعه جمع من الفقهاء، وواحد منهم لما خرج من داره من سمرقند على فرس جميلة، فقال له أهله: لو تركتها عندنا لئلا تؤخذ منك في بغداد؟ فقال: الخليفة لا يقدر أن يأخذها مني، فأمر بعض الوقادين أنه حين يدخل بغداد يضربه، ويأخذ الفرس ويهرب في الزحمة، ففعل، فجاء الفقيه يستغيث فلا يغاث، فلما رجعوا من الحج خلع على صدر جهان وأصحابه سوى ذلك الفقيه، وبعد الفراغ منهم، خلع عليه، وأخرج إلى الباب وقدمت له فرسه وعليها سرج من ذهب وطوق، وقيل له: لم يأخذ فرسك الخليفة، إنما أخذها أتوني، فخر مغشيا عليه، وأسجل بكراماتهم.

قلت: يجوز أن يكون الخليفة أو لبعض خواصه رئي من الجن، فيخبره بأضعاف هذا، والخطب في هذا سهل، فقد رأينا أنموذج هذا في زماننا بل وأكثر منه.

قال الموفق عبد اللطيف: وفي وسط ولايته اشتغل برواية الحديث، -[٦٩٠]- واستناب نوابا في ذلك، وأجرى عليهم جرايات، وكتب للملوك والعلماء إجازات. وجمع كتابا سبعين حديثا ووصل على يد شهاب الدين إلى حلب، وسمعه الملك الظاهر وجماهير الدولة، وشرحته شرحا حسنا، وسيرته صحبة شهاب الدين. وسبب انعكافه على الحديث أن الشريف العباسي قاضي القضاة نسب إليه تزوير، فأحضر القاضي وثلاثة شهود، فعزز القاضي بأن حركت عمامته فقط، وعزز الثلاثة بأن أركبوا جمالا وطيف بهم المدينة يضربون بالدرة، فمات واحد تلك الليلة، وآخر لبس لبس الفساق ودخل بيوتهم، والثالث لزم بيته

واختفى وهو البندنيجي المحدث رفيقنا. فبعد مدة احتاج، وأراد بيع كتبه، ففتش الجزاز، فوجد فيه إجازة للخليفة من مشايخ بغداد، فرفعها، فخلع عليه، وأعطي مائة دينار، وجعل وكيلا عن أمير المؤمنين في الإجازة والتسميع.

قلت: أجاز الناصر لجماعة من الأعيان فحدثوا عنه منهم: أبو أحمد بن سكينة، وأبو محمد ابن الأخضر، وقاضي القضاة أبو القاسم ابن الدامغاني، وولده الظاهر بأمر الله، والملك العادل، وبنوه المعظم والكامل والأشرف.

قال ابن النجار: شرفني بالإجازة، فرويت عنه بالحرمين، وبيت المقدس، ودمشق، وحلب، وبغداد، وأصبهان، ونيسابور، ومرو، وهمذان. ثم روى عنه حديثا بالإجازة التي أذن له بخطه.

وقال الموفق عبد اللطيف: وأقام سنين يراسل جلال الدين حسن صاحب ألموت يراوده أن يعيد شعار الإسلام من الصلاة والصيام وغير ذلك مما رفعوه في زمان سنان، ويقول: إنكم إذا فعلتم ذلك كنا يدا واحدة، ولم يتغير عليكم من أحوالكم شيء، ومن يروم هذا من هؤلاء، فقد رام منال العيوق، واتفق أن رسول خوارزم شاه بن تكش ورد في أمر من الأمور، فزور على لسانه كتب في حق الملاحدة تشتمل على الوعيد، وعزم الإيقاع بهم، وأنه سيخرب -[٦٩١]- قلاعهم، ويطلب من الخليفة المعونة في ذلك، وأحضر رجل منهم كان قاطنا ببغداد، ووقف على الكتب، وأخرج بها وبكتب أخرى على وجه النصيحة نصف الليل على البريد، فلما وصل ألموت، أرهبهم، فما وجدوا مخلصا إلا التظاهر بالإسلام، وإقامة شعاره. وسيروا إلى بغداد رسولا ومعه مائتا شاب منهم، ودنانير كبارا في مخانق، وعليها " لا إله إلا الله محمد رسول الله "، وطافوا بها في بغداد، وجميع من حولها يعلن بالشهادتين.

وكان الناصر لدين الله قد ملأ القلوب هيبة وخيفة. فكان يرهبه أهل الهند ومصر كما يرهبه أهل بغداد، فأحيى هيبة الخلافة وكانت قد ماتت بموت المعتصم، ثم ماتت بموته. ولقد كنت بمصر والشام في خلوات الملوك والأكابر، فإذا جرى ذكره، خفضوا أصواتهم هيبة وإجلالا.

وورد بغداد تاجر معه متاع دمياط المذهب، فسألوه عنه، فأنكر، فأعطي علامات فيه من عدده وألوانه وأصنافه، فازداد إنكاره، فقيل له: من العلامات أنك نقمت على مملوكك التركي فلان، فأخذته إلى سيف بحر دمياط خلوة، وقتلته ودفنته هناك، ولم يشعر بذلك أحد.

قال ابن النجار في ترجمة الناصر: دانت له السلاطين، ودخل تحت طاعته من كان من المخالفين، وذلت له العتاة والطغاة، وانقهرت بسيفه الجبابرة والبغاة، واندحض أضداده وأعداؤه، وكثر أنصاره وأولياؤه، وفتح

البلاد العديده، وملك من الممالك ما لم يملكه من تقدمه من الخلفاء والملوك أحد، وخطب له ببلاد الأندلس وبلاد الصين، وكان أسد بني العباس، تتصدع لهيبته الجبال، وتذل لسطوته الأقيال. وكان حسن الخلق، لطيف الخلق، كامل الظرف، فصيح اللسان، بليغ البيان، له التوقيعات المسددة، والكلمات المؤيدة، كانت أيامه غرة في وجه الدهر، ودرة في تاج الفخر. وقد حدثني الحاجب أبو طالب علي بن محمد بن جعفر قال: برز توقيع من الناصر لدين -[٦٩٢]- الله إلى جلال الدين ابن يونس صدر المخزن: " لا ينبغي لأرباب هذا المقام أن يقدموا على أمر لم ينظروا في عاقبته، فإن النظر قبل الإقدام خير من الندم بعد الفوات، ولا يؤخذ البراء بقول الأعداء، فلكل ناصح كاشح، ولا يطالب بالأموال من لم يخن في الأعمال، فإن المصادرة مكافأة للظالمين، وليكن العفاف والتقى رقيبان عليك ". قال الحاجب أبو طالب: وبرز توقيع آخر منه إلى ابن يونس: " قد تكرر تقدمنا إليك مما افترضه الله علينا، ويلزمنا القيام به؛ كيف يهمل حال الناس حتى تم عليهم ما قد بين في باطنها، فتنصف الرجل، وتقابل العامل إن لم يفلج بحجة شرعية ".

وقال القاضي ابن واصل: كان الناصر شهما، شجاعا، ذا فكرة صائبة وعقل رصين، ومكر ودهاء، وكانت هيبته عظيمة جدا، وله أصحاب أخبار في العراق وسائر الأطراف، يطالعونه بجزئيات الأمور، حتى ذكر أن رجلا ببغداد عمل دعوة، وغسل يده قبل أضيافه، فطالع صاحب الخبر الناصر بذلك. فكتب في جواب ذلك: " سوء أدب من صاحب الدار، وفضول من كاتب المطالعة ".

قال: وكان مع ذلك رديء السيرة في الرعية، مائلا إلى الظلم والعسف، فخربت في أيامه العراق، وتفرق أهلها في البلاد، وأخذ أموالهم وأملاكهم، وكان يفعل أفعالا متضادة، إلى أن قال: وكان يتشيع، ويميل إلى مذهب الإمامية بخلاف آبائه، إلى أن قال: وبلغني أن شخصا كان يرى صحة خلافة يزيد، فأحضره الخليفة ليعاقبه، فقيل له: أتقول بصحة خلافة يزيد؟ فقال: أنا أقول: إن الإمام لا ينعزل بارتكاب الفسق، فأعرض الناصر عنه، وأمر بإطلاقه، وخاف المحاققة.

قال: وسئل ابن الجوزي، والخليفة يسمع: من أفضل الناس بعد -[٦٩٣]- رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فقال: أفضلهم بعده من كانت ابنته تحته، وهذا جواب محتمل لأبي بكر وعلي - رضي الله عنهما -.

وكتب إلى الناصر خادم له اسمه يمن ورقه فيها يعتب، فوقع فيها: " بمن يمن يمن، ثمن يمن ثمن ".

وقال أبو المظفر الجوزي: قل بصر الخليفة في الآخر، وقيل: ذهب جملة. وكان خادمه رشيق قد استولى

على الخلافة، وأقام مدة يوقع عنه. وكان بالخليفة أمراض مختلفة، منها عسر البول، والحصى، ووجد منه شدة وشق ذكره مرارا، وما زال يعتريه حتى قتله. وغسله خالي محيي الدين يوسف.

وقال الموفق: أما مرض موته، فسهو نسيان، بقي به ستة أشهر ولم يشعر أحد من الرعية بكنه حاله، حتى خفي على الوزير وأهل الدار. وكان له جارية قد علمها الخط بنفسه، فكانت تكتب مثل خطه، فتكتب على التواقيع بمشورة قهرمانة الدار. وفي أثناء ذلك نزل جلال الدين محمد خوارزم شاه على ضواحي بغداد هاربا منفضا من المال والرجال والدواب، فأفسد بقدر ما كانت تصل يده إليه. وكانوا يدارونه ولا يمضون فيه أمرا لغيبة رأي الخليفة عنهم، إلى أن راح إلى أذربيجان، ونهب في ذهابه دقوقا واستباحها. وكانت خلافته سبعا وأربعين سنة. توفي في سلخ رمضان، وبويع لولده أبي نصر ولقب بالظاهر بأمر الله؛ فكانت خلافته تسعة أشهر.

وذكر العدل شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري، قال: حدثني والدي قال: سمعت الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي لما كان -[٦٩٤]- على الأستاذدارية، يقول: إن الماء الذي يشربه الإمام الناصر كانت تجيء به الدواب من فوق بغداد بسبعة فراسخ، ويغلى سبعة غلوات، كل يوم غلوة، ثم يحبس في الأوعية سبعة أيام، ثم يشرب منه، وبعد هذا ما مات حتى سقي المرقد ثلاث مرار وشق ذكره وأخرج منه الحصى.

وقال ابن الساعي: فأصبح الناس يوم الاحد – يعني يوم الثلاثين من رمضان – وقد أغلقت أبواب دار الخلافة، وتولى غسله محيي الدين ابن الجوزي، وصلى عليه ولده الظاهر بأمر الله بعد أن بويع، بايعه أولا أقاربه، ثم نائب الوزارة مؤيد الدين محمد القمي وولده فخر الدين أحمد، والأستاذ دار عضد الدولة أبو نصر ابن الضحاك، وقاضي القضاة محيي الدين ابن فضلان الشافعي، والنقيب قوام الدين أبو علي الموسوي. ودفن بصحن الدار، ثم نقل بعد شهرين إلى الترب، ومشى الخلق بين يدي جنازته. وأما بيعة الظاهر، فهي في سنة اثنتين في الحوادث.

وقال ابن الأثير: بقي الناصر ثلاث سنين عاطلا عن الحركة بالكلية وقد ذهبت إحدى عينيه، وفي الآخر أصابه دوسنطاريا عشرين يوما، ومات ولم يطلق في طول مرضه شيئا مما كان أحدثه من الرسوم. وكان سيئ السيرة خرب في أيامه العراق، وتفرق أهله في البلاد، وأخذ أموالهم وأملاكهم. قال: وكان يفعل الشيء وضده، جعل همه في رمي البندق والطيور المناسيب، وسراويلات الفتوة.

ونقل الظهير الكازروني في " تاريخه " وأجازه لي أن الناصر في وسط خلافته هم بترك الخلافة، والانقطاع

إلى التعبد. وكتب عنه ابن الضحاك -[٦٩٥]- توقيعا فقرئ على الأعيان، وبني رباطا للفقراء، وأتخذ إلى جانب الرباط دارا لنفسه كان يتردد إليها، ويحادث الصوفية وعمل له ثيابا كثيرة بزي الصوفية.

قلت: ثم ترك ذلك، ومل، الله تعالى يسامحه ويرحمه.." (١)

"٤١١ - يوسف القميني. [المتوفى: ٦٥٧ هـ]

شيخ مشهور بدمشق. للناس فيه حسن اعتقاد. وكان يأوي إلى القمامين والمزابل التي هي مأوى الشياطين، ويلبس ثيابا تكنس الأرض، وتتنجس ببوله، ويمشي حافيا، ويترنح في مشيته. وله أكمام، طوال، ورأسه مكشوف، وكان طويل السكوت، ذا مهابة ووله ما، ويحكى عنه عجائب وكشوفات. -[٨٧٠]-

وكان يأوي إلى قمين حمام نور الدين، ولما توفي شيعة خلق لا يحصون من العامة.

وقد بصرنا الله تعالى وله الحمد وعرفنا هذا النموذج، وأن لهم شياطين تطمع فيهم لنقص عقولهم، وتجري فيهم مجرى الدم، وتتكلم على ألسنتهم بالمغيبات، فيضل الناس، ويتألهونهم، ويعتقدون أنهم أولياء لله، فإنا لله وإنا إليه راجعون. فقد عم البلاء في الخلق بهذا الضرب، ولكن الله يثيب الناس على حسن قصدهم، وإن جهلوا وأخطؤوا، ويغفر لهم بلا شك إذا كان قصدهم ابتغاء وجهه الكريم.

وهذا زماننا فيه وأحد اسمه إبراهيم بظاهر باب شرقي، له كشوفات كالشمس، وما أكثرها. أقام أربع سنين في دكان برا الباب، ثم تحول إلى قمين حمام الفواخير، وهو زطي، سفيه، نجس، قد أحرقته السوداء، وله شيطان ينطق على لسانه، فما اجهل من يعتقد في هذا وشبهه أنه ولي لله، والله يقول في أوليائه: {الذين آمنوا وكانوا يتقون}، وقد كان في الجاهلية خلق من الكهان يخبرون بالمغيبات، والرهبان لهم كشف وإخبار بالمغيبات، والساحر يخبر بالمغيبات. وفي زماننا نساء ورجال بهم مس من الجن يخبرون بالمغيبات على عدد الأنفاس.

وقد صنف شيخنا ابن تيمية غير مسألة في أن أحوال هؤلاء وأشباههم شيطانية، ومن هذه الأحوال الشيطانية التي تضل العامة أكل الحيات، ودخول النار، والمشي في الهواء، ممن يتعانى المعاصي، ويخل بالواجبات. فنسأل الله العون على اتباع صراطه المستقيم، وأن يكتب الإيمان في قلوبنا، وأن يؤيدنا بروح منه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد يجيء الجاهل فيقول: اسكت لا تتكلم في أولياء الله. ولم يشعر أنه هو الذي تكلم في أولياء الله

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار١٣/٦٨٦

وأهانهم، إذ أدخل فيهم هؤلاء الأوباش المجانين أولياء الشياطين، قال الله تعالى: {وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم} ثم قال: {وإن أطعتموهم إنكم لمشركون}، وما اتبع الناس الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب إلا لإخبارهما بالمغيبات، ولا عبدت الأوثان -[٨٧١]-
إلا لذلك، ولا ارتبط خلق بالمنجمين إلا لشيء من ذلك، مع أن تسعة أعشار ما يحكى من كذب الناقلين. وبعض الفضلاء تراه يخضع للمولهين والفقراء النصابين لما يرى منهم. وما يأتي به هؤلاء يأتي بمثله الرهبان، فلهم كشوفات وعجائب، ومع هذا فهم ضلال من عبدة الصلبان، فأين يذهب بك؟! ثبتنا الله بالقول الثابت وإياك.." (١)

"٣٦٥ - مظفر ابن القاضي مجد الدين عبد الرحمن بن رمضان بن إبراهيم، الحكيم بدر الدين الطبيب، شيخ الطب، المعروف بابن قاضي بعلبك. [المتوفى: ٦٧٠ هـ]-[١٨٩]-
قرأت بخط الإمام شمس الدين محمد بن الفخر أنه توفي في يوم الثلاثاء ثاني وعشرين صفر سنة سبعين، قال: وكان رئيس الأطباء شرقا وغربا، فيلسوف زمانه، لم نعلم في وقته مثله. انهدم بعده ركن من الحكمة. وله مصنفات عظيمة النفع في الطب. ووقع له من حسن العلاج في زماننا ما لم يقع إلا للأكابر، فمنه أن الملك المنصور صاحب حماة نزل به خوانيق أشرف منها على الموت، فأنفذ إلى دمشق يطلب البدر المذكور والموفق السامري فذهبا إليه فكوياه في وسط رأسه بميل من ذهب، فبرأ وأعطاهما شيئا عظيما. وكان ذلك بإشارة البدر.
قال ابن أبي أصيبعة: نشأ بدمشق وقد جمع الله فيه من العلم الغزير والذكاء المفرط والمروءة ما تعجز الألسن عن وصفه، قرأ الطب على الدخوار وأتقنه في أوسع وقت وحفظ كثيرا من الكتب. وكان ملازما له. عرض عليه مقالته في الاستفراغ وسافر معه إلى الشرق. وخدم بمارستان الرقة. وصنف مقالة في مزاج الرقة. واشتغل بها على الزين الأعمى الفيلسوف، ثم قدم دمشق، فلما تسلطن الجواد بدمشق استخدمه وحظي عنده وتمكن. وولاه رياسة الأطباء والكحالين والجراحية وكتب له منشورا في صفر سنة سبع وثلاثين وقد اشترى دورا إلى جانب مارستان نور الدين وغرم عليها مبلغا وكبر بها قاعات للمرضى وبناها أحسن بناء. وشكروه على ذلك وخدم الملك الصالح وغيره. ثم تجرد لحفظ مذهب أبي حنيفة. وسكن بيتا في القليجية. وحرر حفظ القرآن، ثم القراءات وأخذها عن الإمام أبي شامة على كبر واتقنها.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ١٤/٨٦٩

وفيه عبادة ودين وقد مدحه ابن أبي أصيبعة بقصائد في " تاريخه ". وله كتاب " مفرج النفس " استوفى فيه الأدوية القلبية وكتاب " الملح " في الطب.." (١)

" ٧١ - عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور بن هبة الله، الشيخ الجليل، مسند الديار المصرية، نجيب الدين، أبو الفرج، ابن الإمام الواعظ أبي محمد بن الصيقل النميري، الحراني، الحنبلي، التاجر، السفار. [المتوفى: ٦٧٢ هـ]

ولد سنة سبع وثمانين وخمسمائة بحران، وأسمعه أبوه ببغداد من عبد المنعم بن كليب، وأبي طاهر المبارك ابن المعطوش، وأبي الفرج ابن الجوزي وأبي القاسم هبة الله ابن السبط، وأبي الحسن عبد الرحمن العمري وعبد الله بن أبي المجد، وأبي الفرج ابن ملاح الشط، وعبد الوهاب ابن سكينة، والحسن بن إبراهيم بن قحطبة ابن أشنانة وعبد الله ابن مسلم بن جوالق، وعبد الملك بن مواهب الوراق، وعمر بن محمد القطان، والمبارك بن إبراهيم ابن السبيي، وعبد الله بن أبي بكر ابن الطويلة أصحاب ابن الحصين وطائفة -[٢٤٤]-

سواهم وأجاز له من إصبهان: أبو جعفر الطرسوسي ومسعود الجمال وخليل الراراني وأبو المكارم اللبان.

وروى الكثير ببغداد ودمشق ومصر؛ وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وازدحم عليه الطلبة والنقاد، وألحق الأحفاد بالأجداد؛ وكان يجهز البز ويتكسب بالمتاجر. وله وجاهة وحرمة وافرة عند الدولة، ثم انقطع إلى رواية الحديث، وولي مشيخة دار الحديث الكاملية إلى أن مات في مستهل صفر.

وقد خرج له الشريف عز الدين "مشيخة" في خمسة أجزاء، وخرج له "ثمانيات" في أربعة أجزاء. وخرج له شيخنا ابن الظاهري " الموافقات " في ثلاثة عشر جزءا، "والأبدال العوالي " في أربعة أجزاء، و" المصافحات " في جزأين وغير ذلك.

وكان شيخا متميزا، حسن البزة، دينا، صينا، صدوقا، صحيح السماعات. وجرت عليه محنة من الدولة ولطف الله به.

روى عنه ابن الظاهري والدمياطي - وحضرا ولديهما عليه - وقاضي القضاة بدر الدين، وقاضي القضاة نجم الدين، وقاضي القضاة سعد الدين، والشيخ كمال الدين ابن الشريشي، والشيخ نصر المنبجي، والعفيف أبو بكر الصوفي الهنداسة، ومحمد ابن الشرف الميدومي، والصفي محمود الأرموي، والشيخ علي

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار١٥/١٨٨

الموصلي، ومحمد بن عبد الله بن محمود الحراني، وبهاء الدين يوسف ابن العجمي، وهارون الكنجي، وأحمد ابن الشيخ علي القارئ، وأبو نعيم ابن التقي الإسعردي، وعز الدين عبد العزيز بن غازي الحموي، والعفيف عبد الخالق ابن الفارغ، ومحمد وأحمد ابنا المحب والتقي أحمد بن العز، ومحمد بن عمر اللاوي، وعلاء الدين الكندي، والجمال يوسف بن إبراهيم القاضي، والشرف يعقوب بن أحمد الحلبي، وأحمد بن علي العلامي، وأحمد بن على الكلوتاتي وأحمد بن عبد الرحيم المنشاوي، وفخر الدين أحمد بن محمد ابن النطاع الأنصاري، وبدر الدين محمد بن منصور ابن الجوهري، وأخوه شهاب الدين أحمد، والقطب إبراهيم ابن الملك المجاهد إسحاق ابن صاحب الموصل، وشمس الدين حسين بن أسد ابن الأثير، وأخوه بهاء الدين -[٢٤٥]-
سليمان وكمال الدين عبد الرحمن البسطامي، الحنفي وبهاء الدين علي بن عثمان بن أبي الحوافر، والنجم محمد بن إبراهيم بن بنين، ومحمد بن سعد الصفار، ومحمد بن شعبان الخلاطي، وفتح الدين محمد بن عثمان الشارعي، وقطب الدين محمد بن عبد الوهاب بن مرتضى، وصدر الدين محمد بن أبي بكر ابن البوري، وعالم كثير بمصر والشام من كهول زماننا، عمرهم الله في طاعته.." (١)

"-سنة خمس وستين

توفي فيها أسيد بن ظهير الأنصاري، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، وسليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، ومالك بن هبيرة السكوني - وله صحبة - والنعمان بن بشير في أول سنة - وقيل: في آخر سنة أربع - والحارث بن عبد الله الهمداني الأعور. -[٥٩٩]-

ولما انقضت وقعة مرج راهط في أول السنة بايع أكثر أهل الشام لمروان، فبقي تسعة أشهر ومات، وعهد إلى ابنه عبد الملك.

وفيها دخل المهلب بن أبي صفرة الأزدي خراسان أميرا عليها من جهة ابن الزبير، فكلمه أميرها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي في قتال الأزارقة والخوارج، وأشار بذلك الأحنف بن قيس، وأمدوه بالجيوش، فسار وحارب الأزارقة أصحاب ابن الأزرق، وصابرهم على القتال حتى كسرهم، وقتل منهم أربعة آلاف وثماني مائة.

وفيها سار مروان بجيوشه إلى مصر، وقد كان كاتبه كريب بن أبرهة وعابس بن سعيد قاضي مصر،

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار١٥/٢٤٣

فحاصر جيشه والي مصر لابن الزبير، فخندق على البلد، وخرج أهل مصر، وهو اليوم الذي يسمونه يوم التراويح، لأن أهل مصر كانوا ينتابون القتال ويستريحون، واستحر القتل في المعافر، فقتل منهم خلق، وقتل يومئذ عبد الله بن يزيد بن معدي كرب الكلاعي أحد الأشراف، ثم صالحوا مروان، فكتب لهم كتابا بيده، وتفرق الناس، وأخذوا في دفن قتلاهم وفي البكاء، ثم تجهز والي مصر عبد الرحمن بن جحدم وأسرع إلى ابن الزبير، وضرب مروان عنق ثمانين رجلا تخلفوا عن مبايعته، وضرب عنق الأكيدر بن حمام اللخمي سيد لخم وشيخها في هذه الأيام، وكان من قتلة عثمان رضي الله عنه، وذلك في نصف جمادي الآخرة يوم مات عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وما قدروا يخرجون بجنازة عبد الله، فدفنوه بداره.

واستولى مروان على مصر، وأقام بها شهرين، ثم استعمل عليها ابنه عبد العزيز، وترك عنده أخاه بشر بن مروان، وموسى بن نصير وزيرا، وأوصاه بالمبالغة في الإحسان إلى الأكابر، ورجع إلى الشام.

وفيها وفد الزهري على مروان، قال عنبسة بن سعيد، عن يونس، عن الزهري: وفدت على مروان وأنا محتلم.

قلت: وهذا بعيد، وإنما المعروف وفادته أول شيء على عبد الملك في أواخر إمارته.

وفيها وجه مروان حبيش بن دلجة القيني في أربعة آلاف إلى المدينة، -[٦٠٠]- وقال له: أنت على ما كان عليه مسلم بن عقبة، فسار ومعه عبيد الله بن الحكم أخو مروان، وأبو الحجاج يوسف الثقفي، وابنه الحجاج وهو شاب، فجهز متولي البصرة من جهة ابن الزبير عمر بن عبيد الله التيمي جيشا من البصرة، فالتقوا هم وحبيش بالربذة في أول رمضان، فقتل حبيش بن دلجة وعبيد الله بن الحكم وأكثر ذلك الجيش، وهرب من بقي، فتخطفتهم الأعراب، وهرب الحجاج ردف أبيه.

وفيها دعا ابن الزبير محمد ابن الحنفية إلى بيعته فأبى عليه، فحصره في شعب بني هاشم في جماعة من بنيه وشيعته وتوعدهم.

وفيها خرج بنو ماحوز بالأهواز وفارس، وتقدم عسكرهم، فاعترضوا أهل المدائن، فقتلوهم أجمع، ثم ساروا إلى أصبهان، وعليها عتاب بن ورقاء الرياحي، فقتل ابن ماحوز، وانهزم الخوارج الذين معه، ثم أمروا عليهم قطري بن الفجاءة.

وأما نجدة الحروري فإنه قدم في العام الماضي في جموعه من الحرورية على ابن الزبير وقاتلوا معه، فلما ذهب أهل الشام اجتمعوا بابن الزبير وسألوه ما يقول في عثمان؟ فقال: تعالوا العشية حتى أجيبكم، ثم هيأ أصحابه بالسلاح، فجاءت الخوارج، فقال نافع بن الأزرق لأصحابه: قد خشي الرجل غائلتكم، ثم دنا

منه فقال: يا هذا، اتق الله وابغض الجائر، وعاد أول من سن الضلالة، وخالف حكم الكتاب، وإن خالفت فأنت من الذين استمتعوا بخلاقهم طيباتهم في حياتهم الدنيا. ثم تكلم خطيب القوم عبيدة بن هلال، فأبلغ. ثم تكلم ابن الزبير، فقال في آخر مقالته: أنا ولي عثمان في الدنيا والآخرة، قالوا: فبرئ الله منك يا عدو الله، فقال: وبرئ الله منكم يا أعداء الله، فتفرقوا على مثل هذا ورحلوا، فأقبل نافع بن الأزرق الحنظلي، وعبد الله بن صفوان السعدي، وعبد الله بن إباض، وحنظلة بن بيهس، وعبد الله وعبيد الله والزبير بنو الماحوز اليربوعي، حتى قدموا البصرة، وانطلق أبو طالوت وأبو فديك عبد الله بن ثور وعطية -[٦٠١]- اليشكري فوثبوا باليمامة، ثم اجتمعوا بعد ذلك على نجدة بن عامر الحنفي الحروري. ولما رجع مروان إلى دمشق إذا مصعب بن الزبير قد قدم في عسكر من الحجاز يطلب فلسطين، فسرح مروان لحربه عمرو بن سعيد الأشدق فقاتلهم، فانهزم أصحاب مصعب.

وورد أن مروان تزوج بأم خالد بن يزيد بن معاوية، وجعله ولي عهده من بعده، ثم بعده عمرو بن سعيد، ثم لم يتم ذلك.

وفيها بايع جند خراسان سلم بن زياد بن أبيه بعد موت معاوية بن يزيد، وأحبوه حتى يقال: سموا باسمه تلك السنة أكثر من عشرين ألف مولود، فبايعوه على أن يقوم بأمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة، ثم نكثوا واختلفوا، فخرج سلم وترك عليهم المهلب بن أبي صفرة، فلقيه بنيسابور عبد الله بن خازم السلمي، فقال: من وليت على خراسان؟ فأخبره، قال: ما وجدت في مضر رجلا تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل وأزد عمان؟ وقال: اكتب لي عهدا على خراسان، فكتب له، وأعطاه مائة ألف درهم، فأقبل إلى مرو، فبلغ المهلب الخبر فتهيأ، وغلب ابن خازم على مرو، ثم سار إلى سليمان بن مرثد، فاقتتلوا أياما، فقتل سليمان، ثم سار ابن خازم إلى عمرو بن مرثد وهو بالطالقان في سبعمائة، فبلغ عمرا فسار إليه، فالتقوا فقتل عمرو، وهرب أصحابه إلى هراة وبها أوس بن ثعلبة، فاجتمع له خلق كثير وقالوا: نبايعك على أن تسير إلى ابن خازم فتخرج مضر من خراسان كلها، فقال: هذا بغي، وأهل البغي مخذولون، فلم يطيعوه، وسار إليهم ابن خازم، فخندقوا على هراة، فاقتتلوا نحو سنة، وشرع ابن خازم يلين لهم، فقالوا: لا، إلا أن تخرج مضر من خراسان، وإما أن ينزلوا عن كل سلاح ومال، فقال ابن خازم: وجدت إخواننا قطعا للرحم، قال: قد أخبرتك أن ربيعة لم تزل غضابا على ربها مذ بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم من مضر. ثم كانت بينه وبين أوس بعد الحصار الطويل وقعة هائلة، أثخن فيها أوس بالجراحات، وقتلت ربيعة قتلا ذريعا، وهرب أوس إلى سجستان فمات بها، وقتل من جنده يومئذ من بكر بن وائل ثمانية

آلاف، واستخلف ابن -[٦٠٢]- خازم ولده على هراة، ورجع إلى مرو.

وفيها سار المختار بن أبي عبيد الثقفي في رمضان من مكة، ومعه إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله أميرا من قبل ابن الزبير على خراج الكوفة، فقدم المختار الكوفة والشيعة قد اجتمعت على سليمان بن صرد، فليس يعدلون به، فجعل المختار يدعوهم إلى نفسه وإلى الطلب بدم الحسين، فتقول الشيعة: هذا سليمان شيخنا، فأخذ يقول لهم: إني قد جئتكم من قبل المهدي محمد ابن الحنفية، فصار معه طائفة من الشيعة، ثم قدم على الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي من قبل ابن الزبير، فنبهوه على أمر الشيعة، وأن نيتهم أن يتوثبوا، فخطب الناس، وسب قتلة الحسين، ثم قال: ليبشر هؤلاء القوم وليخرجوا ظاهرين إلى قاتل الحسين عبيد الله بن زياد، فقد أقبل إليهم، وأنا لهم على قتاله ظهير، فقتاله أولى بكم، فقام إبراهيم بن محمد بن طلحة فنقم عليه هذه المقالة وعابها، فقام إليه المسيب بن نجبة فسبه، وشرعوا يتجهزون للخروج إلى ملتقى عبيد الله بن زياد.

وقد كان سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة الفزاري؛ وهما من شيعة علي ومن كبار أصحابه، خرجا في ربيع الآخر يطلبون بدم الحسين بظاهر الكوفة في أربعة آلاف، ونادوا: يا لثارات الحسين، وتعبدوا بذلك، ولكن ثبط المختار جماعة وقال: إن سليمان لا يصنع شيئا، إنما يلقي بالناس إلى التهلكة، ولا خبرة له بالحرب، وقام سليمان في أصحابه فحض على الجهاد، وقال: من أراد الدنيا فلا يصحبنا، ومن أراد وجه الله والثواب في الآخرة فذلك منا، وقام صخر بن حذيفة المزني فقال: آتاك الله الرشد، أيها الناس، إنما أخرجتنا التوبة من ذنبنا والطلب بدم ابن بنت نبينا، ليس معنا دينار ولا درهم، إنما نقدم على حد السيوف. وقام عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي في قومه، فدخل على سليمان بن صرد، فقال: إنما خرجنا نطلب بدم الحسين، وقتلته كلهم بالكوفة؛ عمر بن سعد، وأشراف القبائل، فقالوا: لقد جاء برأي، وما نلقى إن سرنا إلى الشام إلا عبيد الله بن زياد، فقال سليمان: أنا أرى أنه هو الذي قتله، وعبأ الجنود وقال: لا أمان له عندي دون أن يستسلم فأمضي فيه حكمي، فسيروا إليه، وكان عمر -[٦٠٣]- ابن سعد في تلك الأيام خائفا، لا يبيت إلا في قصر الإمارة، فخرج عبد الله بن يزيد الخطمي وإبراهيم بن محمد فأتيا سليمان بن صرد، فقال: إنكم أحب أهل بلدنا إلينا، فلا تفجعونا بأنفسكم، ولا تنقصوا عددنا بخروجكم، أقيموا معنا حتى نتهيأ، فإذا علمنا أن عدونا قد شارف بلادنا خرجنا كلنا فقاتلناه، فقال سليمان: قد خرجنا لأمر، ولا نرانا إلا شاخصين إن شاء الله، قال: فأقيموا حتى نعبئ معكم جيشا كثيفا، فقال: سأنظر ويأتيك رأيي. ثم سار، وخرج معه كل مستميت، وانقطع عنه بشر كثير، فقال

سليمان: ما أحب أن من تخلف عنكم معكم، وأتوا قبر الحسين فبكوا، وأقاموا يوما وليلة يصلون عليه ويستغفرون له، وقال سليمان: يا رب، إنا قد خذلناه، فاغفر لنا وتب علينا.
ثم أتاهم كتاب عبد الله بن يزيد من الكوفة ينشدهم الله ويقول: أنتم عدد يسير، وإن جيش الشام خلق، فلم يلووا عليه، ثم قدموا قرقيسياء، فنزلوا بظاهرها وبها زفر بن الحارث الكلابي قد حصنها، فأتى بابها المسيب بن نجبة، فأخبروا به زفر فقال: هذا فارس مضر الحمراء كلها، وهو ناسك دين، فأذن له ولاطفه، فقال: ممن نتحصن، إنا والله ما إياكم نريد، فأخرجوا لنا سوقا، فأمر لهم بسوق، وأمر للمسيب بفرس، وبعث إليهم من عنده بعلف كثير، وبعث إلى وجوه القوم بعشر جزائر عشر جزائر وعلف وطعام، فما احتاجوا إلى شراء شيء من السوق، إلا مثل سوط أو ثوب، وخرج فشيعهم وقال: إنه قد بعث خمسة أمراء قد فصلوا من الرقة؛ حصين بن نمير السكوني، وشرحبيل بن ذي الكلاع، وأدهم بن محرز الباهلي، وربيعة بن المخارق الغنوي، وجبلة الخثعمي، وهم عدد كثير، فقال سليمان: على الله توكلنا، قال زفر: فتدخلون مدينتنا، ويكون أمرنا واحدا، ونقاتل معكم، فقال: قد أرادنا أهل بلدنا على ذلك فلم نفعل، قال: فبادروهم إلى عين الوردة، فاجعلوا المدينة في ظهوركم، ويكون الرستاق والماء في أيديكم، ولا تقاتلوهم في فضاء، فإنهم أكثر منكم فيحيطون بكم، ولا تراموهم، ولا تصفوا لهم، فإني لا أرى معكم رجالا والقوم ذوو رجال وفرسان، والقوهم كراديس. -[٦٠٤]-
قال: فعبأ سليمان بن صرد كتائبه، وانتهى إلى عين الوردة، فنزل في غربيها وأقام خمسا، فاستراحوا وأراحوا خيولهم، ثم قال سليمان: إن قتلت فأميركم المسيب، فإن أصيب فالأمير عبد الله بن سعد بن نفيل، فإن قتل فالأمير عبد الله بن وال، فإن قتل فالأمير رفاعة بن شداد، رحم الله من صدق ما عاهد الله عليه، ثم جهز المسيب بن نجبة في أربعمائة، فانقضوا على مقدمة القوم وعليها شرحبيل بن ذي الكلاع، وهم غارون، فقاتلوهم فهزموهم، وأخذوا من خيلهم وأمتعتهم وردوا، فبلغ الخبر عبيد الله بن زياد، فجهز إليهم الحصين بن نمير في اثني عشر ألفا، ثم أردفهم بشرحبيل في ثمانية آلاف، ثم أمدهم من الصباح بأدهم بن محرز في عشرة آلاف، ووقع القتال، ودام الحرب ثلاثة أيام واقتتلوا قتالا لم ير مثله، وقتل من الشاميين خلق كثير، وقتل من التوابين، وكذا كانوا يسمون؛ لأنهم تابوا إلى الله من خذلان الحسين رضي الله عنه، فاستشهد أمراؤهم الأربعة، ثم تحيز رفاعة بمن بقي ورد إلى الكوفة، وكان المختار في الحبس، فكتب إلى رفاعة بن شداد: مرحبا بمن عظم الله لهم الأجر فأبشروا، إن سليمان قضى ما عليه، ولم يكن بصاحبكم الذي به تنصرون، إني أنا الأمير المأمور، وقاتل الجبارين، فأعدوا واستعدوا، وكان قد حبسه الأميران إبراهيم

بن محمد بن طلحة وعبد الله بن يزيد الخطمي، فبقي أشهرا، ثم بعث عبد الله بن عمر يشفع فيه إلى الأميرين، فضمنوه جماعة وأخرجوه، وحلفوه فحلف لهما مضمرا للشر، فشرعت الشيعة تختلف إليه وأمره يستفحل.

وكانت الكعبة احترقت في العام الماضي من مجمر، علقت النار في الأستار، فأمر ابن الزبير في هذا العام بهدمها إلى الأساس، وأنشأها محكمة، وأدخل من الحجر فيها سعة ستة أذرع، لأجل الحديث الذي حدثته خالته أم المؤمنين عائشة، ثم إنه لما نقضها ووصلوا إلى الأساس، عاينوه آخذا بعضه ببعض كأسنمة البخت، وأن الستة الأذرع من جملة الأساس، فبنوا على ذلك ولله الحمد، وألصقوا داخلها بالأرض، لم يرفعوا داخلها، وعملوا لها بابا آخر في ظهرها، ثم سده الحجاج، فذلك بين للناظرين، ثم قصر تلك الستة الأذرع فأخرجها من البيت، ودك تلك -[٦٠٥]- الحجارة في أرض البيت، حتى علا كما هو في زماننا، زاده الله تعظيما.

وغلب في هذه السنة عبد الله بن خازم على خراسان، وغلب معاوية الكلابي على السند، إلى أن قدم الحجاج البحرين، وغلب نجدة الحروري على البحرين وعلى بعض اليمن.

وأما عبيد الله بن زياد فإنه بعد وقعة عين الوردة مرض بأرض الجزيرة، فاحتبس بها وبقتال أهلها عن العراق نحوا من سنة، ثم قصد الموصل وعليها عامل المختار كما يأتي.." (١)

"٢٤١ - ع: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي، أبو جعفر الباقر، [الوفاة: ١١١ - ١٢٠ هـ]

سيد بني هاشم في زمانه

روى عن: جديه الحسن، والحسين، وعائشة، وأم سلمة، وابن عباس، وابن عمر، وأبي سعيد الخدري، وجابر، وسمرة بن جندب، وعبد الله بن جعفر، وأبيه، وسعيد بن المسيب، وطائفة.

وعنه: ابنه جعفر الصادق، وعمرو بن دينار، والأعمش، وربيعة الرأي، وابن جريج، والأوزاعي، وقرة بن خالد، ومخول بن راشد، وحرب بن سريج، والقاسم بن الفضل الحداني، وآخرون.

قال أحمد بن البرقي: مولده سنة ست وخمسين.

قلت: فعلي هذا لم يسمع من عائشة، ولا من جديه، مع أنه روايته عن جده الحسن بخطه، وعن عائشة،

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار٢/٥٩٨

في سنن النسائي، فهي منقطعه، وروايته عن سمرة عند أبي داود.

وكان أحد من جمع العلم، والفقه، والشرف، والديانة، والثقة، والسؤدد، وكان يصلح للخلافة، وهو أحد الاثني عشر الذين تعتقد الرافضة عصمتهم، ولا عصمة إلا لنبي، لأن النبي إذا أخطأ لا يقر على الزلة، بل يعاتب بالوحي على هفوة إن ندر وقوعها منه، ويتوب إلى الله - تعالى - كما -[٣٠٩]- جاء في سجدة (ص) أنها توبة نبي، وأما قولهم الباقر، فهو من بقر العلم أي شقة فعرف أصله وخفيه.

قال ابن فضيل. عن سالم بن أبي حفصة: سألت أبا جعفر وابنه جعفرا الصادق. عن أبي بكر، وعمر، فقالا لي: يا سالم تولهما وابرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامي هدى.

هذه حكاية مليحة، لأن راوييها سالم وابن فضيل، من أعيان الشيعة، لكن شيعة زماننا - عثرهم الله - ينالون من الشيخين، يحملون هذا القول من الباقر والصادق - رحمهما الله - على التقية.

قال إسحاق الأزرق. عن بسام الصيرفي: سألت أبا جعفر عن أبي بكر وعمر، فقال: والله إني لأتولاهما وأستغفر لهما، وما أدركت أحدا من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما.

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل قال: كنت أنا وأبو جعفر نختلف إلى جابر، نكتب عنه في ألواح، وروى أن أبا جعفر كان يصلي في اليوم والليلة مائة وخمسين ركعة، وقد عده النسائي وغيره في فقهاء التابعين بالمدينة.

قال ليث بن أبي سليم: دخلت على أبي جعفر محمد بن علي وهو يبكي ويذكر ذنوبه.

توفي أبو جعفر سنة أربع عشرة ومائة، قاله أبو نعيم، ومصعب الزبيري، وسعيد بن عفير، وقيل: سنة سبع عشرة ومائة.

وله إخوة أشراف: زيد - الذي صلب -، وعمر، وحسين، وعبد الله بنو زين العابدين - رحمه الله عليهم -.." (١)

"١١٨ - سلم بن سالم البلخي، أبو محمد الزاهد العابد. [الوفاة: ١٩١ - ٢٠٠ هـ]

حدث ببغداد عن عبيد الله بن عمر، وحميد الطويل، وابن جريج، وسفيان.

وعنه: أحمد بن منيع، والحسن بن عرفة، وسعدان بن نصر، وعلي بن محمد الطنافسي، وإبراهيم بن موسى الفراء، وغيرهم.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار٣/٣٠٨

قال أبو مقاتل السمرقندي: سلم في زماننا كعمر بن عبد العزيز في زمانه.

وقال ابن سعد: كان أمارا بالمعروف، وكان مطاعا، فأقدمه الرشيد فحبسه، حتى مات الرشيد فأطلقوه.

قال: وكان مرجئا ضعيفا.

قال الخطيب: كان مذكورا بالعبادة والزهد، ويذهب إلى الإرجاء.

وقال يحيى بن ماهان: سمعت محمد بن إسحاق اللؤلؤي يقول: رأيت سلم بن سالم مكث أربعين سنة لم يرفع رأسه إلى السماء ولم ير له فراش، ولم ير مفطرا إلا في العيد.

وقيل: إن الرشيد إنما حبسه لأنه قال: لو شئت أن أضرب الرشيد بمائة ألف سيف لفعلت.

وعن سلم قال: ما يسرني أن ألقي الله بعمل من مضى، وأن أقول: الإيمان قول وعمل.

وقال ابن المديني: أخبرني أبو يحيى قال: صحبت سلم بن سالم في طريق مكة، فما رأيته وضع جنبه في المحمل، إلا مرة مد رجله وجلس. -[١١٢١]-

وقال أبو معاوية: دعاني الرشيد لأحدثه، فقلت: سلم هبة لي. فعرفت منه الغضب، وقال: إن سلما ليس على رأيك ورأي أصحابك في الإرجاء، وقد جلس في مكة وقال: لو شئت أن أضرب أمير المؤمنين بمائة ألف سيف لفعلت. قال: فكلمته فيه، فخفف عنه من قيوده.

وقال أحمد بن حنبل: رأيته أتى أبا معاوية، وكان صديقا له، وكان عبدا صالحا، ولم أكتب عنه، كان لا يحفظ، ويخطئ.

وقال النسائي: ضعيف.

وقال ابن معين: ليس بشيء.

أخبرنا غنائم بن محاسن قال: أخبرنا عبد الله بن أبي نصر القاضي سنة عشرين وستمائة قال: أخبرنا عيسى بن أحمد الهاشمي قال: أخبرنا الحسين بن علي بن أحمد قال: أخبرنا عبد الله بن يحيى السكري قال: أخبرنا إسماعيل الصفار قال: حدثنا سعدان قال: حدثنا سلم بن سالم البلخي، عن علي بن عروة الدمشقي، عن ابن المنكدر، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من قاد أعمى أربعين ذراعا وجبت له الجنة ".

قلت: اتهم به ابن عروة.

مات سلم سنة أربع وتسعين ومائة.." (١)

"٢٨١ - م ٤: عمر بن سعد أبو داود الحفري الكوفي العابد، [الوفاة: ٢٠١ - ٢١٠ هـ]

والحفر: مكان بالكوفة، وذكره بالكنية أولى.

عن: مالك بن مغول، ومسعر، وسفيان الثوري، وصالح بن حسان، وبدر بن عثمان، وجماعة.

وعنه: أحمد بن حنبل، ومحمود بن غيلان، وإسحاق الكوسج، وعلي بن حرب، ومحمد بن رافع، وعبد بن حميد، وطائفة.

قال عباس: سمعت يحيى بن معين يقدمه في حديث سفيان على محمد بن يوسف وقبيصه.

وقال وكيع: إن كان يدفع بأحد في زماننا فبأبي داود.

وقال علي ابن المديني: لا أعلمني رأيت بالكوفة أعبد منه.

وقال أبو حاتم: صدوق، رجل صالح.

وقال الدارقطني: كان من الصالحين الثقات.

حكي أنه أبطأ يوما في الخروج إليهم، ثم خرج، فقال: أعتذر إليكم، فإنه لم يكن لي ثوب غير هذا، صليت فيه، ثم أعطيته بناتي حتى صلين فيه، ثم أخذته وخرجت إليكم.

وقال أبو حمدون المقرئ: دفنا أبا داود الحفري رحمه الله وتركنا بابه مفتوحا، ما كان في البيت شيء. -[١٣٥]-

قال ابن سعد وغيره: مات في جمادى الأولى سنة ثلاث.." (٢)

"٢٠١ - خ د ت ن: عبد الله بن الزبير بن عيسى. الإمام أبو بكر القرشي الأسدي الحميدي، حميد بن زهير بن الحارث بن أسد المكي. [الوفاة: ٢١١ - ٢٢٠ هـ]

محدث مكة وفقيهها، وأجل أصحاب سفيان بن عيينة.

سمع: ابن عيينة، وعبد العزيز بن أبي حازم، وعبد العزيز الدراوردي، وفضيل بن عياض، ومروان بن معاوية، والوليد بن مسلم، ووكيعا، والشافعي، وطائفة.

وعنه: البخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، عن رجل عنه، وهارون الحمال، ومحمد بن يحيى الذهلي،

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار٤/١١٢٠

(٢) تاريخ الإسلام ت بشار٥/١٣٤

وسلمة بن شبيب، ويعقوب الفسوي، ويعقوب السدوسي، وأبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان، وأبو بكر محمد بن إدريس المكي وراقه، ومحمد بن عبد الله بن سنجر الجرجاني، ومحمد بن عبد الله ابن البرقي، وبشر بن موسى، والكديمي، وخلق.

قال أحمد بن حنبل: الحميدي عندنا إمام.

وقال أبو حاتم: أثبت الناس في ابن عيينة: الحميدي.

قال: جالست ابن عيينة تسع عشرة سنة أو نحوها. -[٣٤٣]-

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا الحميدي وما لقيت أنصح للإسلام وأهله منه.

وقال غيره: كان حجة حافظا. كان لا يكاد يخفى عليه شيء من حديث سفيان.

وقال بشر بن موسى: حدثنا الحميدي، وذكر حديث " إن الله خلق آدم على صورته "، فقال: لا تقول غير هذا على التسليم والرضا بما جاء به القرآن والحديث. ولا تستوحش أن تقول كما قال القرآن والحديث.

قال الفسوي: سمعت الحميدي يقول: كنت بمصر، وكان لسعيد بن منصور حلقة في مسجد مصر يجتمع إليه أهل خراسان وأهل العراق. فجلست إليهم فذكروا شيخا لسفيان وقالوا: كم يكون حديثه؟ فقلت: كذا وكذا، فاستكثر ذلك سعيد وابن ديسم. فلم أزل أذاكرها بما عندهما عنه، ثم أخذت أغرب عليهما، فرأيت فيهما الحياء والخجل.

وقال محمد بن سهل القهستاني: حدثنا الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: ما رأيت صاحب بلغم أحفظ من الحميدي. كان يحفظ لابن عيينة عشرة آلاف حديث.

وقال محمد بن إسحاق المروزي: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: الأئمة في زماننا: الشافعي، والحميدي، وأبو عبيد.

وقال علي بن خلف: سمعت الحميدي يقول: ما دمت بالحجاز، وأحمد بالعراق، وإسحاق بخراسان لا يغلبنا أحد.

وقال السراج: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: الحميدي إمام في الحديث.

قلت: والحميدي معدود من الفقهاء الذين تفقهوا بالشافعي. -[٣٤٤]-

قال ابن سعد، والبخاري: توفي بمكة سنة تسع عشرة ومائتين.

وقال غيرهما: في ربيع الأول.." (١)

"-فصل في إقباله على العلم واشتغاله وحفظه

قال الخلال: أخبرنا المروذي أن أبا عبد الله قال له: ما تزوجت إلا بعد الأربعين.

وعن أحمد الدورقي، عن أبي عبد الله قال: نحن كتبنا الحديث من ستة وجوه وسبعة وجوه، لم نضبطه، فكيف يضبطه من كتبه من وجه واحد؟

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبا زرعة يقول: كان أبوك يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.

وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: حفظت كل شيء سمعته من هشيم، وهشيم حي.

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: قال سعيد بن عمرو البرذعي: يا أبا زرعة، أنت أحفظ أم أحمد بن حنبل؟ قال: بل أحمد، قلت: وكيف علمت؟ قال: وجدت كتبه ليس في أوائل الأجزاء ترجمة أسماء المحدثين الذين سمع منهم، فكان يحفظ كل جزء ممن سمعه، وأنا لا أقدر على هذا. -[١٠١٤]-

وعن أبي زرعة، قال: حرز كتب أحمد يوم مات، فبلغت اثنى عشر حملا وعدلا، ما كان على ظهر كتاب منها: حديث فلان؛ ولا في بطنه حدثنا فلان، وكل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلبه.

وقال الحسن بن منبه: سمعت أبا زرعة، قال: أخرج إلي أبو عبد الله أجزاء كلها سفيان، سفيان، ليس على حديث منها: حدثنا فلان. فظننتها عن رجل واحد، فانتخبت منها. فلما قرأ علي جعل يقول: حدثنا وكيع، ويحيى، وحدثنا فلان، فعجبت من ذلك، وجهدت أن أقدر على شيء من هذا، فلم أقدر.

قال المروذي: سمعت أبا عبد الله يقول: كنت أذاكر وكيعا بحديث الثوري، وكان إذا صلى العشاء الآخرة خرج من المسجد إلى منزله. فكنت أذاكره، فربما ذكر تسعة أو عشرة أحاديث، فأحفظها. فإذا دخل قال لي أصحاب الحديث: أمل علينا. فأملها عليهم.

وقال الخلال: حدثنا أبو إسماعيل الترمذي، قال: سمعت قتيبة بن سعيد يقول: كان وكيع إذا كانت العتمة ينصرف معه أحمد بن حنبل، فيقف على الباب فيذاكره. فأخذ وكيع ليلة بعضادتي الباب، ثم قال: يا أبا عبد الله، أريد أن ألقي عليك حديث سفيان، قال: هات. قال: تحفظ عن سفيان، عن سلمة بن كهيل

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار٥/٣٤٢

كذا؟ قال: نعم، حدثنا يحيى. فيقول: سلمة كذا وكذا، فيقول: حدثنا عبد الرحمن. فيقول: وعن سلمة كذا كذا. فيقول: أنت حدثتنا، حتى يفرغ من سلمة، ثم يقول أحمد: فتحفظ عن سلمة كذا وكذا؟ فيقول وكيع: لا. ثم يأخذ في حديث شيخ شيخ. فلم يزل قائما حتى جاءت الجارية فقالت: قد طلع الكوكب. أو قالت: الزهرة.

وقال عبد الله: قال لي أبي: خذ أي كتاب شئت من كتب وكيع. فإن شئت أن تسألني عن الكلام حتى أخبرك بالإسناد، وإن شئت بالإسناد، حتى أخبرك عن الكلام.

وقال الخلال: سمعت أبا القاسم بن الختلي – وكفاك به – يقول: أكثر الناس يظنون أن أحمد إذا سئل كان علم الدنيا بين عينيه.

وقال إبراهيم الحربي: رأيت أحمد كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين.

وعن أحمد بن سعيد الرازي قال: ما رأيت أسود الرأس أحفظ لحديث -[١٠١٥]- رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعلم بفقهه ومعانيه من أحمد بن حنبل.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سلمة، قال: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: كنت أجالس بالعراق أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأصحابنا. وكنا نتذاكر الحديث من طريقين وثلاثة. فيقول يحيى من بينهم: وطريق كذا. فأقول: أليس قد صح هذا بإجماع منا؟ فيقولون: نعم. فأقول: ما تفسيره؟ ما فقهه؟ فيقفون كلهم، إلا أحمد بن حنبل.

وقال الخلال: كان أحمد قد كتب كتب الرأي وحفظها، ثم لم يلتفت إليها.

وقال أحمد بن سنان: ما رأيت يزيد بن هارون لأحد أشد تعظيما منه لأحمد بن حنبل، ولا رأيته أكرم أحدا مثله. وكان يقعده إلى جنبه ويوقره ولا يمازحه.

وقال عبد الرزاق: ما رأيت أفقه من أحمد بن حنبل ولا أورع.

وقال إبراهيم بن شماس: سمعت وكيعا يقول: ما قدم الكوفة مثل ذاك الفتى – يعني أحمد – وسمعت حفص بن غياث يقول ذلك.

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: ما نظرت إلى أحمد بن حنبل إلا تذكرت به سفيان الثوري.

وقال القواريري: قال لي يحيى القطان: ما قدم علي مثل أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين.

وقال أبو اليمان: كنت أشبه أحمد بن حنبل بأرطأة بن المنذر.

وقال الهيثم بن جميل: إن عاش هذا الفتى سيكون حجة على أهل زمانه، يعني أحمد.

وقال قتيبة: خير أهل زماننا ابن المبارك، ثم هذا الشاب، يعني أحمد بن حنبل.
وقال أبو داود: سمعت قتيبة يقول: إذا رأيت الرجل يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سنة.
وقال عبد الله بن أحمد بن شبويه، عن قتيبة: لو أدرك أحمد عصر الثوري، والأوزاعي، ومالك، والليث، لكان هو المقدم، فقلت لقتيبة: تضم -[١٠١٦]- أحمد إلى التابعين؟ فقال: إلى كبار التابعين. وسمعت قتيبة يقول: لولا الثوري لمات الورع، ولولا أحمد بن حنبل لأحدثوا في الدين.
وقال أحمد بن سلمة: سمعت قتيبة يقول: أحمد بن حنبل إمام الدنيا.
وقال العباس بن الوليد البيروتي: حدثنا الحارث بن عباس، قال: قلت لأبي مسهر: هل تعرف أحدا يحفظ على هذه الأمة أمر دينها؟ قال: لا أعلمه إلا شاب في ناحية المشرق، يعني أحمد بن حنبل.
وقال المزني: قال لي الشافعي: رأيت ببغداد شابا إذا قال: حدثنا، قال الناس كلهم: صدق. قلت: من هو؟ قال: أحمد بن حنبل.
وقال حرملة: سمعت الشافعي يقول: خرجت من بغداد، فما خلفت بها رجلا أفضل ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل.
وقال الزعفراني: قال لي الشافعي: ما رأيت أعقل من أحمد بن حنبل، وسليمان بن داود الهاشمي.
وقال محمد بن إسحاق بن راهويه: سمعت أبي يقول: قال لي أحمد بن حنبل: تعال حتى أريك رجلا لم تر مثله، فذهب بي إلى الشافعي. قال أبي: وما رأى الشافعي مثل أحمد بن حنبل، ولولا أحمد وبذل نفسه لما بذلها له لذهب الإسلام.
وعن إسحاق قال: أحمد حجة بين الله وبين خلقه.
وقال محمد بن عبدويه: سمعت علي ابن المديني وذكر أحمد بن حنبل فقال: هو أفضل عندي من سعيد بن جبير في زمانه. لأن سعيدا كان له نظراء، وإن هذا ليس له نظير. أو كما قال. وقال علي ابن المديني: إن الله أعز هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الردة، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة.
وقال أبو عبيد: انتهى العلم إلى أربعة؛ أحمد بن حنبل وهو أفقههم، وذكر الحكاية.
وقال محمد بن نصر الفراء: سمعت أبا عبيد يقول: أحمد بن حنبل إمامنا، إني لأتزين بذكره.
وقال أبو بكر الأثرم، عن أبي عبيد: ما رأيت رجلا أعلم بالسنة من أحمد.
وقال أحمد بن الحسن الترمذي: سمعت الحسن بن الربيع يقول: ما -[١٠١٧]- شبهت أحمد بن حنبل إلا بابن المبارك في سمته وهيئته.

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن الحسين الأنماطي، قال: كنا في مجلس فيه يحيى بن معين، وأبو خيثمة، وجماعة، فجعلوا يثنون على أحمد بن حنبل، فقال رجل: لا تكثروا بعض هذا، فقال يحيى بن معين: وكثرة الثناء على أحمد تستنكر؟ لو جلسنا مجالسنا بالثناء عليه ما ذكرنا فضائله بكمالها.

وقال عباس، عن ابن معين: ما رأيت مثل أحمد.

وقال جعفر النفيلي: كان أحمد من أعلام الدين.

وقال المروذي: حضرت أبا ثور سئل عن مسألة، فقال: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل شيخنا وإمامنا فيها: كذا وكذا.

وقال إبراهيم الحربي: قال ابن معين: ما رأيت أحدا يحدث لله إلا ثلاثة: يعلى بن عبيد، والقعنبي، وأحمد بن حنبل.

وقال عباس الدوري: سمعت ابن معين يقول: أرادوا أن أكون مثل أحمد، والله لا أكون مثله أبدا.

وقال أبو خيثمة: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل، ولا أشد قلبا منه.

وقال علي بن خشرم: سمعت بشر بن الحارث، وسئل عن أحمد بن حنبل، فقال: أنا أسأل عن أحمد بن حنبل؟ إن أحمد أدخل الكير فخرج ذهبا أحمر. رواها جماعة، عن ابن خشرم.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال أصحاب بشر بن الحارث حين ضرب أحمد في المحنة: يا أبا نصر لو أنك خرجت، فقلت: إني على قول أحمد بن حنبل. فقال بشر: أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء؟. رويت من وجهين عن بشر، وزاد أحدهما: قال بشر: حفظ الله أحمد من بين يديه ومن خلفه.

وقال القاسم بن محمد الصائغ: سمعت المروذي يقول: دخلت على ذي النون السجن ونحن بالعسكر، فقال: أي شيء حال سيدنا؟ يعني أحمد بن حنبل.

وقال إسحاق بن أحمد: سمعت أبا زرعة يقول: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل في فنون العلم. وما قام أحد مثل ما قام أحمد به. -[١٠١٨]-

وقال ابن أبي حاتم: قالوا لأبي زرعة: فإسحاق بن راهويه؟ قال: أحمد بن حنبل أكبر من إسحاق وأفقه، قد رأيت الشيوخ، فما رأيت أحدا أكمل منه. اجتمع فيه زهد وفضل وفقه وأشياء كثيرة.

وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن علي ابن المديني وأحمد بن حنبل أيهما أحفظ؟ فقال: كانا في الحفظ متقاربين وكان أحمد أفقه، وقال أبي: إذا رأيت الرجل يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سنة، وسمعت أبي يقول: رأيت قتيبة بمكة فقلت لأصحاب الحديث: كيف تغفلون عنه وقد رأيت أحمد بن حنبل في مجلسه؟

فلما سمعوا هذا أخذوا نحوه وكتبوا عنه.
وقال محمد بن حماد الطهراني: سمعت أبا ثور يقول: أحمد بن حنبل أعلم أو أفقه من الثوري.
وقال محمد بن يحيى الذهلي: جعلت أحمد بن حنبل إماما فيما بيني وبين الله.
وقال نصر بن علي الجهضمي: كان أحمد أفضل أهل زمانه.
وقال عمرو الناقد: إذا وافقني أحمد بن حنبل على حديث لا أبالي من خالفني.
وقال محمد بن مهران الجمال، وذكر له أحمد بن حنبل، فقال: ما بقى غيره.
وقال الخلال: حدثنا صالح بن علي الحلبي: سمعت أبا همام السكوني يقول: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل، ولا رأي أحمد مثله.
وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة: سمعت محمد بن سختويه البرذعي يقول: سمعت أبا عمير عيسى بن محمد الرملي، وذكر أحمد بن حنبل فقال: رحمه الله، عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، وبالصالحين ما كان ألحقه. عرضت له الدنيا فأباها، والبدع فنفاها.
وقال أبو حاتم الرازي: كان أبو عمير بن النحاس الرملي من عباد -[١٠١٩]- المسلمين، فقال لي: كتبت عن أحمد بن حنبل شيئا؟ قلت: نعم، قال: فأمل علي، فأمليت عليه شيئا.
عن حجاج بن الشاعر قال: ما كنت أحب أن أقتل في سبيل الله ولم أصل على أحمد بن حنبل.
وعنه قال: قبلت يوما ما بين عيني أحمد بن حنبل وقلت: يا أبا عبد الله بلغت مبلغ سفيان ومالك، ولم أظن في نفسي أني بقيت غاية. فبلغ والله في الإمامة أكثر من مبلغهما.
وعن حجاج بن الشاعر قال: ما رأت عيناي روحا في جسد أفضل من أحمد بن حنبل.
وعن محمد بن نصر المروزي قال: اجتمعت بأحمد بن حنبل وسألته عن مسائل، وكان أكثر حديثا من إسحاق بن راهويه وأفقه منه.
وعن محمد بن إبراهيم البوشنجي قال: ما رأيت أجمع في كل شيء من أحمد بن حنبل ولا أعقل.
وقال محمد بن مسلم بن وارة: كان أحمد صاحب فقه، وصاحب حفظ، وصاحب معرفة.
وقال أبو عبد الرحمن النسائي: جمع أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث، والفقه، والورع، والزهد، والصبر.
وقال خطاب بن بشر، عن عبد الوهاب بن الحكم الوراق: لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " «فردوه إلى عالمه.» " رددناه إلى أحمد بن حنبل. وكان أعلم أهل زمانه.
وقال أبو داود: كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة، لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا. ما رأيته ذكر الدنيا

قط.
وقال صالح جزرة: أفقه من أدركت في الحديث أحمد بن حنبل.
وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، وذكر الشافعي عنده، فقال: ما استفاد منا أكثر مما استفدنا منه. قال عبد الله: كل شيء في كتاب الشافعي: أخبرنا الثقة؛ فهو عن أبي.
وقال الخلال: حدثنا أبو بكر المروذي قال: قدم رجل من الزهاد، -[١٠٢٠]- فأدخلته على أبي عبد الله، وعليه فرو خلق، وخريقة على رأسه، وهو حاف في برد شديد، فسلم، وقال: يا أبا عبد الله قد جئت من موضع بعيد، وما أردت إلا السلام عليك، وأريد عبادان، وأريد إن أنا رجعت أن أمر بك وأسلم عليك، فقال: إن قدر. فقام الرجل فسلم وأبو عبد الله قاعد. قال المروذي: ما رأيت أحدا قط قام من عند أبي عبد الله حتى يقوم أبو عبد الله له، إلا هذا الرجل. فقال لي أبو عبد الله: ما ترى ما أشبهه بالأبدال. أو قال: إني لأذكر به الأبدال، فأخرج إليه أبو عبد الله أربعة أرغفة مشطورة بكامخ وقال: لو كان عندنا شيء لواسيناك.
قال الخلال: وأخبرنا المروذي: قلت لأبي عبد الله: ما أكثر الداعي لك، قال: أخاف أن يكون هذا استدراجا بأي شيء هذا. وقلت لأبي عبد الله: إن رجلا قدم من طرسوس وقال لي: إنا كنا في بلاد الروم في الغزو، وإذا هدأ الليل رفعوا أصواتهم بالدعاء: ادعوا لأبي عبد الله، وكنا نمد المنجنيق ونرمي عنه، ولقد رمي عنه بحجر والعلج على الحصن متترس بدرقة، فذهب برأسه وبالدرقة، فتغير وجهه، وقال: ليته لا يكون استدراجا. فقلت: كلا.
قال الخلال: وأخبرني أحمد بن حسين قال: سمعت رجلا من خراسان يقول: عندنا ليرون أحمد بن حنبل لا يشبه البشر، يظنون أنه من الملائكة. وقال لي رجل: نظرة عندنا من أحمد تعدل عبادة سنة.
قال الخلال: وقال المروذي: رأيت بعض النصارى الأطباء قد خرج من عند أبي عبد الله ومعه راهب، فسمعت الطبيب يقول: إنه سألني أن يجيء معي حتى ينظر إلى أبي عبد الله.
وقال المروذي: وأدخلت نصرانيا على أبي عبد الله يعالجه فقال: يا أبا عبد الله إني لأشتهي أن أراك منذ ستين سنة. ما بقاؤك صلاح الإسلام وحدهم بل للخلق جميعا، وليس من أصحابنا أحد إلا وقد رضي بك. قال المروذي: فقلت لأبي عبد الله: إني لأرجو أن يكون يدعى لك في جميع الأمصار، فقال: يا أبا بكر، إذا عرف الرجل نفسه فما ينفعه كلام الناس.
وقال عبد الله بن أحمد: خرج أبي إلى طرسوس ماشيا، وحج حجتين أو ثلاثا ماشيا، وكان أصبر الناس

على الوحدة، وبشر فيما كان فيه لم يكن يصبر على الوحدة، كان يخرج إلى ذا وإلى ذا. -[١٠٢١]-
وقال عباس الدوري: حدثني علي بن أبي فزارة جارنا، قال: كانت أمي مقعدة من نحو عشرين سنة، فقالت لي يوما: اذهب إلى أحمد بن حنبل، فسله أن يدعو لي، فأتيت فدققت عليه وهو في دهليزه، فلم يفتح لي وقال: من هذا؟ قلت: أنا رجل سألتني أمي، وهي مقعدة، أن أسألك أن تدعو الله لها، فسمعت كلامه كلام رجل مغضب، فقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا. فوليت منصرفا، فخرجت عجوز فقالت: إني قد تركته يدعو لها. فجئت إلى بيتنا دققت الباب، فخرجت أمي على رجليها تمشي وقالت: قد وهب الله لي العافية. رواها ثقتان، عن عباس.
وقال عبد الله بن أحمد: كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته، فكان يصلي كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة.
وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا علي بن الجهم قال: كان لنا جار فأخرج إلينا كتابا فقال: أتعرفون هذا الخط؟ قلنا: هذا خط أحمد بن حنبل، فكيف كتب لك؟ قال: كنا بمكة مقيمين عند سفيان بن عيينة، ففقدنا أحمد أياما، ثم جئنا لنسأل عنه، فإذا الباب مردود عليه، وعليه خلقان. فقلت: ما خبرك؟ قال: سرقت ثيابي، فقلت له: معي دنانير، فإن شئت صلة، وإن شئت قرضا، فأبى. فقلت: تكتب لي بأجرة؟ قال: نعم. فأخرجت دينارا، فقال: اشتر لي ثوبا واقطعه نصفين، يعني إزارا ورداء، وجئني ببقية الدينار. ففعلت وجئت بورق، فكتب لي هذا.
وقال عبد الرزاق: عرضت على أحمد بن حنبل دنانير، فلم يأخذها.
وقال إسحاق بن راهويه: كنت أنا وأحمد باليمن عند عبد الرزاق، وكنت أنا فوق الغرفة وهو أسفل. وكنت إذا جئت إلى موضع اشتريت جارية، قال: فاطلعت على أن نفقته فنيت، فعرضت عليه، فامتنع فقلت: إن شئت قرضا، وإن شئت صلة. فأبى، فنظرت فإذا هو ينسج التكك ويبيع وينفق. رواها أبو إسماعيل الترمذي، عنه.
وعن أبي إسماعيل قال: أتى رجل بعشرة آلاف درهم من ربح تجارته إلى أحمد، فأبى أن يقبلها، وقال: نحن في وسعة وغنى. وقال غيره: حمل رجل إلى أحمد ثلاثة آلاف دينار فأبى أن يقبلها. -[١٠٢٢]-
وقال عبد الله، عن أبيه قال: عرض علي يزيد بن هارون نحو خمسمائة درهم، فلم أقبلها.
وقيل: إن صيرفيا وصل أحمد بخمسمائة دينار، فردها.
وقال صالح: دخلت على أبي أيام الواثق، والله يعلم كيف حالنا، فإذا تحت لبده ورقة فيها: يا أبا عبد الله

بلغني ما أنت فيه من الضيق، وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم. فلما رد أبي من صلاته قلت: ما هذا؟ فاحمر وجهه وقال: رفعتها منك. ثم قال: تذهب بجوابه، فكتب إلى الرجل: وصل كتابك، ونحن في عافية. فأما الدين، فلرجل لا يرهقنا، وأما العيال، فهم في نعمة الله. فذهبت بالكتاب، فلما كان بعد حين، ورد كتاب الرجل بمثل ذلك، فامتنع. فلما مضى نحو سنة ذكرناها فقال: لو إنا قبلناها كانت قد ذهبت.

وقال جماعة: حدثنا سلمة بن شبيب قال: كنا في أيام المعتصم عند أحمد بن حنبل، فدخل رجل، فقال: من منكم أحمد بن حنبل؟ فسكتنا، فقال أحمد: ها أنا ذا. قال: جئت من أربعمائة فرسخ برا وبحرا، كنت ليلة جمعة نائما فأتاني آت، فقال لي: تعرف أحمد بن حنبل؟ قلت: لا. قال: فائت بغداد وسل عنه، فإذا رأيته فقل: إن الخضر يقرئك السلام، ويقول: إن ساكن السماء الذي على عرشه راض عنك، والملائكة راضون عنك بما صبرت نفسك لله.." (١)

"-فصل في حال أبي عبد الله أيام المتوكل

قال حنبل: ولي جعفر المتوكل فأظهر الله السنة وفرج عن الناس، وكان أبو عبد الله يحدثنا ويحدث أصحابه في أيام المتوكل، وسمعته يقول: ما كان الناس إلى الحديث والعلم أحوج منهم في زماننا. ثم إن المتوكل ذكره وكتب إلى إسحاق بن إبراهيم في إخراجه إليه. فجاء رسول إسحاق إلى أبي عبد الله يأمره بالحضور، فمضى أبو عبد الله ثم رجع فسأله أبي عما دعي له فقال: قرأ علي كتاب جعفر يأمرني بالخروج إلى العسكر. قال: وقال لي إسحاق بن إبراهيم: ما تقول في القرآن؟ فقلت: إن أمير المؤمنين قد نهى عن هذا. فقال: لا تعلم أحدا أني سألتك. فقلت له: مسألة مسترشد أو مسألة متعنت؟ قال: بل مسألة مسترشد. فقلت له: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وقد نهى أمير المؤمنين عن هذا.

وخرج إسحاق إلى العسكر، وقدم ابنه محمد خليفة له ببغداد، ولم يكن عند أبي عبد الله ما يتجمل به وينفقه، وكانت عندي مائة درهم، فأتيت بها أبي، فذهبت بها إليه، فأخذها وأصلح بها ما احتاج إليه، واكترى منها، وخرج ولم يلق محمد بن إسحاق بن إبراهيم، ولا سلم عليه. فكتب بذلك محمد إلي أبيه، فحقدها إسحاق عليه، فقال للمتوكل: يا أمير المؤمنين إن أحمد بن حنبل خرج من بغداد ولم يأت محمدا مولاك. فقال المتوكل: يرد ولو وطئ بساطي. وكان أبو عبد الله قد بلغ بصرى، فوجه إليه رسولا يأمره

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار٥/١٠١٣

بالرجوع، فرجع وامتنع من الحديث إلا لولده ولنا. وربما قرأ علينا في منزلنا. ثم إن رافعا رفع إلى المتوكل أن أحمد بن حنبل ربص علويا في منزله، وأنه يريد أن يخرجه ويبايع عليه، ولم يكن عندنا علم، فبينا نحن ذات ليلة نيام في الصيف سمعنا الجلبة، -[١٠٥٠]- ورأينا النيران في دار أبي عبد الله، فأسرعنا، وإذا أبو عبد الله قاعد في إزار، ومظفر ابن الكلبي صاحب الخبر وجماعة معهم. فقرأ صاحب الخبر كتاب المتوكل: ورد على أمير المؤمنين أن عندكم علويا ربصته لتبايع له وتظهره. في كلام طويل، ثم قال له مظفر: ما تقول؟ قال: ما أعرف من هذا شيئا، وإني لأرى له السمع والطاعة في عسري ويسري ومنشطي ومكرهي، وإني لأوثره علي وإني لأدعو الله له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار. في كلام كثير غير هذا.

وقال ابن الكلبي: قد أمرني أمير المؤمنين أن أحلفك. قال: فاحلفه بالطلاق ثلاثا أن ما عنده طلبة أمير المؤمنين. وفتشوا منزل أبي عبد الله والسرب والغرف والسطوح، وفتشوا تابوت الكتب، وفتشوا النساء والمنازل، فلم يروا شيئا ولم يحسوا بشيء، ورد الله الذين كفروا بغيظهم. وكتب بذلك إلى المتوكل، فوقع منه موقعا حسنا، وعلم أن أبا عبد الله مكذوب عليه. وكان الذي دس عليه رجل من أهل البدع، ولم يمت حتى بين الله أمره للمسلمين، وهو ابن الثلجي.

فلما كان بعد أيام بينا نحن جلوس بباب الدار إذا يعقوب أحد حجاب المتوكل قد جاء، فاستأذن على أبي عبد الله، فدخل ودخل أبي وأنا، ومع بعض غلمانه بدرة، على بغل، ومعه كتاب المتوكل، فقرأه على أبي عبد الله: إنه صح عند أمير المؤمنين برآءة ساحتك، وقد وجه إليك بهذا المال تستعين به. فأبى أن يقبله وقال: ما لي إليه حاجة. فقال: يا أبا عبد الله، اقبل من أمير المؤمنين ما أمرك به؛ فإن هذا خير لك عنده، فاقبله ولا ترده. فإنك إن رددته خفت أن يظن بك ظن سوء. فحينئذ قبلها. فلما خرج قال: يا أبا علي. قلت: لبيك. قال: ارفع هذه الإجانة وضعها، يعني البدرة، تحتها. فوضعتها وخرجنا. فلما كان الليل إذا أم ولد أبي عبد الله تدق علينا الحائط، فقلت لها: ما لك؟ قالت: مولاي يدعو عمه. فأعلمت أبي، وخرجنا فدخلنا على أبي عبد الله، وذلك في جوف الليل. فقال: يا عم، ما أخذني النوم هذه الليلة. فقال له أبي: ولم؟ قال: لهذا المال، وجعل يتوجع لأخذه، وجعل أبي يسكنه ويسهل عليه، وقال: حتى تصبح وترى فيه رأيك، فإن هذا ليل والناس في منازلهم، فأمسك، وخرجنا. فلما كان في السحر وجه إلى عبدوس بن مالك، والحسن بن البزار، فحضرا، -[١٠٥١]- وحضر جماعة؛ منهم: هارون الحمال، وأحمد بن منيع، وابن الدورقي، وأنا، وأبي، وصالح، وعبد الله فجعلنا نكتب من يذكرونه من أهل العفاف والصلاح ببغداد والكوفة، فوجه منها إلى أبي سعيد الأشج، والى أبي كريب، وإلى من ذكر من أهل العلم

والسنة ممن يعلمون أنه محتاج. ففرقها كلها ما بين الخمسين إلى المائة والمائتين، فما بقي في الكيس درهم، ثم تصدق بالكيس على مسكين. فلما كان بعد ذلك مات إسحاق بن إبراهيم وابنه محمد، وولي بغداد عبد الله بن إسحاق، فجاء رسوله إلى أبي عبد الله، فذهب إليه، فقرأ عليه كتاب المتوكل وقال له: يأمرك بالخروج. فقال: أنا شيخ ضعيف عليل. فكتب عبد الله بما رد عليه، فورد جواب الكتاب أن أمير المؤمنين يأمره بالخروج. فوجه عبد الله جنوده، فباتوا على بابنا أياما حتى تهيأ أبو عبد الله للخروج، فخرج وخرج صالح، وعبد الله، وأبو زميلة. قال صالح: كان حمل أبي إلى المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين، ثم عاش إلى سنة إحدى وأربعين، فكان قل يوم يمضي إلا ورسول المتوكل يأتيه.

قال حنبل في حديثه: وقال أبي ارجع. فرجعت، فأخبرني أبي قال: لما دخلنا إلى العسكر إذا نحن بموكب عظيم مقبل، فلما حاذى بنا قالوا: هذا وصيف. وإذا بفارس قد أقبل، فقال لأحمد: الأمير وصيف يقرئك السلام، ويقول لك: إن الله قد أمكنك من عدوك، يعني ابن أبي دؤاد، وأمير المؤمنين يقبل منك، فلا تدع شيئا إلا تكلمت به. فما رد عليه أبو عبد الله شيئا. وجعلت أنا أدعو لأمير المؤمنين، ودعوت لوصيف، ومضينا فأنزلنا في دار إيتاخ، ولم يعلم أبو عبد الله، فسأل بعد ذلك: لمن هذه الدار؟ قالوا: هذه دار إيتاخ. فقال: حولوني، اكتروا لي دارا، فلم نزل حتى اكترينا له دارا. وكانت تأتينا في كل يوم مائدة فيها ألوان يأمر بها المتوكل، والفاكهة والثلج، وغير ذلك. فما نظر إليها أبو عبد الله، ولا ذاق منها شيئا. وكانت نفقة المائدة كل يوم مائة وعشرين درهما. وكان يحيى بن خاقان، وابنه عبيد الله، وعلي بن الجهم يأتون أبا عبد الله ويختلفون إليه برسالة المتوكل. ودامت العلة بأبي عبد الله وضعف ضعفا شديدا. وكان يواصل، فمكث ثمانية أيام لا يأكل ولا يشرب. فلما كان في اليوم الثامن دخلت عليه، وقد كاد أن يطفأ، فقلت: يا أبا عبد الله، ابن -[١٠٥٢]- الزبير كان يواصل سبعة أيام، وهذا لك اليوم ثمانية أيام، قال: إني مطيق. قلت: بحقي عليك، قال: فإني أفعل، فأتيته بسويق فشرب؛ ووجه إليه المتوكل بمال عظيم فرده، فقال له عبيد الله بن يحيى: فان أمير المؤمنين يأمرك أن تدفعها إلى ولدك وأهلك. قال: هم مستغنون فردها عليه. فأخذها عبيد الله فقسمها على ولده وأهله. ثم أجرى المتوكل على أهله وولده أربعة آلاف في كل شهر، فبعث إليه أبو عبد الله: إنهم في كفاية، وليست بهم حاجة. فبعث إليه المتوكل: إنما هذا لولدك، ما لك ولهذا؟ فأمسك أبو عبد الله. فلم يزل يجري علينا حتى مات المتوكل.

وجرى بين أبي عبد الله وبين أبي في ذلك كلام كثير، وقال: يا عم، ما بقي من أعمارنا؟ كأنك بالأمر قد نزل بنا، فالله الله فإن أولادنا إنما يريدون يتأكلون بنا، وإنما هي أيام قلائل، لو كشف للعبد عما قد

حجب عنه لعرف ما هو عليه من خير أو شر، صبر قليل وثواب طويل، وإنما هذه فتنة. قال أبي: فقلت: أرجو أن يؤمنك الله مما تحذر. قال: فكيف وأنتم لا تتركون طعامهم ولا جوائزهم، لو تركتموها لتركوكم. وقال: ماذا ننتظر؟ إنما هو الموت، فإما إلى جنة وإما إلى نار؛ فطوبى لمن قدم على خير. قال أبي: فقلت له: أليس قد أمرت، ما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف نفس أن تأخذه؟ قال: قد أخذت مرة بلا إشراف نفس فالثانية والثالثة؛ فما بال نفسك ألم تستشرف؟ فقلت: ألم يأخذ ابن عمر وابن عباس؟ فقال: ما هذا وذاك؟ وقال: لو أعلم أن هذا المال يؤخذ من وجهه ولا يكون فيه ظلم ولا حيف لم أبال.

قال حنبل: فلما طالت علة أبي عبد الله كان المتوكل يبعث بابن ماسويه المتطبب فيصف له الأدوية، فلا يتعالج، ويدخل المتطبب على المتوكل فقال: يا أمير المؤمنين، أحمد ليست به علة في بدنه، إنما هو من قلة الطعام والصيام والعبادة. فسكت المتوكل. وبلغ أم المتوكل خبر أبي عبد الله، فقالت لابنها: أشتهي أن أرى هذا الرجل. فوجه المتوكل إلى أبي عبد الله يسأله أن يدخل على ابنه المعتز ويسلم عليه ويدعو له ويجعله في حجره. فامتنع أبو عبد الله من ذلك، ثم أجاب رجاء أن يطلق وينحدر إلى بغداد. فوجه إليه المتوكل خلعة، وأتوه بدابة يركبها إلى المعتز، فامتنع، وكانت عليها ميثرة نمور. فقدم إليه بغل لرجل من التجار فركبه، وجلس المتوكل مع أمه في مجلس من المكان، وعلى المجلس ستر رقيق، فدخل أبو عبد الله على المعتز، ونظر إليه المتوكل وأمه، -[١٠٥٣]- فلما رأته قالت: يا بني، الله الله في هذا الرجل، فليس هذا ممن يريد ما عندكم، ولا المصلحة أن تحبسه عن منزله، فأذن له فليذهب. فدخل أبو عبد الله على المعتز فقال: السلام عليكم، وجلس ولم يسلم عليه بالإمرة. قال: فسمعت أبا عبد الله بعد ذلك ببغداد يقول: لما دخلت عليه وجلست قال مؤدب الصبي: أصلح الله الأمير، هذا الذي أمره أمير المؤمنين يؤدبك ويعلمك؟ فرد عليه الغلام وقال: إن علمني شيئا تعلمته. قال أبو عبد الله: فعجبت من ذكائه وجوابه على صغره، وكان صغيرا. قال: ودامت علة أبي عبد الله وبلغ الخليفة ما هو فيه، وكلمه يحيى بن خاقان أيضا وأخبره أنه رجل لا يريد الدنيا. فأذن له في الانصراف. فجاء عبيد الله بن يحيى وقت العصر فقال: إن أمير المؤمنين قد أذن لك، وأمر أن تفرش لك حراقة تنحدر فيها. فقال أبو عبد الله: اطلبوا لي زورقا فأنحدر فيه الساعة، فطلبوا له زورقا فانحدر فيه من ساعته.

قال حنبل: فما علمنا بقدومه حتى قيل لي: إنه قد وافى، فاستقبلته بناحية القطيعة، وقد خرج من الزورق، فمشيت معه فقال لي: تقدم لا يراك الناس فيعرفوني. فتقدمت بين يديه حتى وصل إلى المنزل، فلما دخل

ألقى نفسه على قفاه من التعب والعناء. وكان في حياته ربما استعار الشيء من منزلنا ومنزل ولده. فلما صار إلينا من مال السلطان ما صار امتنع من ذلك، حتى لقد وصف له في علته قرعة تشوى ويؤخذ ماؤها. فلما جاءوا بالقرعة قال بعض من حضر: اجعلوها في تنور، يعني في دار صالح، فإنهم قد خبزوا. فقال بيده: لا. ومثل هذا كثير.

وقد ذكر صالح بن أحمد قصة خروج أبيه إلى العسكر ورجوعه، وتفتيش بيوتهم على العلوي، ثم ورود يعقوب قرقرة ومعه العشرة آلاف، وأن بعضها كان مائتي دينار والباقي دراهم، قال: فجئت بأجانة خضراء، فأكببتها على البدرة، فلما كان عند المغرب قال: يا صالح خذ هذا صيره عندك. فصيرته عند رأسي فوق البيت. فلما كان سحر إذا هو ينادي: يا صالح. فقمت وصعدت إليه، فقال: ما نمت. قلت: لم يا أبه؟ فجعل يبكي وقال: سلمت من هؤلاء، حتى إذا كان في آخر عمري بليت بهم. وقد عزمت عليك أن تفرق هذا الشيء إذا أصبحت، فقلت: ذاك إليك. فلما أصبح جاءه الحسن ابن البزار فقال: -[١٠٥٤]- جئني يا صالح بميزان. وجهوا إلى أبناء المهاجرين والأنصار. ثم قال: وجه إلى فلان حتى يفرق في ناحيته، وإلى فلان، حتى فرقها كلها، ونحن في حالة الله بها عليم، فجاءني ابن لي فقال: يا أبه أعطني درهما. فأخرجت قطعة فأعطيته. فكتب صاحب البريد: إنه تصدق بالدراهم في يومه، حتى تصدق بالكيس.

قال علي بن الجهم: فقلت: يا أمير المؤمنين قد تصدق بها. وعلم الناس أنه قد قبل منك. ما يصنع أحمد بالمال وإنما قوته رغيف؟! قال: فقال لي: صدقت يا علي.

قال صالح: ثم أخرج أبي ليلا، ومعنا حراس معهم النفاطات، فلما أصبح وأضاء الفجر قال لي: صالح معك دراهم؟ قلت: نعم. قال: أعطهم. فلما أصبحنا جعل يعقوب يسير معه، فقال له: يا أبا عبد الله، ابن الثلجي بلغني أنه كان يذكرك. فقال له: يا أبا يوسف سل الله العافية. فقال له: يا أبا عبد الله تريد أن نؤدي عنك رسالة إلى أمير المؤمنين؟ فسكت. فقال: إن عبد الله بن إسحاق أخبرني أن الوابصي قال له: إني أشهد عليه أنه قال: إن أحمد يعبد ماني. فقال: يا أبا يوسف يكفي الله. فغضب يعقوب والتفت إلي فقال: ما رأيت أعجب مما نحن فيه، أسأله أن يطلق لي كلمة أخبر أمير المؤمنين، فلا يفعل.

قال: ووجه يعقوب إلى المتوكل بما عمل، ودخلنا العسكر وأبي منكس الرأس، ورأسه مغطى، فقال له يعقوب: اكشف رأسك يا أبا عبد الله، فكشفه. ثم جاء وصيف يريد الدار، ووجه إليه بعدما جاز بيحيى بن هرثمة فقال: يقرئك أمير المؤمنين السلام ويقول: الحمد لله الذي لم يشمت بك أهل البدع. قد علمت

ما كان من حال ابن أبي دؤاد، فينبغي أن تتكلم بما يجب لله. ومضى يحيى وأنزل أبي دار إيتاخ، فجاء علي بن الجهم وقال: قد أمر لكم أمير المؤمنين بعشرة آلاف مكان تلك التي فرقها، وأمر أن لا يعلم شيخكم بذلك فيغتم. ثم جاءه محمد بن معاوية فقال: إن أمير المؤمنين يكثر من ذكرك ويقول: تقيم هاهنا تحدث. فقال: أنا ضعيف. ثم صار إليه يحيى بن خاقان فقال: يا أبا عبد الله قد أمر أمير المؤمنين أن أصير إليك لتركب إلى ابنه أبي عبد الله، يعني المعتز. ثم قال لي: قد أمرني أمير المؤمنين، يجرى عليكم وعلى قراباتكم أربعة آلاف درهم، تفرقها عليهم. -[١٠٥٥]-

ثم عاد يحيى من الغد فقال: يا أبا عبد الله تركب؟ فقال: ذاك إليكم. ولبس إزاره وخفه. وكان خفه له عنده نحو من خمسة عشر عاما، قد رقع برقاع عدة. فأشار يحيى أن يلبس قلنسوة. قلت: ما له قلنسوة. إلى أن قال: فدخل دار المعتز، وكان قاعدا على دكان في الدار، فلما صعد الدكان قعد فقال له يحيى: يا أبا عبد الله إن أمير المؤمنين جاء بك ليسر بقربك، ويصير أبا عبد الله ابنه في حجرك. فأخبرني بعض الخدم أن المتوكل كان قاعدا وراء ستر. فلما دخل أبي الدار قال لأمه: يا أمه قد نارت الدار. ثم جاء خادم بمنديل، فأخذ يحيى المنديل، وذكر قصة في إلباسه القميص والطيلسان والقلنسوة وهو لا يحرك يده. ثم انصرف. وكانوا قد تحدثوا أنه يخلع عليه سوادا. فلما صار إلى الدار نزع الثياب، ثم جعل يبكي وقال: سلمت من هؤلاء منذ ستين سنة، حتى إذا كان في آخر عمري بليت بهم. ما أحسبني سلمت من دخولي على هذا الغلام، فكيف بمن يجب علي نصحه من وقت تقع عيني عليه، إلى أن أخرج من عنده. يا صالح وجه بهذه الثياب إلى بغداد تباع ويتصدق بثمنها، ولا يشتري أحد منكم منها شيئا. فوجهت بها إلى يعقوب بن بختان، فباعها وفرق ثمنها، وبقيت عندي القلنسوة. قال: ومكث خمسة عشر يوما يفطر في كل ثلاثة على ثمن سويق، ثم جعل بعد ذلك يفطر ليلة على رغيف، وليلة لا يفطر. وكان إذا جيء بالمائدة توضع بالدهليز لئلا يراها، فيأكل من حضر. فكان إذا أجهده الحر بل خرقة فيضعها على صدره. وفي كل يوم يوجه إليه بابن ماسويه فينظر إليه ويقول: يا أبا عبد الله أنا أميل إليك وإلى أصحابك، وما بك علة إلا الضعف وقلة الرز. إلى أن قال: وجعل يعقوب وغياث يصيران إليه ويقولان له: يقول لك أمير المؤمنين: ما تقول في ابن أبي دؤاد وفي ماله؟ فلا يجيب في ذلك بشيء. وجعل يعقوب ويحيى يخبرانه بما يحدث في أمر ابن أبي دؤاد في كل يوم، ثم أحدر إلى بغداد بعدما أشهد عليه ببيع ضياعه. وكان ربما صار إليه يحيى بن خاقان وهو يصلي، فيجلس في الدهليز حتى يفرغ.

وأمر المتوكل أن تشترى لنا دار فقال: يا صالح، قلت: لبيك. قال: لئن أقررت لهم بشراء دار لتكونن

القطيعة بيني وبينكم. إنما يريدون أن يصيروا هذا البلد لي مأوى ومسكنا. فلم يزل يدفع بشراء الدار حتى اندفع. وجعلت رسل -[١٠٥٦]- المتوكل تأتيه يسألونه عن خبره، ويصيرون إليه فيقولون: هو ضعيف. وفي خلال ذلك يقولون: يا أبا عبد الله لا بد من أن يراك.

وجاءه يعقوب فقال: يا أبا عبد الله، أمير المؤمنين مشتاق إليك ويقول: أنظر يوما تصير فيه أي يوم هو حتى أعرفه. فقال: ذاك إليكم. فقال: يوم الأربعاء يوم خال. وخرج يعقوب، فلما كان من الغد جاء فقال: البشرى يا أبا عبد الله، أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول: قد أعفيتك عن لبس السواد والركوب إلى ولاة العهود وإلى الدار. فإن شئت فالبس القطن، وإن شئت فالبس الصوف. فجعل يحمد الله على ذلك. ثم قال يعقوب: إن لي ابنا وأنا به معجب، وإن له من قلبي موقعا، فأحب أن تحدثه بأحاديث. فسكت، فلما خرج قال: أتراه لا يرى ما أنا فيه؟! وكان يختم من جمعة إلى جمعة. فإذا ختم دعا فيدعو ونؤمن، فلما كان غداة الجمعة وجه إلي والى أخي، فلما ختم جعل يدعو ونحن نؤمن، فلما فرغ جعل يقول: أستخير الله، مرات. فجعلت أقول ما يريد. ثم قال: إني أعطي الله عهدا، إن عهده كان مسؤولا. وقال الله: {يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود} إني لا أحدث حديث تمام أبدا حتى ألقى الله، ولا أستثني منكم أحدا. فخرجنا وجاء علي بن الجهم، فأخبرناه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وأخبر المتوكل بذلك وقال: إنما يريدون أحدث ويكون هذا البلد حبسي. وإنما كان سبب الذين أقاموا بهذا البلد لما أعطوا فقبلوا وأمروا فحدثوا. وجعل أبي يقول: والله لقد تمنيت الموت في الأمر الذي كان، وإني لأتمنى الموت في هذا، وذلك لأن هذا فتنة الدنيا، وذاك كان فتنة الدين، ثم جعل يضم أصابعه ويقول: لو كان نفسي في يدي لأرسلتها. ثم يفتح أصابعه. وكان المتوكل يوجه في كل وقت يسأله عن حاله، وكان في خلال ذلك يأمر لنا بالمال ويقول: يوصل إليهم، ولا يعلم شيخهم فيغتم. ما يريد منهم؟ إن كان هو لا يريد الدنيا، فلم يمنعهم؟ وقالوا للمتوكل: إنه لا يأكل من طعامك، ولا يجلس على فراشك، ويحرم الذي تشرب. فقال لهم: لو نشر لي المعتصم وقال فيه شيئا لم أقبل منه.

قال صالح: ثم انحدرت إلى بغداد، وخلفت عبد الله عنده، فإذا عبد الله قد قدم، وجاء بثيابي التي كانت عنده. فقلت: ما جاء بك؟ فقال: قال لي: انحدر، وقل لصالح لا يخرج، فأنتم كنتم آفتي. والله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أخرجت واحدا منكم معي. لولاكم لمن كانت توضع هذه -[١٠٥٧]- المائدة؟ ولمن كان تفرش هذه الفرش وتجرى الإجراء؟ فكتبت إليه أعلمه ما قال لي عبد الله، فكتب إلي بخطه: أحسن الله عاقبتك، ودفع عنك كل مكروه ومحذور، الذي حملني على الكتاب إليك الذي قلت لعبد

الله: لا يأتيني منكم أحد رجاء أن ينقطع ذكري ويخمل. إذا كنتم هاهنا فشا ذكري. وكان يجتمع إليكم قوم ينقلون أخبارنا، ولم يكن إلا خير. فإن أقمت فلم تأتني أنت ولا أخوك فهو رضائي، ولا تجعل في نفسك إلا خيرا، والسلام عليك ورحمة الله.

قال: ولما خرجنا من العسكر رفعت المائدة والفرش وكل ما أقيم لنا.

ثم ذكر صالح كتاب وصيته ثم قال: وبعث إليه المتوكل بألف دينار ليقسمها، فجاءه علي بن الجهم في جوف الليل، فأخبره بأنه يهيئ له حراقة لينحدر فيها. ثم جاء عبيد الله ومعه ألف دينار، فقال: إن أمير المؤمنين قد أذن لك، وقد أمر لك بهذه، فقال: قد أعفاني أمير المؤمنين مما أكره، فردها. وقال: أنا رقيق على البرد، والظهر أرفق بي. فكتب له جواز، وكتب إلى محمد بن عبد الله في بره وتعاهده، فقدم علينا. ثم قال بعد قليل: يا صالح. قلت: لبيك. قال: أحب أن تدع هذا الرزق، فإنما تأخذونه بسببي. فسكت، فقال: ما لك؟ فقلت: أكره أن أعطيك شيئا بلساني وأخالف إلى غيره، وليس في القوم أكثر عيالا مني ولا أعذر. وقد كنت أشكو إليك وتقول: أمرك منعقد بأمري، ولعل الله أن يحل عني هذه العقدة. وقد كنت تدعو لي، فأرجو أن يكون الله قد استجاب لك. فقال: والله لا تفعل. فقلت: لا. فقال: لم فعل الله بك وفعل؟

ثم ذكر قصة في دخول عبد الله عليه، وقوله له وجوابه له، ثم دخول عمه عليه وإنكاره الأخذ، إلى أن قال: فهجرنا وسد الباب بيننا وبينه، وتحامي منازلنا أن يدخل منا إلى منزله شيء. ثم أخبر بأخذ عمه فقال: نافقتني، وكذبتني. ثم هجره وترك الصلاة في المسجد، وخرج إلى مسجد خارج يصلي فيه.

ثم ذكر قصة دعائه صالحا ومعاتبته في ذلك، ثم في كتبته إلى يحيى بن خاقان ليترك معونة أولاده، وبلوغ الخبر إلى المتوكل، فأمر بحمل ما اجتمع لهم في عشرة أشهر، وهو أربعون ألف درهم إليهم. وإنه أخبر بذلك، فسكت -[١٠٥٨]- قليلا وضرب بذقنه على صدره، ثم رفع رأسه وقال: ما حيلتي إن أردت أمرا وأراد الله أمرا؟!

قال أبو الفضل صالح: وكان رسول المتوكل يأتي أبي يبلغه السلام، ويسأله عن حاله، فتأخذه نفضة حتى ندثره، ثم يقول: والله، لو أن نفسي في يدي لأرسلتها. وجاء رسول المتوكل إلى أبي يقول: لو سلم أحد من الناس سلمت. رفع رجل إلي أن علويا قدم من خراسان، وأنك وجهت إليه من يلقاه، وقد حبست الرجل وأردت ضربه فكرهت أن تغتم فمر فيه. قال: هذا باطل، يخلى سبيله.

ثم ذكر قصة في قدوم المتوكل بغداد، وإشارته على صالح بأن لا يذهب إليهم، ثم في مجيء يحيى بن خاقان

من عند المتوكل، وما كان من احترامه ومجيئه بألف دينار ليفرقها، وقوله: قد أعفاني أمير المؤمنين من كل ما أكره. وفي توجيه محمد بن عبد الله بن طاهر ليحضره وامتناعه من حضوره وقوله: أنا رجل لم أخالط السلطان، وقد أعفاني أمير المؤمنين مما أكره. وهذا مما أكره. قال: وكان قد أدمن الصوم لما قدم، وجعل لا يأكل الدسم. وكان قبل ذلك يشترى له الشحم بدرهم، فيأكل منه شهرا، فترك أكل الشحم وأدمن الصوم والعمل، فتوهمت أنه قد كان جعل على نفسه إن سلم أن يفعل ذلك.

وقال الخلال أبو بكر: حدثني محمد بن الحسين أن أبا بكر المروذي حدثهم قال: كان أبو عبد الله بالعسكر يقول: أنظر هل تجد لي ماء الباقلاء، فكنت ربما بللت خبزه بالماء فيأكله بالملح. ومنذ دخلنا العسكر إلى أن خرجنا ما ذاق طبيخا ولا دسما.

وعن المروذي قال: أنبهني أبو عبد الله ذات ليلة وكان قد واصل، فإذا هو قاعد فقال: هو ذا يدار بي من الجوع، فأطعمني شيئا، فجئته بأقل من رغيف، فأكله وقال: لولا أني أخاف العون على نفسي ما أكلت. وكان يقوم من فراشه إلى المخرج، فيقعد يستريح من الضعف من الجوع حتى أن كنت لأبل الخرقة فيلقها على وجهه لترجع إليه نفسه، حتى أوصى من الضعف من غير مرض، فسمعته يقول عند وصيته ونحن بالعسكر، وأشهد على وصيته: هذا ما أوصى به أحمد بن محمد، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا -[١٠٥٩]- شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وذكر ما يأتي.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر يوما، ما ذاق شيئا إلا مقدار ربع سويق، ورأيت ماقي عينيه قد دخلا في حدقتيه.

وقال صالح بن أحمد: وأوصى أبي بالعسكر هذه الوصية:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به أحمد بن محمد بن حنبل: أوصي أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وأوصى من أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله في العابدين، ويحمدوه في الحامدين، وأن ينصحوا لجماعة المسلمين. وأوصي أني قد رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا. وأوصي أن لعبد الله بن محمد المعروف بفوران علي نحوا من خمسين دينارا، وهو مصدق فيما قال، فيقضى ما له علي من غلة الدار إن شاء الله، فإذا استوفى أعطي ولد صالح وعبد الله ابني أحمد بن محمد بن حنبل، كل ذكر وأنثى عشرة دراهم بعد وفاء مال أبي محمد. شهد أبو يوسف، وصالح، وعبد الله ابنا أحمد.

أنبئت عمن سمع أبا علي الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم في الحلية، قال: حدثنا سليمان بن أحمد، قال:

حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: كتب عبيد الله ابن يحيى إلى أبي يخبره أن أمير المؤمنين أمرني أن أكتب إليك أسألك عن أمر القرآن، لا مسألة امتحان، ولكن مسألة معرفة وتبصرة. فأملى علي أبي رحمه الله إلى عبيد الله بن يحيى وحدي ما معي أحد:

بسم الله الرحمن الرحيم، أحسن الله عاقبتك أبا الحسن في الأمور كلها، ودفع عنك مكاره الدنيا والآخرة برحمته. قد كتبت إليك رضي الله عنك بالذي سأل عنه أمير المؤمنين بأمر القرآن بما حضرني. وإني أسأل الله أن يديم توفيق أمير المؤمنين، فقد كان الناس في خوض من الباطل واختلاف شديد ينغمسون فيه، حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين، فنفى الله بأمير المؤمنين كل بدعة، وانجلى عن الناس ما كانوا فيه من الذل وضيق المجالس، فصرف الله ذلك كله وذهب به بأمير المؤمنين، ووقع ذلك من المسلمين موقعا عظيما، -[١٠٦٠]- ودعوا الله لأمير المؤمنين وأن يزيد في نيته، وأن يعينه على ما هو عليه. فقد ذكر عن عبد الله بن عباس أنه قال: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم. وذكر عن عبد الله بن عمرو أن نفرا كانوا جلوسا بباب النبي صلى الله عليه وسلم. فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا؟ وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا؟ فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج كأنما فقئ في وجهه حب الرمان فقال: " «أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا. إنكم لستم مما هاهنا في شيء. انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به، وانظروا الذي نهيتم عنه، فانتهوا عنه.» ".

وروي عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مراء في القرآن كفر».

وروي عن أبي جهيم، رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " «لا تماروا في القرآن، فإن مراء فيه كفر». ".

وقال ابن عباس: قدم على عمر بن الخطاب رجل، فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا، فقال ابن عباس: فقلت: والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة. قال: فزبرني عمر وقال: مه. فانطلقت إلى منزلي مكتئبا حزينا، فبينا أنا كذلك إذ أتاني رجل فقال: أجب أمير المؤمنين. فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني، فأخذ بيدي، فخلا بي وقال: ما الذي كرهت؟ قلت: يا أمير المؤمنين متى يتسارعوا هذه المسارعة يحتقوا، ومتى ما يحتقوا يختصموا، ومتى ما يختصموا يختلفوا، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا. قال: لله أبوك، والله إن كنت لأكتمها الناس حتى جئت بها.

وروي عن جابر قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموقف -[١٠٦١]-

فيقول: " «هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي.» ".

وروي عن جبير بن نفير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " «إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه، يعني القرآن.»".

وروي عن ابن مسعود أنه قال: جردوا القرآن؛ لا تكتبوا فيه شيئا إلا كلام الله عز وجل.

وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: إن هذا القرآن كلام الله، فضعوه مواضعه.

وقال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد، إني إذا قرأت كتاب الله وتدبرته كدت أن آيس، وينقطع رجائي. فقال: إن القرآن كلام الله، وأعمال ابن آدم إلى الضعف والتقصير، فاعمل وأبشر.

وقال فروة بن نوفل الأشجعي: كنت جارا لخباب، وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فخرجت معه يوما من المسجد وهو آخذ بيدي فقال: يا هناه، تقرب إلى الله بما استطعت، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه.

وقال رجل للحكم بن عتيبة: ما حمل أهل الأهواء على هذا؟ قال: الخصومات.

وقال معاوية بن قرة - وكان أبوه ممن أتى النبي صلى الله عليه وسلم -: إياكم وهذه الخصومات فإنها تحبط الأعمال.

وقال أبو قلابة - وكان قد أدرك غير واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم -: لا - [١٠٦٢]- تجالسوا أهل الأهواء، أو قال: أصحاب الخصومات، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون.

ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا. قالا: فنقرأ عليك آية؟ قال: لا، لتقومان عني أو لأقومنه. فقاما. فقال بعض القوم: يا أبا بكر، وما عليك أن يقرأ عليك آية؟ قال: إني خشيت أن يقرأ علي آية فيحرفانها، فيقر ذلك في قلبي، ولو أعلم أني أكون مثلي الساعة لتركتهما.

وقال رجل من أهل البدع لأيوب السختياني: يا أبا بكر أسألك عن كلمة، فولى وهو يقول بيده: لا، ولا نصف كلمة.

وقال ابن طاوس لابن له يكلمه رجل من أهل البدع: يا بني، أدخل إصبعيك في أذنيك حتى لا تسمع ما يقول. ثم قال: اشدد اشدد.

وقال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل.

وقال إبراهيم النخعي: إن القوم لم يدخر عنهم شيء خبئ لكم لفضل عندكم.
وكان الحسن يقول: شر داء خالط قلبا، يعني: الأهواء.
وقال حذيفة بن اليمان: اتقوا الله، وخذوا طريق من كان قبلكم، والله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقا بعيدا، ولئن تركتموه يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا، أو قال: مبينا.
قال أبي: وإنما تركت ذكر الأسانيد لما تقدم من اليمين التي قد حلفت بها مما قد علمه أمير المؤمنين. لولا ذاك ذكرتها بأسانيدها. وقد قال الله تعالى: " {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله.} [التوبة ٦] وقال: {" ألا له الخلق والأمر} [الأعراف ٥٤]، فأخبر بالخلق. ثم قال: " والأمر " فأخبر أن الأمر غير الخلق. وقال عز وجل: " {الرحمن} {علم القرآن} {خلق الإنسان} {علمه البيان} [الرحمن]، فأخبر أن القرآن من علمه. وقال تعالى: " {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير} [البقرة]، وقال: " {ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك لمن الظالمين} [البقرة]. وقال تعالى: -[١٠٦٣]- {وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق} [الرعد]. فالقرآن من علم الله. وفي هذه الآيات دليل على أن الذي جاءه هو القرآن، لقوله: " {ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم} [البقرة ١٢٠].
وقد روي عن غير واحد ممن مضى من السلف أنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق. وهو الذي أذهب إليه. لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا، إلا ما كان في كتاب الله، أو في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن أصحابه، أو عن التابعين. فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود.
قلت: رواة هذه الرسالة عن أحمد أئمة أثبات، أشهد بالله أنه أملاها على ولده. وأما غيرها من الرسائل المنسوبة إليه كرسالة الإصطخري ففيها نظر. والله أعلم.." (١)

"٢٦١ - طيفور بن عيسى، أبو يزيد البسطامي الزاهد العارف. [الوفاة: ٢٦١ - ٢٧٠ هـ] من كبار مشايخ القوم. وهو بكنيته أعرف. وله أخوان: آدم، وعلي، كانا زاهدين عابدين، وكان جدهم

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار٥/١٠٤٩

أبو عيسى آدم بن عيسى مجوسيا فأسلم.

ومن كلام أبي يزيد رحمه الله عليه: قال: ما وجدت شيئا أشد علي من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لبقيت حائرا.

وقال: هذا فرحي بك وأنا أخافك، فكيف فرحي بك إذا أمنتك؟ وعنه قال: ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير، إنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير. وعنه، وقيل له: إنك تمر في الهواء، قال: وأي أعجوبة في هذا؟ طير يأكل الميتة يمر في الهواء، والمؤمن أشرف منه. -[٣٤٦]-

وعنه قال: ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر.

وقال: الجنة لا خطر لها عند المحبين، لأنهم محجوبون بمحبتهم.

وقال: ما ذكروه إلا بالغفلة، ولا خدموه إلا بالفترة.

وعنه قال: اللهم لا تقطعني بك عنك.

وعنه: قال: العارف فوق ما يقول، والعالم دون ما يقول.

وقيل له: علمنا الاسم الأعظم. قال: ليس له حد، إنما هو فراغ قلبك لوحدانيته، فإذا كنت كذلك فارفع له أي اسم شئت.

وعنه: قال: لله خلق كثير يمشون على الماء، وليس لهم عند الله قيمة.

وكان يقول: لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء، فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة.

قلت: بل قد اغتر أهل زماننا وخالفوا أبا يزيد، وأكبر من أبي يزيد، وتهافتوا على كل مجنون بوال على عقبيه، له شيطان ينطق على لسانه بالمغيبات، نسأل الله السلامة.

قيل: إن أبا يزيد توفي سنة إحدى وستين ومائتين.

وقد نقلوا عنه أشياء من متشابه القول، الشأن في صحتها عنه، ولا تصح عن مسلم، فضلا عن مثل أبي يزيد، منها: سبحاني.

ومنها: ما النار، لأستندن إليها غدا، وأقول: اجعلني لأهلها فداء، أو لأبلغنها. ما الجنة، لعبة صبيان ومراد أهل الدنيا. ما المحدثون إن خاطبهم رجل عن رجل، فقد خاطبنا القلب عن الرب.

وقال في يهود: هبهم لي، ما هؤلاء حتى تعذبهم؟!

وهذا الشطح إن صح عنه فقد يكون قاله في حالة سكره، وكذلك قوله عن نفسه: ما في الجبة إلا الله.

وحاشى مسلم فاسق من قول هذا أو اعتقاده يا حي يا قيوم ثبتنا بالقول الثابت وبعض العلماء يقول هذا الكلام مقتضاه ضلاله، ولكن له تفسير وتأويل يخالف ظاهره، فالله أعلم. -[٣٤٧]-

قال السلمي في تاريخه: مات أبو يزيد عن ثلاث وسبعين سنة، وله كلام حسن في المعاملات.

قال: ويحكى عنه في الشطح أشياء، منها ما لا يصح، أو يكون مقولا عليه. وكان يرجع إلى أحوال سنية.

ثم ساق بسنده عن أبي يزيد قال: من لم ينظر إلى شاهدي بعين الاضطراب، وإلى أوقاتي بعين الاغتراب، وإلى أحوالي بعين الاستدراج، وإلى كلامي بعين الافتراء، وإلى عباراتي بعين الاجتراء، وإلى نفسي بعين الازدراء، فقد أخطأ النظر في.

وعن أبي يزيد قال: لو صفا لي تهليلة ما باليت بعدها.." (١)

"١٠٧ - إسحاق بن سيار بن محمد، أبو يعقوب النصيبي. [الوفاة: ٢٧١ - ٢٨٠ هـ]

سمع: أبا النضر هاشم بن القاسم، وعبد الله بن داود الخريبي، وأبا عاصم، وطبقتهم.

وعنه: خيثمة بن سليمان، وابن صاعد، ومحمد بن يوسف الهروي، وآخرون.

وكان من كبار العلماء. -[٥١٤]-

قال أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد: حدثنا إسحاق بن سيار النصيبي إمام الأئمة.

وقال ابن أبي حاتم: كتب إلي ببعض حديثه، وكان ثقة.

وقال أبو عروبة: مات بنصيبين في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين.

أخبرنا أحمد بن إسحاق، قال: أخبرنا الفتح بن عبد الله، أخبرنا أبو الفضل الأرموي، وغيره، قالوا: أخبرنا أبو جعفر ابن المسلمة، قال: أخبرنا أبو الفضل الزهري، قال: حدثنا جعفر الفريابي، قال: حدثنا إسحاق بن سيار، قال: حدثنا أبو صالح قال: حدثنا معاوية بن صالح، عن المهاجر بن حبيب: أن عيسى ابن مريم كان يقول: إن الذي يصلي ويصوم، ولا يترك الخطايا، مكتوب في الملكوت كذابا.

قال ابن أبي حاتم: كان إسماعيل القاضي يقول: ما بقي في زماننا أحد تجب الرحلة إليه غير إسحاق بن سيار النصيبي، وأبي حاتم، ويعقوب الفسوي.." (٢)

"١١٠ - إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير، أبو إسحاق الحربي الفقيه الحافظ، [الوفاة: ٢٨١ - ٢٩٠ هـ]

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار٦/٣٤٥

(٢) تاريخ الإسلام ت بشار٦/٥١٣

أحد الأعلام.
ولد سنة ثمان وتسعين ومائة. وطلب العلم سنة بضع عشرة
فسمع: هوذة بن خليفة، وأبا نعيم، وعمرو بن مرزوق، وعبد الله بن صالح العجلي، وعاصم بن علي، وعفان، وأبا عمر الحوضي، وأبا سلمة التبوذكي، ومسدد بن مسرهد، وأبا عبيد القاسم بن سلام، وشعيب بن محرز.
وتفقه على الإمام أحمد وحمل عنه الكثير، وكان من نجباء أصحابه.
روى عنه: ابن صاعد، وعثمان ابن السماك، وأبو بكر النجاد، وأبو بكر الشافعي، وعمر بن جعفر الختلي، وعبد الرحمن بن العباس المخلص، وخلق آخرهم موتا أبو بكر القطيعي.
قال الخطيب: كان إماما في العلم، رأسا في الزهد، عارفا بالفقه، بصيرا بالأحكام، حافظا للحديث، مميزا لعلله، قيما بالأدب، جماعة للغة. صنف غريب الحديث وكتبا كثيرة، أصله من مرو.
وقال القفطي في تاريخ النحاة: كان رأسا في الزهد، عارفا بالمذاهب، بصيرا بالحديث حافظا له، له في اللغة كتاب غريب الحديث، -[٧٠٤]- وهو من أنفس الكتب وأكبرها في هذا النوع.
وقال ابن جهضم، وهو ضعيف: حدثنا الخلدي، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن ماهان قال: سمعت إبراهيم بن إسحاق يقول: أجمع عقلاء كل أمه أنه من لم يجر مع القدر لم يتهنأ بعيشه.
وكان يقول: قميصي أنظف قميص، وإزاري أوسخ إزار. ما حدثت نفسي أنهما يستويان قط، وفرد عقبي صحيح والآخر مقطوع، ولا أحدث نفسي أني أصلحها، ولا شكوت إلى أهلي وأقاربي حمى أجدها. لا يغم الرجل نفسه وعياله، ولي عشر سنين أبصر بفرد عين ما أخبرت به أحدا. وأفنيت من عمري ثلاثين سنة برغيفين، إن جاءتني بهما أمي أو أختي، وإلا بقيت جائعا إلى الليلة الثانية. وأفنيت ثلاثين سنة برغيف في اليوم والليلة، إن جاءتني امرأتي أو بناتي به، وإلا بقيت جائعا، والآن آكل نصف رغيف وأربع عشرة تمرة. وقام إفطاري في رمضان هذا بدرهم ودانقين ونصف.
وقال أبو القاسم بن بكير: سمعت إبراهيم الحربي يقول: ما كنا نعرف من هذه الأطبخة شيئا، كنت أجيء من عشي إلى عشي، وقد هيأت لي أمي باذنجانة مشوية، أو لعقة بن، أو باقة فجل.
وقال أبو عمر الزاهد: سمعت ثعلب يقول غير مرة: ما فقدت إبراهيم الحربي من مجلس لغة أو نحو من خمسين سنة.
قال الخطيب: أخبرنا محمد بن جعفر بن علان قال: أخبرنا عيسى بن محمد بن أحمد بن عمر بن عبد

الملك بن عبد العزيز بن جريج الطوماري قال: جئت إلى إبراهيم الحربي وقد فاتني حديث، فأخذته وجئت به إليه، فقلت: فاتني هذا. قال: ضعه على رأسك. ففعلت، وكان إلى جنبه محمد بن خلف وكيع، فقال له: يا سيدي، هذا من ولد ابن جريج. فأدناني ثم قال: حدثنا أحمد بن منصور، قال: حدثنا عفان، ثم قال لوكيع: لو قلت لك: حدثنا عفان من أين كنت تعلم؟ فقال رجل: يا أبا إسحاق، لو قلت فيما لم تسمع: سمعت، ما حول الله هذه الوجوه إليك. -[٧٠٥]-

قال محمد بن أيوب العكبري: سمعت الحربي يقول: ما تروحت ولا روحت قط، ولا أكلت من شيء في يوم مرتين.

قال أبو الحسين بن سمعون: قال أحمد بن سليمان القطيعي: أضقت إضاقة، فأتيت إبراهيم الحربي لأبثه، فقال لي: لا يضيق صدرك، فإن الله من وراء المعونة، فإني أضقت مرة حتى انتهى أمري إلى الإضاقة إلى أن عدم عيالي قوتهم، فقالت الزوجة: هب أني وإياك نصبر، فكيف بالصبيين؟ هات شيئا من كتبك نبيعه أو نرهنه، فضننت بذلك، وقلت: أقترض غدا. فلما كان الليل دق الباب، فقلت: من ذا؟ قال: رجل من الجيران، أطفئ السراج حتى أدخل. فكببت شيئا على السراج، فدخل وترك شيئا، فقام فإذا هو منديل فيه أنواع من المآكل، وكاغد فيه خمسمائة درهم، فأنبهنا الصغار وأكلوا. ثم من الغد، إذا جمال يقود جملين، عليهما حملان ورقا، وهو يسأل عن منزلي، فقال: هذان الجملان أنفذها لك رجل من خراسان، واستحلفني أن لا أقول من هو.

قلت: إسنادها فيه انقطاع.

قال الحسين بن فهم: لا ترى عيناك مثل الحربي، إمام الدنيا. لقد رأيت وجالست العلماء، فما رأيت رجلا أكمل منه.

وقال الحاكم: سمعت محمد بن صالح القاضي يقول: لا نعلم أن بغداد أخرجت مثل إبراهيم الحربي في الأدب، والفقه، والحديث، والزهد.

قلت: يريد اجتماع الأربعة علوم.

وقال أبو أيوب سليمان بن الخليل: سمعت الحربي يقول: في " غريب الحديث " ثلاثة وخمسون حديثا ليس لها أصل.

قال الدارقطني: أبو إسحاق الحربي إمام مصنف، عالم بكل شيء، بارع في كل علم، صدوق.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كان يقول لي أبي: امض إلى إبراهيم الحربي حتى يلقي عليك الفرائض.

وقال أبو بكر الشافعي: سمعت إبراهيم الحربي يقول: عندي عن علي ابن المديني قمطر، ولا أحدث عنه بشيء لأني رأيته المغرب وبيده نعله -[٧٠٦]- مبادرا، فقلت: إلى أين؟ فقال: ألحق الصلاة مع أبي عبد الله. قلت: من أبو عبد الله؟ قال: ابن أبي دؤاد.

وقال أبو الحسن العتكي: سمعت إبراهيم الحربي يقول لجماعة عنده: من تعدون الغريب في زماننا؟ فقال واحد: الغريب من نأى عن وطنه. وقال آخر: الغريب من فارق أحبابه. وقال كل واحد شيئا، فقال: الغريب في زماننا رجل صالح عاش بين قوم صالحين، إن أمر بالمعروف آزروه، وإن نهى عن المنكر أعانوه، وإن احتاج إلى سبب من الدنيا مانوه، ثم ماتوا وتركوه.

وقال أبو الفضل الزهري، عن أبيه، عن الحربي، قال: ما أنشدت بيتا قط، إلا قرأت بعده: " قل هو الله أحد " ثلاث مرات.

قال السلمي: سألت الدارقطني عن إبراهيم الحربي، فقال: كان يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه.

وقال غيره: سير المعتضد إلى إبراهيم الحربي عشرة آلاف، فردها، فقيل له: فرقها. فأبى. ثم لما مرض سير إليه المعتضد ألف دينار، فلم يقبلها. فخاصمته ابنته فقال: أتخشين إذا مت الفقر؟ قالت: نعم. قال في تلك الزاوية اثنا عشر ألف جزء حديثية ولغوية وغير ذلك، كتبتها بخطي، فبيعي منها كل يوم جزءا بدرهم وأنفقيه.

توفي لسبع بقين من ذي الحجة سنة خمس وثمانين، وصلى عليه يوسف القاضي، وكانت جنازته مشهودة.." (١)

"٣٦٨ - علي بن محمد بن الحسن بن متويه، أخو إبراهيم بن متويه، الأصبهاني. [الوفاة: ٢٨١ - ٢٩٠ هـ]

كان زاهد إصبهان في زمانه، حكى عنه أبو الشيخ الحافظ وقال: لم ندرك في زماننا مثله في زهده وعبادته، دخلت إليه مع أبي.

توفي سنة ثلاث وثمانين.." (٢)

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار٦/٧٠٣

(٢) تاريخ الإسلام ت بشار٦/٧٨٣

"٣٣٤ - عيسى بن محمد بن عيسى. أبو العباس الطهماني المروزي الكاتب اللغوي، [الوفاة: ٢٩١ - ٣٠٠ هـ]

إمام أهل اللغة في زمانه.

سمع: إسحاق بن راهويه، وعلي بن حجر، وعلي بن خشرم، وطائفة.

وعنه: أحمد بن الخضر، ويحيى بن محمد العنبري، وعمر بن علك الجوهري وطائفة سواهم.

وكان رئيسا نبيلا كثير الفضائل.

سمع الحاكم والده يقول: سمعت أبا العباس عيسى الطهماني يقول: رأيت بخوارزم امرأة لا تأكل ولا تشرب ولا تروث. -[٩٩٢]-

وقال: أبو صالح محمد بن عيسى: توفي أبي في صفر سنة ثلاث وتسعين.

قال الحاكم: سمعت أبا زكريا العنبري يقول: سمعت أبا العباس، فذكر قصة المرأة التي لا تأكل ولا تشرب، وأنها عاشت كذلك نيفا وعشرين سنة. فقال: إن الله يظهر إذا شاء ما شاء من آياته، فيزيد الإسلام بها عزا وقوة، وإن مما أدركنا عيانا، وشاهدناه في زماننا أنني وردت سنة ثمان وثلاثين مدينة من مدائن خوارزم، بينها وبين المدينة العظمى نصف يوم، فخبرت أن بها امرأة من نساء الشهداء رأت رؤيا كأنها أطعمت في منامها شيئا، فهي لا تأكل ولا تشرب منذ عهد عبد الله بن طاهر؛ ثم مررت بها سنة اثنتين وأربعين، فرأيتها وحدثتني بحديثها، ثم رأيتها بعد عشر سنين فرأيت حديثها شائعا فاجتمعت بها وهي مارة فرأيت مشيتها قوية، وإذا هي امرأة نصف، جيدة القامة، حسنة البنية، متوردة الخدين، فسايرتني وأنا راكب. فعرضت عليها مركبا، فأبت وبقيت تمشي معي.

وحضر مجلسي محمد بن حمدويه الحارثي، وهو فقيه قد كتب عنه موسى بن هارون، وكهل له عبارة وبيان يسمى عبد الله بن عبد الرحمن، وكان يخلف أصحاب المظالم في ناحيته، فسألتهم عنها، فأحسنوا القول فيها، وأثنوا عليها، وقالوا: أمرها ظاهر، ليس فينا من يختلف فيه.

وقال عبد الله: أنا أسمع أمرها من أيام الحداثة، وقد فرغت بالي لها، فلم أر إلا سترا وعفافا. ولم أعثر منها على كذب في دعواها. وذكر أن من كان يلي خوارزم كانوا يحضرونها الشهر والشهرين في بيت، ويغلقون عليها.

قال: فلما تواطأ أهل الناحية على تصديقها سالتها، فقالت: اسمي رحمة بنت إبراهيم، كان لي زوج نجار يأتيه رزقه يوما فيوما. وأنها ولدت منه عدة أولاد. وجاء الأقطع ملك الترك الغزية، فعبر الوادي عند جموده

إلينا في زهاء ثلاثة آلاف فارس.

قال الطهماني: والأقطع هذا كان كافرا عاتيا، شديد العداوة للمسلمين، قد أثر على أهل الثغور، وألح على أهل خوارزم، وكان ولاة -[٩٩٣]- خراسان يتألفونه، ويبعثون إليه بمال وألطاف، وأنه أقبل مرة في خيوله فعاث وأفسد وقتل، فأنهض إليه ابن طاهر أربعة من القواد، وأن وادي جيحون - وهو الذي في أعلى نهر بلخ - جمد، وهو واد عظيم، شديد الطغيان، كثير الآفات، وإذا امتد كان عرضه نحوا من فرسخ، وإذا جمد انطبق، فلم يوصل منه إلى شيء، حتى يحفر فيه، كما تحفر الآبار في الصخور. وقد رأيت كثف الجمد عشرة أشبار. فأخبرت أنه كان فيما خلا يزيد على عشرين شبرا، وإذا هو انطبق صار الجمد جسرا لأهل البلد، تسير عليه القوافل والعجل، وربما بقي الجمد مائة وعشرين يوما، وأقله سبعون يوما.

قالت المرأة: فعبر الكافر، وصار إلى باب الحصن، فأراد الناس الخروج لقتاله، فمنعهم العامل دون أن تتوافى العساكر. فشد طائفة من شبان الناس، فتقاربوا من السور، وحملوا على الكفرة، فتهازموا، واستجروهم بين البيوت، ثم كروا عليهم، وصار المسلمون في مثل الحرجة فحاربوا كأشد حرب، وثبتوا حتى تقطعت الأوتار، وأدركهم اللغوب والجوع والعطش، وقتل عامتهم، وأثخن من بقي. فلما جن عليهم الليل، تحاجز الفريقان.

قالت: ورفعت النيران من المناظر ساعة عبور الكافر، فاتصلت بجرجانية خوارزم، وكان بها ميكال مولى طاهر في عسكر، فخف وركض إلى حصننا في يوم وليلة أربعين فرسخا، وغدا الترك للفراغ من أمر أولئك، فبينا هم كذلك إذ ارتفعت لهم الأعلام السود، وسمعوا الطبول، فأفرجوا عن القوم، ووافى ميكال موضع المعركة، فارتث القتلى، وحمل الجرحى، وأدخل الحصن عشيتئذ زهاء أربع مائة جنازة، وعمت المصيبة، وارتجت الناحية بالبكاء والنوح، ووضع زوجي بين يدي قتيلا، فأدركني من الجزع والهلع عليه ما يدرك المرأة الشابة المسكينة على زوج أبي أولاد، وكاسب عيال. فاجتمع النساء من قراباتي والجيران، وجاء الصبيان، وهم أطفال يطلبون الخبز، وليس عندي ما أعطيهم، فضقت صدرا، وأذن المغرب فصليت ما قضي لي ثم سجدت أدعو وأتضرع وأسأل فنمت، فرأيت -[٩٩٤]- كأني في أرض حسناء ذات حجارة وشوك، أهيم فيها والهة حرى أطلب زوجي، فناداني رجل: خذي ذات اليمين، فأخذت، فرفعت لي أرض سهلة طيبة الثرى طاهرة العشب، وإذا قصور وأبنية لا أحسن أن أصفها، وأنهار تجري من غير أخاديد، فانتهيت إلى قوم جلوس حلقا حلقا، عليهم ثياب خضر، قد علاهم النور، فإذا هم الذين قتلوا، يأكلون على

موائد. فجعلت أبغي زوجي، فناداني: يا رحمة، يا رحمة. فيممت الصوت، فإذا به في مثل حال من رأيت الشهداء، ووجهه مثل القمر ليلة البدر، وهو يأكل مع رفقة. فقال لهم: إن هذه البائسة جائعة منذ اليوم، أفتأذنون أن أناولها؟ فأذنوا له، فناولني كسرة أبيض من الثلج، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، فأكلته. فلما استقر في جوفي قال: اذهبي. فقد كفاك الله مؤونة الطعام والشراب ما حييت.

فانتبهت وأنا شبعى ريا، لا أحتاج إلى طعام ولا إلى شراب، فما ذقتهما إلى الآن.

قال الطهماني: وكانت تحضرنا، وكنا نأكل، فتتنحى، وتأخذ على أنفها، تزعم أنها تتأذى برائحة الطعام، فسألتها: هل يخرج منها ريح؟ قالت: لا. قلت: والحيض؟ أظنها قالت: انقطع. قلت: فهل تحتاجين حاجة النساء إلى الرجال؟ قالت: أما تستحي مني، تسألني عن مثل هذا؟ قلت: إني لعلي أحدث الناس عنك. قالت: لا أحتاج. قلت: فتنامين؟ قالت: نعم. قلت: فما ترين في منامك؟ قالت: مثل الناس. قلت: فتجدين لفقد الطعام وهنا في نفسك؟ قالت: ما أحسست الجوع منذ طعمت ذلك الطعام. وكانت تقبل الصدقة، فقلت: ما تصنعين بها؟ قالت: أكتسي وأكسو ولدي.

قلت: فهل تجدين البرد؟ قالت: نعم. قلت: فهل يدركك اللغوب والإعياء إذا مشيت؟ قالت: نعم، ألست من البشر؟ قلت: فتتوضئين للصلوات؟ قالت: نعم. قلت: ولم؟ قالت: تأمرني بذلك الفقهاء، تعني للنوم. وذكرت لي أن بطنها لاصق بظهرها، فأمرت امرأة من نسائنا، فنظرت، فإذا بطنها كما وصفت، وإذا قد اتخذت كيسا وضمت القطن وشدته على بطنها كي لا ينقصف ظهرها إذا مشت. -[٩٩٥]-

قال: ثم لم أزل اختلف إلى هزارسف، يعني بليدتها، فتحضر فأعيد مسألتها، وهي تتكلم بلغة أهل خوارزم، فلا تزيد من الحديث، ولا تنقص منه. فعرضت كلامها كله على عبد الله بن عبد الرحمن الفقيه، فقال: أنا أسمع هذا الكلام منذ نشأت، فلا أرى من يدفعه. وأجريت ذكرها لأبي العباس أحمد بن محمد بن طلحة بن طاهر والي خوارزم في سنة سبع وستين، فقال: هذا غير كائن. قلت: فالأمر سهل، والمسافة قريبة. تأمر بها، فتحمل إليك، وتمتحنها بنفسك. فأمرني، فكتبت عنه إلى العامل، فأشخصها على رفق. فأخبرني أبو العباس أحمد أنه وكل أمه دون الناس بمراعاتها، وسألها أن تستقصي عليها، وتتفقدها في ساعات الغفلات. وأنها بقيت عند أمه نحوا من شهرين، في بيت لا تخرج منه، فلم يروها تأكل ولا تشرب. وكثر من ذلك تعجبه، وقال: لا ينكر لله قدره. وبرها وصرفها، فلم يأت عليها إلا القليل حتى ماتت، رحمها الله.

قلت: حدثني غير واحد أثق به، أن امرأة كانت بالأندلس مثل هذه كانت في حدود السبع مائة، بقيت

نحوا من عشرين سنة لا تأكل شيئا، وأمرها مشهور.

وذكر علاء الدين الكندي في تذكرته عن الفاروثي مثل ذلك، عن رجل كان بالعراق بعد الست مائة.." (١)

"٥٤٣ - هارون بن موسى بن شريك الأخفش أبو عبد الله التغلبي الدمشقي المقرئ. [الوفاة: ٢٩١ - ٣٠٠ هـ]

شيخ المقرئين في وقته بدمشق

قرأ علي: هشام بن عمار وعبد الله بن ذكوان

وحدث عن: الكبار أبي مسهر وسلام بن سليمان المدائني وجماعة.

وقرأ عليه: أبو الحسن بن الأخرم وأبو علي الحصائري وأبو بكر النقاش فيما زعم وجعفر بن حمدان النيسابوري وجماعة. وحدث عنه: أبو هاشم محمد بن عبد الأعلى وأبو بكر بن فطيس وأبو القاسم الطبراني وعبد الله بن الناصح وآخرون.

ولد سنة مائتين.

قال ابن الناصح: حدثنا هارون بن موسى، قال: حدثنا أبو العباس سلام بن سليمان الضرير، قال: حدثنا أبو عمرو بن العلاء، عن نافع مولى ابن عمر، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في سورة الأنفال: " الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا "، برفع الضاد.

قلت: عاش ابن الناصح بعد أبي عمرو بن العلاء مائتين وعشر سنين، وبينه وبينه اثنان.

قلت: وأبلغ من ذلك في زماننا جماعة بينهم وبين جمال الإسلام الداودي اثنان، وله قد مات مائتان وسبع وأربعون سنة. وأبلغ من ذلك ابن كليب بينه وبين إسماعيل الصفار رجلان وعاش بعده مائتين وخمسا وخمسين سنة.

قال أبو علي أحمد بن محمد الأصبهاني المقرئ: إلى هارون الأخفش رجعت الإمامة في قراءة ابن ذكوان، وكان من أهل الفضل والأدب، صنف كتبا كثيرة في القراءات والعربية، وأخذ القراءة عنه جماعة -[١٠٦٣]- كثيرة من دمشق، وقرأ عليه من أهل بعلبك أبو طاهر بن ذكوان، ومن أهل فلسطين أبو بكر محمد بن أحمد الداجوني، ومن أهل الثغر إبراهيم بن عبد الرزاق الأنطاكي، ومن أهل العراق أبو الحسن

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار٦/٩٩١

بن شنبوذ، والنقاش، وهبة الله بن جعفر.

قال ابن الناصح: توفي في خامس صفر سنة اثنتين وتسعين.." (١)

"٤٩١ - أبو علي بن خيران، هو الحسين بن صالح بن خيران الفقيه الشافعي، [المتوفى: ٣٢٠ هـ] من كبار الأئمة ببغداد.

قال أبو الطيب الطبري: كان أبو علي بن خيران يعاتب ابن سريج على ولاية القضاء، ويقول: هذا الأمر لم يكن في أصحابنا، إنما كان في أصحاب أبي حنيفة.

وقال أبو إسحاق الشيرازي في ترجمة ابن خيران: عرض عليه القضاء فلم يتقلد، وكان بعض وزراء المقتدر وكل بداره ليتقلد القضاء، فلم يتقلد، وخوطب الوزير في ذلك فقال: إنما قصدنا ليقال: في زماننا من وكل بداره ليتقلد القضاء فلم يفعل.

قلت: تخرج بأبي علي بن خيران جماعة ببغداد.

وقيل: إن وفاته سنة عشرين وهم، وإنما توفي في حدود سنة عشر، والأول أظهر، فأن أبا بكر محمد بن أحمد الحداد الفقيه سافر من مصر إلى بغداد يسعى لأبي عبيد بن حربويه القاضي في أن يعفى من قضاء مصر، فقال ابن زولاق في " تاريخ قضاة مصر ": وشاهد ابن الحداد ببغداد في شوال سنة عشر باب أبي علي بن خيران الفقيه الشافعي مسمورا لامتناعه من القضاء، وقد استتر، قال: فكان الناس يأتون بأولادهم الصغار، فيقولون لهم: انظروا حتى تحدثوا بهذا.

قال أبو عبد الله الحسين بن محمد العسكري: توفي لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة عشرين، امتنع من القضاء، فوكل الوزير ابن -[٣٧٩]- عيسى ببابه، فشاهدت الموكلين على بابه حتى كلم فاعفاه، وقال: ختم الباب بضعة عشر يوما.

قلت: لم يبلغنا على من اشتغل ولا من أخذ عنه، وأظنه مات كهلا، ولم يسمع شيئا فيما أعلم.." (٢)

"١٣٥ - علي بن عيسى بن علي، أبو الحسن النحوي المعروف بالرماني. [المتوفى: ٣٨٤ هـ]

أخذ عن أبي بكر بن دريد، والزجاج، وأبي بكر ابن السراج.

روى عنه: هلال بن المحسن، وأبو القاسم التنوخي، والحسن بن علي الجوهري.

وكان متفننا في علوم كثيرة من القرآن والفقه والنحو والكلام على مذهب المعتزلة. صنف في التفسير

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار٦/١٠٦٢

(٢) تاريخ الإسلام ت بشار٧/٣٧٨

والنحو واللغة.

وكان متفننا في علوم كثيرة، من القرآن والفقه والنحو والكلام على مذهب المعتزلة. صنف في التفسير والنحو واللغة.

وكان مولده سنة ست وتسعين ومائتين، ومات في جمادى الأولى، وله ثمان وثمانون سنة.

شرح "كتاب " سيبويه شرحا كبيرا، وشرح " الجمل " لابن السراج، وله كتاب " الاشتقاق " وكتاب " التصريف "، وكتبا كثيرة ذكرها القفطي في ترجمته. قال: وصنف في الكلام كتابا سماه " صنعة الاستدلال " في سبع -[٥٦١]- مجلدات، وكتاب " الأسماء والصفات لله تعالى " وكتاب " الأكوان " وكتاب " المعلوم والمجهول "، وله نحو مائة تصنيف، وكان مع اعتزاله شيعيا.

قال التنوخي: وممن ذهب في زماننا إلى أن عليا رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعتزلة: أبو الحسن الرماني.

قلت: كان رأسا في عدة فنون لاسيما العربية، وكان يمزج في كلامه في النحو بالمنطق، حتى قال فيه أبو علي الفارسي: إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء، وإن النحو ما نقوله نحن، فليس معه منه شيء.

وكان يقال: النحويون في زمانهم ثلاثة، واحد لا يفهم كلامه، وهو الرماني، وواحد يفهم بعض كلامه، وهو أبو علي، وواحد يفهم جميع كلامه، وهو أبو سعيد السيرافي.

وكان أبو حيان التوحيدي يبالغ في تعظيم الرماني حتى قال: فإنه لم ير مثله قط علما بالنحو، وغزارة في الكلام، وبصرا في المقالات، واستخراجا للعويص، مع تأله وتنزه وفصاحة وفقاهة.

قلت: ثم وصفه بالدين واليقين والحلم والرزانة والاحتمال والوقار.." (١)

"٢٢٢ - عبد الصمد بن عمر، أبو القاسم، الدينوري ثم البغدادي، الواعظ. [المتوفى: ٣٩٧ هـ]

روى عن: أبي بكر النجاد.

قال الخطيب: حدثنا عنه عبد العزيز الأزجي، والقاضي أبو عبد الله الصيمري، قال: وكان زاهدا ثقة أمارا بالمعروف ناهيا عن المنكر، صاحب مجاهدات وأوراد ومقامات، وإليه تنسب الطائفة المعروفة بأصحاب عبد الصمد.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار٨/٥٦٠

قلت: وكان ببغداد في زماننا الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش المقرئ الصالح، له أصحاب منهم الشيخ إبراهيم بن أحمد الرقي الزاهد رحمة الله عليه، والشيخ أبو بكر المقصاتي المقرئ، وجماعة ببغداد ينسبون إليه أيضا.." (١)

"-سنة ثلاثين وأربعمائة

فيها في جمادى الآخرة تملك بنو سلجوق خراسان والجبل، وهرب مسعود بن محمد بن سبكتكين، وأخذوا الملك منه، وتملك طغرلبك أبو طالب محمد، وأخوه داود، واستولى أولاد ميكائيل بن سلجوق على البلاد.

وفي هذه السنة خوطب أبو منصور ابن السلطان جلال الدولة أبي طاهر بالملك العزيز.

قلت: وهذا أول من لقب بألقاب ملوك زماننا، كالملك العادل والملك المظفر. -[٣٥٦]-

قال: وكان مقيما بواسط، وبه انقرض ملك بني بويه.

ولم يحج في هذه السنة من العراق ومصر والشام كبير أحد.

وفيها وقع ثلج عظيم ببغداد وبقي سبعة أيام في الدروب، وقد جاء الثلج ببغداد مرة في خلافة الرشيد، ومرة في خلافة المعتمد، ومرات أخر قليلة.." (٢)

"٣٠ - الملك العزيز أبو منصور ابن جلال الدولة أبي طاهر بن بويه. [المتوفى: ٤٤١ هـ]

توفي بظاهر ميافارقين، وله شعر رائق.

ورخه ابن نظيف، وكان قد قرأ العربية مدة بواسط على أبي الحسن الحسيني النحوي المتوفى سنة ثمان وثلاثين، وكانت مدة مملكته سبع سنين، وهو أول من لقب بألقاب ملوك زماننا، وكانت دولته ضعيفة.." (٣)

"٦٥٤- ٩/١٠٦ - الشعراني الحافظ الإمام الجوال أبو محمد الفضل بن محمد بن المسيب البيهقي من ذرية ملك اليمن باذام الذي أسلم بكتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

سمع سليمان بن حرب وقالون عيسى وسعيد بن أبي مريم وعبد الله بن صالح وإسماعيل بن أبي أويس وأبا توبة الحلبي وأبا جعفر النفيلي وخلائق. روى عنه ابن خزيمة وابن الشرقي وعلي بن حمشاذ وأبو عبد الله بن الأخرم ومحمد بن المؤمل وخلق. وحفيده إسماعيل بن محمد بن الفضل قال ابن المؤمل: كنا نقول ما

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار٨/٧٧٥

(٢) تاريخ الإسلام ت بشار٩/٣٥٥

(٣) تاريخ الإسلام ت بشار٩/٦٣٢

بقي بلد لم يدخله الفضل الشعراني في طلب الحديث إلا الأندلس. قال الحاكم: كان أديبا فقيها عابدا عارفا بالرجال كان يرسل شعره فلقب بالشعراني وقال ابن ماكولا كان قد قرأ القرآن على خلف وعنده عن أحمد بن حنبل تاريخه وعن سنيد المصيصي تفسيره قال: ابن أبي حاتم تكلموا فيه. وقال ابن الأخرم: صدوق غال في التشيع وقال الحاكم: ثقة لم يطعن فيه بحجة مات في أول سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

ولقد كان في هذا العصر وما قاربه من أئمة الحديث النبوي خلق كثير وما ذكرنا عشرهم هنا وأكثرهم مذكورون في تاريخي، وكذلك كان في هذا الوقت خلق من أئمة أهل الرأي والفروع وعدد من أساطين المعتزلة والشيعة وأصحاب الكلام الذين مشوا وراء المعقول وأعرضوا عما عليه السلف من التمسك بالآثار النبوية وظهر في الفقهاء التقليد وتناقص الاجتهاد فسبحان من له الخلق والأمر فبالله عليك يا شيخ ارفق بنفسك والزم الإنصاف ولا تنظر إلى هؤلاء الحفاظ النظر الشزر ولا ترمقنهم بعين النقص ولا تعتقد فيهم أنهم من جنس محدثي زماننا حاشا وكلا فما في من سميت أحد ولله الحمد إلا وهو بصير بالدين عالم بسبيل النجاة وليس في كبار محدثي زماننا أحد يبلغ رتبة أولئك في المعرفة فإني أحسبك لفرط هواك تقول بلسان الحال إن أعوزك المقال: من أحمد وما ابن المديني وأي شيء أبو زرعة وأبو داود هؤلاء محدثون ولا يدرون ما الفقه ما أصوله ولا يفقهون الرأي ولا علم لهم بالبيان والمعاني والدقائق ولا خبرة لهم بالبرهان والمنطق ولا يعرفون الله تعالى بالدليل ولا هم من فقهاء الملة فاسكت بحلم أو انطق بعلم فالعلم النافع هو النافع ما جاء عن أمثال هؤلاء ولكن نسبتك إلى أئمة الفقه كنسبة محدثي عصرنا إلى أئة الحديث فلا نحن ولا أنت، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذو الفضل، فمن اتقى الله راقب الله واعترف بنقصه، ومن تكلم بالجاه وبالجهل أو بالشر والبأو فأعرض عنه وذره في غيه فعقباه إلى وبال. نسأل الله العفو والسلامة.

٦٥٤- المنتظم: ٥/ ١٥٥، ١٥٦. اللباب: ٢/ ١٩٩. ميزان الاعتدال: ٣/ ٣٥٨. طبقات الحفاظ: ٢٧٦. شذرات الذهب: ٢/ ١٧٩، ١٨٠.." (١)

"١٠٢٤- ٢٣/ ١٤- الكتاني الإمام المحدث المتقن مفيد دمشق ومحدثها، أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن علي التميمي الدمشقي الصوفي: سمع الكثير وجمع فأوعى ونسخ ما لا يوصف كثرة، سمع صدقة بن الدلم صاحب أبي سعيد بن الأعرابي وتمام بن محمد الرازي، وأبا نصر بن هارون وعبد

---

(١) تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ للذهبي٢/ ١٥٠

الرحمن بن أبي نصر وطبقتهم ببلده، وسمع من أبي الحسن بن الحمامي ومحمد بن الروزبهان وعلي بن أحمد بن داود الرزاز وطبقتهم ببغداد، وأحمد بن الصباح وأخيه محمد ببلده، وسمع بالموصل ونصيبين ومنبج وأماكن، وألف وجمع ويحتمل أن يوصف بالحفظ في وقته، ولو كان موجودا في زماننا لعد من الحفاظ.

حدث عنه أبو بكر الخطيب والحميدي وعمر الرواسي وأبو القاسم النسيب وهبة الله بن الأكفاني وعبد الكريم بن حمزة وأبو القاسم بن السمرقندي وأحمد بن عقيل الفارسي ويحي بن علي القرشي القاضي وآخرون، مولده سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وأول سماعه في سنة سبع وأربعمائة.

قال ابن ماكولا: كتب عني وكتبت عنه وهو مكثر متقن.

وقال الخطيب في فوائد النسب: ثقة أمين، ووصفه ابن الأكفاني بالصدق والاستقامة وسلامة المذهب ودوام التلاوة، وحدثني أن شيخه أبا القاسم عبيد الله الأزهري سمع منه ببغداد، ودخلت عليه في مرض موته فقال: أنا أشهدكم أني قد أجزت لكل من هو مولود الآن في الإسلام. قلت: قد حدث عنه بهذه الإجازة طائفة منهم محفوظ بن صصرى التغلبي. توفي في جمادى الآخرة سنة ست وستين وأربعمائة، ألف الوفيات على السنين.

أخبرنا الحسن بن علي الأمين أنبأتنا كريمة بنت عبد الوهاب بن علي القرشية أنا أبي أنا علي بن المسلم الفقيه لفظا سنة خمس وعشرين وخمسمائة أنا عبد العزيز بن أحمد الكتاني، وأخبرنا المسلم بن أحمد الكعكي قالا: أنا عبد الرحمن بن عثمان التميمي أنا أحمد بن سليمان القاضي إملاء نا أبو زرعة نا أحمد بن صالح نا ابن وهب حدثني محمد بن أبي حميد عن إسماعيل بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم: "من سعادة ابن آدم رضاه بما يقضي الله واستخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما يقضي الله وتركه استخارة الله". تابعه جماعة عن محمد بن سعد بن أبي وقاص.

١٠٢٥- ٢٤/١٤- الوخشي الحافظ الإمام الجوال أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن

١٠٢٤- العبر: ٣/ ٢٦١. طبقات الحفاظ: ٤٣٩. شذرات الذهب: ٣/ ٣٢٥. النجوم الزاهرة: ٥/ ٩٦. البداية والنهاية: ١٢/ ١٠٩.

١٠٢٥- العبر: ٣/ ٢٧٥. الوافي بالوفيات: ١٢/ ١٦٣. طبقات الحفاظ: ٤٣٩. شذرات الذهب: ٣/ ٣٣٩. لسان الميزان: ٢/ ٢٤١، ٢٤٢.." (١)

"سمع أبا المكارم بن هلال بدمشق، وهبة الله بن هلال وابن البطي وطبقتهما ببغداد، وأبا طاهر السلفي بالثغر، وأقام عليه ثلاثة أعوام ولعله كتب عنه ألف جزء، وأبا الفضل الطوسي بالموصل، وعبد الرزاق بن إسماعيل القومساني بهمذان، والحافظ أبا موسى المديني وأقرانه بأصبهان، وعلي بن هبة الله الكاملي بمصر؛ وكتب ما لا يوصف كثرة وما زال ينسخ ويصنف ويحدث ويعبد الله حتى أتاه اليقين.

روى عنه ولداه أبو الفتح وأبو موسى وعبد القادر الرهاوي والشيخ موفق الدين والضياء وابن خليل والفقيه اليونيني وابن عبد الدائم وعثمان بن مكي الشارعي وأحمد بن حامد الأرتاحي وإسماعيل بن عزون وعبد الله بن علاق ومحمد بن مهلهل الجيتي، وهو آخر من سمع منه، بقي إلى سنة أربع وسبعين، وبقي بعده بالإجازة أحمد بن أبي الخير شيخنا.

قال ابن النجار: حدث بالكثير وصنف في الحديث تصانيف حسنة وكان غزير الحفظ من أهل الإتقان والتجويد قيما بجميع فنون الحديث، إلى أن قال: وكان كثير العبادة ورعا متمسكا بالسنة على قانون السلف، تكلم في الصفات والقرآن بشيء أنكره أهل التأويل من الفقهاء وشنعوا عليه، فعقد له مجلس بدار السلطان بدمشق فأصر وأباحوا قتله فشفع فيه أمراء الأكراد على أن يبرح من دمشق فذهب إلى مصر وأقام بها خاملا إلى حين وفاته.

قرأت بخط الحافظ أبي موسى المديني: يقول أبو موسى، عفا الله عنه: قل من قدم علينا من الأصحاب من يفهم هذا الشأن كفهم الإمام ضياء الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي زاده الله توفيقا وقد وفق لتبيين هذه الغلطات، يعني التي في كتاب معرفة الصحابة لأبي نعيم، إلى أن قال: ولو كان الدارقطني في الأحياء وأمثاله لصوبوا فعله، وقل من تفهم في زماننا لما فهمه.

قال الحافظ الضياء: ثم سافر الحافظ إلى أصبهان وكان خرج وليس معه إلا قليل فلوس فسهل الله تعالى من حمله وأنفق عليه فأقام بأصبهان مدة وحصل بها الكتب الجيدة، وكان ليس بالأبيض الأمهق يميل إلى سمرة حسن الثغر كث اللحية واسع الجبين عظيم الخلق تام القامة كأن النور يخرج من وجهه ضعف بصره من كثرة الكتابة والبكاء.

---

(١) تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ للذهبي٣/٢٤١

وصنف "المصباح" في ثمانية وأربعين جزءا، مشتملا على أحاديث الصحيحين، وكتاب "نهاية المراد" في السنن نحو مائتي جزء لم يبيضه، كتاب "المواقيت" مجلد، كتاب "الجهاد" مجلد، "الروضة" أربعة أجزاء، "فضائل خير البرية" مجلد، "الذكر" جزءان، "الإسراء" جزءان، "التهجد" جزءان، "المحنة" ثلاثة أجزاء "صلات الأحياء إلى الأموات"." (١)

"وقال في موضوع آخر: سنة ست وستين.

وقال ابن معين، والفسوي وغيرهما: (قتل) (١) سنة سبع وستين.

٤٩٤٤ - [م ٤]: عمر (٢) بن سعد، أبو داود الحفري الكوفي، وحفر موضع بالكوفة.

عن: مسعر، والثوري، وصالح بن حسان، ومالك بن مغول، و (بدر) (٣) ابن عثمان، وطائفة.

وعنه: أحمد، واسحاق، وابن المديني، وعبد بن حميد، ومحمد بن رافع، وعلي بن حرب، وأحمد بن سليمان الرهاوي، وخلق.

قال ابن المديني: لا أعلمني رأيت بالكوفة أعبد منه.

وقال أبو حاتم: صدوق، رجل صالح.

وقال أبو داود: كان جليلا جدا.

وقال أبو حمدون المقرئ: دفنا [أبا] (٤) داود الحفري وتركنا بابه مفتوحا، ما كان في البيت شيء.

وقال وكيع: إن كان يدفع بأحد في زماننا فبأبي داود.

وقال ابن معين: ثقة. مات سنة ثلاث ومائتين.

وكذا قال جماعة. وزاد ابن سعد: مات بالكوفة في جمادى الأولي، ومن قال سنة ست فقد صحف.

* عمر بن سعد، أبو كبشة، يأتي.

* عمر بن سعد، هو: بحير. تصحيف.

---

(١) تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ للذهبي٤/١١٢

(١) سقطت من "ع".

(٢) التهذيب (٢١/ ٣٦٠ - ٣٦٤).

(٣) في "ع": زيد. وهو تحريف، وقد تقدم ترجمته.

(٤) في "الأصل، خ، ه": أبو. والمثبت من "د، ع" والتهذيب.." [1]

"الأئمة في زماننا: الشافعي، والحميدي، وأبو عبيد (١) .

وقال علي بن خلف: سمعت الحميدي يقول:

ما دمت بالحجاز، وأحمد بن حنبل بالعراق، وإسحاق بخراسان، لا يغلبنا أحد (٢) .

وقال أبو العباس السراج: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: الحميدي إمام في الحديث (٣) .

قال الفربري: حدثنا محمد بن المهلب البخاري، حدثنا الحميدي، قال:

والله لأن أغزو هؤلاء الذين يردون حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحب إلي من أن أغزو عدتهم من الأتراك.

قلت: لما توفي الشافعي، أراد الحميدي أن يتصدر موضعه، فتنافس هو وابن عبد الحكم على ذلك، وغلبه ابن عبد الحكم على مجلس الإمام، ثم إن الحميدي رجع إلى مكة، وأقام بها ينشر العلم -رحمه الله-.

أخبرنا إسماعيل بن عبد الرحمن، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الفقيه، أخبرنا أبو المكارم المبارك بن محمد، أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن، أخبرنا عثمان بن محمد، أخبرنا أبو بكر الشافعي، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا الحميدي، أخبرنا سفيان، عن الزهري، أنه سمع أنس بن مالك يقول:

آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كشف الستارة يوم الاثنين، والناس صفوف خلف أبي بكر، فلما رأوه كأنهم تحركوا، فأشار إليهم رسول الله أن امضوا، فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مصحف، وألقى السجف،

---

(١) " طبقات الشافعية " للسبكي ٢ / ١٤٠.

---

(١) تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال٧/٨٤

(٢) " طبقات الشافعية " للسبكي ٢ / ١٤١.

(٣) " طبقات الشافعية للسبكي ٢ / ١٤١.." (١)

"وقال عبد الرزاق: ما رأيت أحدا أفقه ولا أورع من أحمد بن حنبل.

قلت: قال هذا، وقد رأى مثل الثوري ومالك وابن جريج.

وقال حفص بن غياث: ما قدم الكوفة مثل أحمد.

وقال أبو اليمان: كنت أشبه أحمد بأرطاة بن المنذر.

وقال الهيثم بن جميل الحافظ: إن عاش أحمد، سيكون حجة على أهل زمانه.

وقال قتيبة: خير أهل زماننا ابن المبارك، ثم هذا الشاب -يعني: أحمد بن حنبل- وإذا رأيت رجلا يحب أحمد، فاعلم أنه صاحب سنة.

ولو أدرك عصر الثوري والأوزاعي والليث، لكان هو المقدم عليهم.

فقيل لقتيبة: يضم أحمد إلى التابعين؟

قال: إلى كبار التابعين.

وقال قتيبة: لولا الثوري، لمات الورع، ولولا أحمد، لأحدثوا في الدين، أحمد إمام الدنيا.

قلت: قد روى أحمد في (مسنده) عن قتيبة كثيرا.

وقيل لأبي مسهر الغساني: تعرف من يحفظ على الأمة أمر دينها؟

قال: شاب في ناحية المشرق -يعني: أحمد-.

قال المزني: قال لي الشافعي: رأيت ببغداد شابا، إذا قال: حدثنا، قال الناس كلهم: صدق.

قلت: ومن هو؟

قال: أحمد بن حنبل.

وقال حرملة: سمعت الشافعي يقول:

خرجت من بغداد، فما خلفت بها رجلا أفضل، ولا أعلم، ولا أفقه، ولا أتقى من أحمد بن حنبل.

وقال الزعفراني: قال لي الشافعي:

ما رأيت أعقل من أحمد، وسليمان بن داود الهاشمي.." (٢)

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة ١٠/٦١٩

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة ١١/١٩٥

"عبد الله، فرأيت في يديه مجمرة يسخن خرقة، ثم يجعلها على جنبه من الضرب، فقال:

يا أبا جعفر، ما كان في القوم أرأف بي من المعتصم.

وعن أبي عبد الله البوشنجي، قال: حدث أحمد ببغداد جهرة حين مات المعتصم.

فرجعت من الكوفة، فأدركته في رجب، سنة سبع وعشرين، وهو يحدث، ثم قطع الحديث لثلاث بقين من شعبان بلا منع.

بل كتب الحسن بن علي بن الجعد قاضي بغداد إلى ابن أبي دواد:

إن أحمد قد انبسط في الحديث، فبلغ ذلك أحمد، فقطع الحديث وإلى أن توفي.

فصل في حال الإمام في دولة المتوكل

قال حنبل: ولي المتوكل جعفر، فأظهر الله السنة، وفرج عن الناس، وكان أبو عبد الله يحدثنا ويحدث أصحابه في أيام المتوكل.

وسمعته يقول: ما كان الناس إلى الحديث والعلم أحوج منهم إليه في زماننا.

قال حنبل: ثم إن المتوكل ذكره، وكتب إلى إسحاق بن إبراهيم في إخراجه إليه، فجاء رسول إسحاق إلى أبي عبد الله يأمره بالحضور، فمضى أبو عبد الله ثم رجع، فسأله أبي عما دعي له؟

فقال: قرأ علي كتاب جعفر يأمرني بالخروج إلى العسكر -يعني: سر من رأى-.

قال: وقال لي إسحاق بن إبراهيم: ما تقول في القرآن؟

فقلت: إن أمير المؤمنين قد نهى عن هذا.

قال: وخرج إسحاق إلى العسكر، وقدم ابنه محمدا ينوب عنه ببغداد.

قال أبو عبد الله: وقال لي إسحاق بن إبراهيم: لا تعلم أحدا أني سألتك عن القرآن!

فقلت له: مسألة مسترشد أو مسألة متعنت؟

قال: بل مسترشد.

قلت: القرآن كلام الله ليس بمخلوق.." (١)

"فصل

قال إبراهيم الحربي: سئل أحمد عن المسلم يقول للنصراني: أكرمك الله.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة١١/٢٦٥

قال: نعم، ينوي بها الإسلام.

وقيل: سئل أحمد عن رجل نذر أن يطوف على أربع، فقال:

يطوف طوافين، ولا يطف على أربع.

قال ابن عقيل: من عجيب ما سمعته عن هؤلاء الأحداث الجهال أنهم يقولون: أحمد ليس بفقيه، لكنه محدث.

قال: وهذا غاية الجهل؛ لأن له اختيارات بناها على الأحاديث بناء لا يعرفه أكثرهم، وربما زاد على كبارهم.

قلت: أحسبهم يظنونه كان محدثا وبس (١) ، بل يتخيلونه من بابة محدثي زماننا، ووالله لقد بلغ في الفقه خاصة رتبة الليث، ومالك، والشافعي، وأبي يوسف، وفي الزهد والورع رتبة الفضل، وإبراهيم بن أدهم، وفي الحفظ رتبة شعبة، ويحيى القطان، وابن المديني، ولكن الجاهل لا يعلم رتبة نفسه، فكيف يعرف رتبة غيره.

حكاية موضوعة:

لم يستحي ابن الجوزي من إيرادها، فقال:

أخبرنا ابن ناصر، أخبرنا ابن الطيوري، أخبرنا عبد الله بن محمد بن الحسين، أخبرنا القاضي همام بن محمد الأبلي، حدثنا أحمد بن علي بن حسين الخطيب، حدثنا الحسين بن بكر الوراق، أخبرنا أبو الطيب محمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، قال:

لما أطلق أبي من المحنة، خشي أن يجيء إليه إسحاق بن راهويه، فرحل إليه، فلما بلغ الري، دخل مسجدا، فجاء مطر

---

(١) بس بمعنى: كفى وحسب. قال في " اللسان ": فارسية.." (١)

"محل المسمعين في الحديث.

قلت: بل هو حجة بلا تردد.

مات: في صفر، سنة أربعين ومائتين.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة١١/٣٢١

أما:

٢٠ - إبراهيم بن خالد المروزي الجرميهني *

الحافظ، الملقب: بالبطيطي، فصاحب حديث، مات شابا سنة خمسين ومائتين.

وهو الذي يقول بندار: حفاظ الدنيا أربعة، كلهم غلماني: إبراهيم بن خالد الجرميهني، وأبو زرعة، والبخاري، وعبد الله الدارمي.

وأما:

= السبكي على ذلك فقال: هذا غلو من أبي حاتم.

وليس الكلام في الرأي موجبا للقدح، فلا التفات إلى قول أبي حاتم هذا ... وأبو ثور أظهر أمرا من أن يحتاج إلى توثيق، وقد قدمنا كلام أحمد بن حنبل فيه، وكفى به شرفا. وقال أيضا في الصفحة التالية أنه جوز أن يكون قول أبي حاتم: " محل المسمعين " تصحيفا في الكتب، وأنه قال: " محل المتسعين "، أي: المكثرين، فإن أبا ثور لم يكن من المكثرين في الحديث إكثار غيره من الحفاظ، وقد رأيت اللفظة هكذا بخط بعض محدثي زماننا في الحكاية عن أبي حاتم.

ولا شك أن الفقه كان أغلب عليه من الحديث.

وفي " تهذيب التهذيب " ١ / ١١٩: محل المتسعين. أيضا. وجاء في " طبقات الشافعية " أيضا ٢ / ٧٥.

وقال أبو عبد الله الحاكم: كان فقيه أهل بغداد ومفتيهم في عصره، وأحد أعيان المحدثين المتقنين. وقال أبو عمر بن عبد البر: كان حسن النظر، ثقة فيما يروي من الاثر، إلا أن له شذوذا فارق فيه الجمهور، وقد عدوه أحد الفقهاء.

وجاء في " تهذيب التهذيب " ١ / ١١٩: قال مسلمة بن قاسم الأندلسي: ثقة جليل فقيه.

(*) الجرح والتعديل ٢ / ٩٧، الأنساب ٣ / ٢٣٢، اللباب ١ / ٢٧٣.." (١)

"قلت: هذا ابن شجاع رحل وسمع: مكي بن إبراهيم، وعبيد الله بن موسى، وأبا مسهر.

وتوفي: سنة أربع وأربعين.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة١٢/٧٦

وقال نصر بن زكريا المروزي: سمعت قتيبة بن سعيد يقول: شباب خراسان أربعة: محمد بن إسماعيل، وعبد الله بن عبد الرحمن -يعني: الدارمي- وزكريا بن يحيى اللؤلؤي (١) ، والحسن بن شجاع (٢) .

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت جعفرا الفربري يقول: سمعت عبد الله بن منير يقول: أنا من تلاميذ محمد بن إسماعيل، وهو معلمي ورأيته يكتب عن محمد (٣) .

وقال محمد: حدثنا حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد، سمعت يعقوب بن إبراهيم الدورقي يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة (٤) .

عن أبي جعفر المسندي قال: حفاظ زماننا ثلاثة: محمد بن إسماعيل، وحاشد بن إسماعيل، ويحيى بن سهل.

وقال محمد: حدثني جعفر بن محمد الفربري قال: خرج رجل من أصحاب عبد الله بن منير -رحمه الله- إلى بخارى في حاجة له.

فلما رجع قال له ابن منير: لقيت أبا عبد الله؟

قال: لا.

فطرده، وقال: ما فيك بعد هذا خير، إذ قدمت بخارى ولم تصر إلى أبي عبد الله محمد بن إسماعيل.

---

(١) في هامش الأصل ما نصه: هذا اللؤلؤي من شيوخ البخاري.

ويروي عن عبد الله ابن نمير وأبي أسامة.

توفي كهلا سنة ثلاثين ومئتين وقد تقدمت ترجمته في الجزء الحادي عشر من " سير أعلام النبلاء "، ترجمة رقم ١٠٤.

(٢) " تاريخ بغداد " ٢ / ٢٦.

(٣) سبق الخبر في الصفحة: ٤١٥، التعليق الأول.

(٤) " طبقات السبكي " ٢ / ٢٢٣، و" مقدمة الفتح ": ٤٨٣.." [1]

"ثم رأيت عمرو بن زرارة ومحمد بن رافع عند محمد بن إسماعيل يسألانه عن علل الحديث، فلما قاما قالا لمن حضر: لا تخدعوا (١) عن أبي عبد الله، فإنه أفقه منا وأعلم وأبصر (٢) .

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة١٢/٤٢٤

قال: وسمعت حاشد بن عبد الله يقول: كنا عند إسحاق وعمرو بن زرارة ثم، وهو يستملي على البخاري، وأصحاب الحديث يكتبون عنه، وإسحاق يقول: هو أبصر مني.

وكان محمد يومئذ شابا (٣) .

وقال: حدثني محمد بن يوسف قال: كنا مع أبي عبد الله عند محمد بن بشار، فسأله محمد بن بشار عن حديث، فأجابه، فقال: هذا أفقه خلق الله في زماننا.

وأشار إلى محمد بن إسماعيل.

قال: وسمعت سليم بن مجاهد يقول: لو أن وكيعا وابن عيينة وابن المبارك كانوا في الأحياء لاحتاجوا إلى محمد بن إسماعيل.

قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: قال لي إسماعيل بن أبي أويس: انظر في كتبي وما أملكه لك، وأنا شاكر لك ما دمت حيا.

وقال: قال لي أبو عمرو الكرماني: سمعت عمرو بن علي الصيرفي يقول: أبو عبد الله صديقي، ليس بخراسان مثله.

فحكيت لمهيار بالبصرة عن قتيبة بن سعيد أنه قال: رحل إلي من شرق الأرض وغربها، فما رحل إلي مثل محمد بن إسماعيل، فقال مهيار: صدق.

أنا رأيته مع يحيى بن معين، وهما يختلفان جميعا إلى

---

(١) أي لا تتركوه يفوتكم.

(٢) " تاريخ بغداد " ٢ / ٢٧، و" مقدمة الفتح ": ٤٨٥ .

(٣) " مقدمة الفتح ": ٤٥٤ ." (١)

"أخبرني عمر بن عبد المنعم، عن أبي اليمن الكندي، أخبرنا علي بن عبد السلام، أخبرنا الشيخ أبو إسحاق الشيرازي قال: حمل محمد في محنة القرآن إلى ابن أبي داود، ولم يجب إلى ما طلب منه، ورد إلى مصر، وانتهت إليه الرئاسة بمصر، يعني: في العلم.

وذكر غيره: أن ابن عبد الحكم ضرب، فهرب واختفى.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة١٢/٤٢٩

وقد نالته محنة أخرى صعبة مرت في (تاريخنا الكبير) في ترجمة أخيه عبد الحكم، الرجل الصالح.

قال أبو سعيد بن يونس: عذب عبد الحكم في السجن، ودخن عليه، فمات في سنة سبع وثلاثين ومائتين، لكونه اتهم بودائع لعلي بن الجروي.

وقال ابن أبي دليم: لم يكن في الإخوة أفقه من عبد الحكم.

وقيل: إن بني عبد الحكم غرموا في نوبة ابن الجروي أكثر من ألف ألف دينار، استصفيت أموالهم، ونهبت منازلهم، ثم بعد مدة أطلقهم المتوكل، ورد إليهم البعض، وسجن القاضي الأصم الذي ظلمهم، وحلقت لحيته، وضرب، وطيف به على حمار.

قال أبو سعيد بن يونس في (تاريخه) : كان محمد هو المفتي بمصر في أيامه.

قلت: له تصانيف كثيرة، منها: كتاب في (الرد على الشافعي) ، وكتاب (أحكام القرآن) ، وكتاب (الرد على فقهاء العراق) ، وغير ذلك.

وما زال العلماء قديما وحديثا يرد بعضهم على بعض في البحث، وفي التواليف، وبمثل ذلك يتفقه العالم، وتتبرهن له المشكلات، ولكن في زماننا قد يعاقب الفقيه إذا اعتنى بذلك لسوء نيته، ولطلبه للظهور، والتكثر،." (١)

"على محمد بن كرام (١) وطرده عن هراة فيما قيل.

قال عثمان بن سعيد: من لم يجمع حديث شعبة وسفيان ومالك، وحماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، فهو مفلس في الحديث - يريد أنه ما بلغ درجة الحفاظ -.

وبلا ريب، أن من جمع علم هؤلاء الخمسة، وأحاط بسائر حديثهم، وكتبه عاليا ونازلا، وفهم علله، فقد أحاط بشطر السنة النبوية، بل بأكثر من ذلك، وقد عدم في زماننا من ينهض بهذا، وببعضه، فنسأل الله المغفرة.

وأيضا فلو أراد أحد أن يتتبع حديث الثوري وحده، ويكتبه بأسانيد نفسه على طولها، ويبين صحيحه من سقيمه، لكان يجيء (مسنده) في عشر مجلدات، وإنما شأن المحدث اليوم الاعتناء بالدواوين الستة، و (مسند) أحمد بن حنبل، و (سنن) البيهقي، وضبط متونها وأسانيدها، ثم لا ينتفع بذلك حتى يتقي ربه، ويدين بالحديث، فعلى علم الحديث وعلمائه ليبك من كان باكيا، فقد عاد الإسلام المحض غريبا كما

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة١٢/٥٠٠

بدأ (٢) ، فليسع امرؤ في فكاك رقبته من النار، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم العلم ليس هو بكثرة الرواية، ولكنه نور يقذفه الله في القلب، وشرطه الاتباع، والفرار من الهوى والابتداع، وفقنا الله وإياكم لطاعته.

قال المحدث يحيى بن أحمد بن زياد الهروي، صاحب ابن معين:

---

(١) انظر: الصفحة: (٢٩٨) ، ت: ٢. من هذا الجزء.

(٢) قال هذا الامام الذهبي وكان في عصره من أعلام الحديث وحفاظه ونقاده من أمثال المزي والبرزالي وابن تيمية وابن عبد الهادي وغيرهم، فماذا عساه أن يقول لو أنه بعث في زماننا هذا الذي ندر أن تجد فيه من يعنى بالحديث أو يدريه ويحفظ أسانيده ومتونه، ويميز بين صحيحه وسقيمه، فكان من جراء ذلك انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة، في الكتب والمجلات ودورانها على ألسنة الكثير من الخطباء والوعاظ، والعوام.." (١)

"قال أبو ذر الهروي: حكى لي بعض أصحابنا ببغداد، أن إبراهيم الحربي كان سمع مسائل ابن القاسم علي بن الحارث بن مسكين، وحصل سماعه مع رجل، ثم مال إلى طريقة الكلام، فلم يستعرها منه إبراهيم، ورجع، فسمعها من الحسن بن عبد العزيز الجروي (١) ، عن ابن أبي الغمر، عن ابن القاسم.

قلت: نعم، يظهر في تصانيف الحربي أنه ينزل في أحاديث، ويكثر منها، وهذا يدل على أنه لم يزل طلابة للعلم.

وروى المخلص، عن أبيه: أن المعتضد بعث إلى إبراهيم الحربي بمال، فرده عليه أوحش رد، وقال: ردها إلى من أخذتها منه، وهو محتاج إلى فلس (٢) .

وكان لا يغسل ثوبه إلا في كل أربعة أشهر مرة.

ولقد زلق مرة في الطين، فلقد كنت أرى عليه أثر الطين في ثوبه إلى أن غسله.

قال عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي الحنبلي: أخبرنا أبو الحسين العتكي، قال سمعت إبراهيم الحربي يقول لجماعة عنده:

من تعدون الغريب في زمانكم؟

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة١٣/٣٢٣

فقال رجل: الغريب من نأى عن وطنه.

وقال آخر: الغريب من فارق أحبابه.

فقال إبراهيم: الغريب في زماننا: رجل صالح، عاش بين قوم صالحين، إن أمر بمعروف آزروه، وإن نهى عن منكر أعانوه، وإن احتاج إلى سبب من الدنيا مانوه، ثم ماتوا وتركوه (٣) .

قال أحمد بن مروان الدينوري: أتينا إبراهيم الحربي، وهو جالس

---

(١) انظر ترجمته، والحديث عن نسبته في: الأنساب: ٣ / ٢٣٧ - ٢٣٩.

(٢) تقدم مثل هذا قبل قليل.

(٣) طبقات الحنابلة: ١ / ٨٩.." [1]

"قصد دخول ذلك في يمينه.

وأما على مذهب داود بن علي، وابن حزم، والشيعة، وغيرهم، فلا شيء عليه، ورأوا الحلف والأيمان بالطلاق من أيمان اللغو، وأن اليمين لا تنعقد إلا بالله.

وذهب إمام (١) في زماننا إلى أن من حلف على حض أو منع بالطلاق، أو العتاق، أو الحج ونحو ذلك فكفارته كفارة يمين، ولا طلاق عليه.

قال ابن جرير في كتاب (التبصير في معالم الدين) :القول فيما أدرك علمه من الصفات خبرا، وذلك نحو إخباره تعالى أنه سميع بصير، وأن له يدين بقوله: {بل يداه مبسوطتان} [المائدة:٦٤] وأن له وجها بقوله: {ويبقى وجه ربك} [الرحمن:٢٧] وأنه يضحك بقوله في الحديث: (لقي الله وهو يضحك إليه (٢)) ، و (أنه ينزل إلى سماء الدنيا) لخبر رسوله بذلك (٣) ، وقال

---

(١) هو شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد جاء في هامش الأصل ما نصه: " أخطأ هذا الامام فيما ذهب إليه، وبدع بذلك، وحجر عليه، واعتقل غير مرة إلى أن مات.

وقد نقل الاجماع في المسألة على خلاف قوله جماعة من الأئمة، ورد عليه غير واحد من المحققين، وبالله المستعان ".

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة١٣/٣٦٢

(٢) الحديث في " الصحيحين " وسيذكر المؤلف نصه في الصفحة (٥٦٢) من هذا الجزء.
(٣) أخرج مالك في " الموطأ " ١ / ٢١٤ في القرآن: باب ما جاء في الدعاء، والبخاري: ٣ / ٢٦ ٢٥ في التهجد: باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، و١١ / ١١٠ في الدعوات: باب الدعاء نصف الليل، و١٣ / ٣٨٩ في التوحيد: باب قول الله تعالى: (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ، ومسلم (٧٥٨) في صلاة المسافرين: باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والترمذي (٣٤٩٨) وأبو داود (١٣١٥) كلهم من طريق ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، وعن أبي عبد الله الاغر، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له؟ ".
وقد شرح هذا الحديث شيخ الإسلام شرحا مفصلا في كتابه " حديث النزول " وهو مطبوع.." (١)

"الدمياطي، والحسين والحسن؛ ابنا علي بن شعبان.

ولم يذكره الحاكم في (تاريخه) نسيه، ولا هو في (تاريخ بغداد) ، ولا (تاريخ دمشق) ، فإنه ما دخلها.

وعداده في الفقهاء الشافعية.

قال الشيخ محيي الدين النواوي (١) :له من التحقيق في كتبه ما لا يقاربه فيه أحد، وهو في نهاية من التمكن من معرفة الحديث، وله اختيار فلا يتقيد في الاختيار بمذهب بعينه، بل يدور مع ظهور الدليل.

قلت: ما يتقيد بمذهب واحد إلا من هو قاصر في التمكن من العلم، كأكثر علماء زماننا، أو من هو متعصب، وهذا الإمام فهو من حملة الحجة، جار في مضمار ابن جرير، وابن سريج، وتلك الحلبة - رحمهم الله -.

أخبرنا عمر بن عبد المنعم، أخبرنا أبو اليمن الكندي سنة ثمان وست مائة كتابة، أخبرنا علي بن هبة الله بن عبد السلام، حدثنا الإمام أبو إسحاق في كتاب (الطبقات (٢)) ، قال:

ومنهم أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، مات بمكة، سنة تسع - أو عشر - وثلاث مائة، وصنف في اختلاف العلماء كتبا لم يصنف أحد مثلها، واحتاج إلى كتبه الموافق والمخالف، ولا أعلم عمن أخذ الفقه.

قلت: قد أخذ عن أصحاب الإمام الشافعي، وما ذكره الشيخ أبو إسحاق من وفاته، فهو على التوهم،

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة١٤/٢٧٩

وإلا فقد سمع منه ابن عمار في سنة

---

(١) في " تهذيب الأسماء واللغات " ٢ / ١٩٧.

(٢) ص ١٠٨.." [1]

"قال الشيخ أبو إسحاق: عرض على ابن خيران القضاء، فلم يتقلده، وكان بعض وزراء المقتدر - وأظن أنه أبو الحسن علي بن عيسى (١) - وكل بداره ليلي القضاء، فلم يتقلد.

وخوطب الوزير في ذلك فقال: إنما قصدنا التوكيل بداره ليقال: كان في زماننا من وكل بداره ليتقلد القضاء فلم يفعل (٢) .

وقال ابن زولاق (٣) :شاهد أبو بكر بن الحداد الشافعي ببغداد سنة عشر وثلاث مائة باب أبي علي بن خيران مسمورا لامتناعه من القضاء، وقد استتر.

قال: فكان الناس يأتون بأولأدهم الصغار، فيقولون لهم: انظروا حتى تحدثوا بهذا (٤) .

قلت: كان ابن الحداد (٥) قد سار إلى بغداد يسعى لأبي عبيد بن حربويه في أن يعفى من قضاء مصر.

ولم يبلغني على من اشتغل، ولا من روى عنه.

توفي: لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة، سنة عشرين وثلاث مائة (٦) .

= أبي حنيفة قط إلا أيام بكار في مصر، وإنما كان في مصر المالكية، وفي الشام الاوزاعية، إلى أن ظهر مذهب الشافعي في الاقليمين، فصار فيه ".

" طبقات الشافعية ": ٣ / ٢٧٢.

(١) في " شذرات الذهب ": ٢ / ٢٨٧، الوزير ابن الفرات.

(٢) ما بين حاصرتين من " طبقات الشيرازي ": ١١٠.

(٣) هو الحسن بن إبراهيم بن الحسين، أبو محمد، مؤرخ مصري، كان يظهر التشيع، وقد ولي المظالم أيام العبيديين بمصر.

من كتبه " أخبار قضاة مصر " جعله ذيلا لكتاب الكندي " قضاة مصر " توفي ابن زولاق سنة / ٣٨٧

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة١٤/٤٩١

/ هـ " وفيات الأعيان " ٢ / ٩١ - ٩٢.
(٤) " طبقات الشافعية " ٣ / ٢٧٣.
(٥) ستأتي ترجمته رقم / ٢٥٦ / من هذا الجزء.
(٦) في " طبقات الشافعية ": ٢ / ٢٧٣ - ٢٧٤ مناقشة حول سنة وفاته. فانظرها.." [1]

"أخذ عن: الزجاج، وابن دريد، وطائفة.

وعنه: أبو القاسم التنوخي، والجوهري، وهلال بن المحسن.

وصنف في التفسير، واللغة، والنحو، والكلام، وشرح (سيبويه) ، وكتاب (الجمل) ، وله في الاشتقاق، وفي التصريف، وأشياء، وألف في الاعتزال (صنعة الاستدلال) سبع مجلدات، وكتاب (الأسماء والصفات) ، وكتاب (الأكوان) ، وكتاب (المعلوم والمجهول) ، له نحو من مائة مصنف.

وكان يتشيع ويقول: علي أفضل (١) الصحابة.

وكان أبو حيان التوحيدي يبالغ في تعظيم الرماني إلى الغاية، ويصفه بالتأله، والتنزه، والفصاحة، والتقوى.

مات في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وثلاث مائة، عن ثمان وثمانين سنة.

أصله من سر من رأى، ومات ببغداد، وكان من أوعية العلم على بدعته.

= ٢ / ٣٧، وفيات الأعيان: ٣ / ٢٩٩، العبر: ٣ / ٢٥، ميزان الاعتدال: ٣ / ١٤٩، عيون التواريخ: سنة ٣٨٤، البداية والنهاية: ١١ / ٣١٤، وفيات ابن قنفذ: ٢١٩، البلغة في تاريخ أئمة اللغة: ١٥٩ - ١٦٠، لسان الميزان: ٤ / ٢٤٨، النجوم الزاهرة: ٤ / ١٦٨، بغية الوعاة: ٢ / ١٨٠ - ١٨١، طبقات المفسرين للسيوطي: ٢٤، طبقات المفسرين للداوودي: ١ / ٤١٩ - ٤٢١، شذرات الذهب: ٣ / ١٠٩، روضات الجنات: ٤٨٠، طبقات أعلام الشيعة للطهماني: ١٩٣.
(١) في الأصل " أصحاب " وهو خطأ، ونصه في " تاريخ الإسلام " قال التنوخي: وممن ذهب في زماننا إلى أن عليا رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعتزلة أبو الحسن الرماني.." [2]

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة١٥/٥٩
(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة١٦/٥٣٤

"وقال الرئيس: قد صح عندي بالتواتر ما كان بجوزجان في زماننا من أمر حديد – لعله زنة مائة خمسين منا – نزل من الهواء، فنشب في الأرض، ثم نبا نبوة الكرة، ثم عاد فنشب في الأرض، وسمع له صوت عظيم هائل، فلما تفقدوا أمره، ظفروا به، وحمل إلى والي جوزجان، فحاولوا كسر قطعة منه، فما عملت فيه الآلات إلا بجهد، فراموا عمل سيف منه،

= وعن الملائكة، بأمور غير مطابقة للامر في نفسه، لكنهم خاطبوهم بما يتخيلون به ويتوهمون به أن الله جسم عظيم، وأن الابدان تعاد، وأن لهم نعيما محسوسا، وعقابا محسوسا، وإن كان الامر ليس كذلك في نفس الامر، لان من مصلحة الجمهور أن يخاطبوا بما يتوهمون به ويتخيلون أن الامر هكذا، وإن كان هذا كذبا فهو كذب لمصلحة الجمهور، إذ كانت دعوتهم ومصلحتهم لا تمكن إلا بهذه الطريق.

وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل، كالقانون الذي ذكره في رسالته الاضحوية ص ٤٤ – ٥١.

وهؤلاء يقولون: الأنبياء قصدوا بهذه الألفاظ ظواهرها، وقصدوا أن يفهم الجمهور منها هذه الظواهر، وإن كانت الظواهر في نفس الامر كذبا وباطلا ومخالفة للحق، فقصدوا إفهام الجمهور بالكذب والباطل للمصلحة.

ثم من هؤلاء من يقول: النبي كان يعلم الحق ولكن أظهر خلافه للمصلحة.

ومنهم من يقول: ما كان يعلم الحق كما يعلمه نظار الفلاسفة وأمثالهم، وهؤلاء يفضلون الفيلسوف الكامل على النبي، ويفضلون الولي الكامل الذي له هذا المشهد على النبي، كما يفضل ابن عربي الطائي خاتم الأولياء في زعمه على الأنبياء، وكما يفضل الفارابي ومبشر بن فاتك وغيرهما الفيلسوف على النبي.

وأما الذين يقولون: إن النبي كان يعلم ذلك، فقد يقولون: إن النبي أفضل من الفيلسوف، لأنه علم ما علمه الفيلسوف وزيادة، وأمكنه أن يخاطب الجمهور بطريقة يعجز عن مثلها الفيلسوف، وابن سينا وامثاله من هؤلاء.

وهذا في الجملة قول المتفلسفة والباطنية، كالملاحدة الاسماعيلية، وأصحاب رسائل اخوان الصفا، والفارابي وابن سينا والسهروردي المقتول وأبن رشد الحفيد، وملاحدة الصوفية الخارجين عن طريقة المشايخ المتقدمين من أهل الكتاب والسنة، كابن عربي وابن سبعين وابن الطفيل صاحب رسالة حي بن يقطان.

وخلق كثير غير هؤلاء.

وقد خص شيخ الإسلام قسما كبيرا من هذا الكتاب العظيم في تتبع سقطات ابن سينا وضلالاته، وبيان ما فيها من زيف وانحراف بالحجة والبرهان على طريقة السلف الصالح من لدن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان من الأئمة والعلماء المشهود لهم بالعلم والايمان والاستقامة والعرفان.." (١)

"٤٢٦ - العزيز أبو منصور بن جلال الدولة بن بهاء الدولة *

الملك العزيز، أبو منصور (١) ابن الملك جلال الدولة أبي طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة، من بقايا ملوك بني بويه.

كان بارع الأدب، مليح النظم، وهو أول من لقب بألقاب ملوك زماننا، وكانت دولته محلولة، قهره أبو كاليجار - كما ذكرنا -، وبقي في ملك مزلزل سبعة أعوام، واتفق موته بظاهر ميافارقين، سنة إحدى وأربعين وأربع مائة، واسمه: خسرو فيروز بن فيروز بن خره فيروز بن فنا خسرو بن حسن بن بويه.

وكان مولده: بالبصرة، سنة سبع وأربع مائة.

عمل إمرة واسط لأبيه، وبرع في الأدب والأخبار، وأكب على اللهو والخلاعة - نسأل الله العافية -.

وهو القائل:

من ملني فلينأ عني راشدا ... فمتى عرضت له، فلست براشد

ما ضاقت الدنيا علي بأسرها ... حتى تراني راغبا في زاهد

ولما مات أبوه الجلال، فارق العزيز واسطا، وأقام عند أمير العرب دبيس بن مزيد الأسدي، ثم توجه إلى ديار بكر منتجعا للملوك، وقد تلاشى حاله، فمات في ربيع الأول، بميافارقين، من سنة إحدى وأربعين وأربع مائة.

(*) الكامل ٩ / ٥٦١، المختصر في أخبار البشر ٢ / ١٧٠، العبر ٣ / ١٩٩، دول الإسلام ١ / ٢٦٠، تتمة المختصر ١ / ٥٣١، شذرات الذهب ٣ / ٢٦٨.

(١) في " المختصر " و" تتمة المختصر " أبو بكر منصور.." (٢)

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة١٧/٥٣٦

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة١٧/٦٣٢

"حدث عنه: إسماعيل بن السمرقندي، وعبد الوهاب الأنماطي، وأخذ عنه الكلام علي بن عقيل عالم الحنابلة.

مات: في ذي الحجة سنة ثمان وسبعين وأربع مائة.

وكان ذا زهد وورع وقناعة.

شاخ فكان ينقض من خشب بيته ما يمونه، وكان يلبس القطني الخام (١) ، وكان داعية إلى الاعتزال، وبه انحرف ابن عقيل.

مات: في ذي الحجة سنة ثمان وسبعين وأربع مائة (٢) ، وكان يدري المنطق جيدا.

وما تنفع الآداب والبحث والذكاء، وصاحبها هاو بها في جهنم.

قال محمد بن عبد الملك الهمذاني: كان أبو علي زاهد المعتزلة، لم نعرف في زماننا مثل تورعه وقناعته، تورع عن ميراثه من أبيه (٣) ، وكان يقول: قرأت على أستاذنا أبي الحسين في سنة خمس عشرة وأربع مائة.

٢٥٣ - ابن المطلب أبو سعد محمد بن علي بن محمد *

الأديب الأوحد، أبو سعد محمد بن علي بن محمد بن المطلب الكرماني، ثم البغدادي، الشاعر، والد الوزير الصاحب أبي المعالي هبة الله ابن المطلب.

مهر في الأدب والأخبار.

---

(١) الخبر في " الوافي بالوفيات " ٢ / ٨٥ - ٨٦.

(٢) هذا تكرار، فقد ذكر المؤلف وفاته.

(٣) الخبر في " الوافي بالوفيات " ٢ / ٨٥.

(*) المنتظم ٩ / ٢٤، البداية والنهاية ١٢ / ١٣٩.." [1]

"ذوقي عروضي ولفظي جله لغتي ... والنحو طبعي فهل يعتاقني سبب (١) ؟

فقلت: حسبك، والله لا استعظمت لك بعدها عظيما، ولزمني بعد ذلك، فأفاد من الأدب ما استقل به.

وقال ابن القيسراني: وقع هبة الله بن بديع أبو النجم لابن الخياط بألف دينار، وهو آخر شاعر في زماننا

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة١٨/٤٩٠

وقع بألف دينار.

وله في سديد الملك أبي الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ (٢) بشيزر:

يقيني يقيني حادثات النوائب ... وحزمي حزمي في ظهور النجائب

سينجدني جيش من العزم طالما ... غلبت به الخطب الذي هو غالبي

ومن كان حرب الدهر عود نفسه ... قراع الليالي لا قراع الكتائب

وما كل دان من مرام بظافر ... ولا كل ناء عن رجاء بخائب

وإن الغنى مني لأدنى مسافة ... وأقرب مما بين عيني وحاجبي

---

(١) لم ترد في الديوان، وأثبتها محقق الديوان من هنا.

(٢) بنو منقذ أسرة مجيدة نشأ فيها رجال كبار، جلهم فارس شجاع، وشاعر أديب، وكان حصن شيزر - وهو في شمال حماة - يتوارثونه من أيام صالح بن مرداس الذي ملك حلب سنة (٤١٧) هـ وقتل سنة (٤١٩) هـ ثم خرج من أيديهم بعد ذلك إلى الصليبيين، واسترده منهم سديد الملك أبو الحسن علي بن مقلد سنة (٤٧٤) هـ، وبقي في أيديهم حتى خرب بالزلزال في سنة ٥٥٢ هـ، وقتل كل من فيه من بني منقذ تحت أنقاضه، ولم ينج منه سوى أسامة بن منقذ وإخوته الذين كانوا خارجه، وقد ترك هذا الحدث الفاجع في نفس أسامة أثرا بالغا حفزه على تأليف كتاب " المنازل والديار " الذي استغرق في صنعه ست عشرة سنة وضمنه نماذج متخيرة من شعر الجاهليين فمن بعدهم حتى أيامه، مما قيل في المنازل والديار والاوطان والمغاني والاطلال والآثار والمدن والاهل والاحباب وما إلى ذلك، وقد خلله مقاطيع من نظمه لم يرد لاكثرها ذكر في ديوانه المطبوع. وقد يسر الله لي تحقيق هذا الكتاب والتعليق عليه، وتم نشره في دمشق سنة ١٩٦٥.." (١)

"خليفة إلى وقتنا هذا، وذلك ست مائة عام، أولهم السفاح.

وخليفة زماننا المستكفي، له الاسم المنبري، والعقد والحل بيد السلطان الملك الناصر - أيدهما الله -.

وإذا اقتصرنا من مناقب عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على هذه النبذة، فلنذكر وفاته:

كانت في سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة، وله ست وثمانون سنة؛ ولم يبلغ أحد هذه السن من أولاده، ولا

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة١٩/٤٨١

أولادهم، ولا ذريته الخلفاء.

وله قبة عظيمة شاهقة على قبره بالبقيع.

وسنذكر ولده عبد الله بن العباس الفقيه مفردا.

جنازة العباس:

عن نملة بن أبي نملة، عن أبيه، قال:

لما مات العباس، بعثت بنو هاشم من يؤذن أهل العوالي: رحم الله من شهد العباس بن عبد المطلب.

فحشد الناس (١) .

الواقدي: حدثنا ابن أبي سبرة، عن سعيد بن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جارية، قال:

جاء مؤذن بموت العباس بقباء على حمار، ثم جاءنا آخر على حمار، فاستقبل قرى الأنصار، حتى انتهى إلى السافلة، فحشد الناس.

فلما أتي به إلى موضع الجنائز، تضايق، فقدموا به إلى البقيع.

فما رأيت مثل ذلك الخروج قط، وما يقدر أحد يدنو إلى سريره.

وازدحموا عند

---

(١) ابن سعد ٤ / ٣٢.." (١)

"فقالت: رحم الله لبيدا، فكيف لو رأى زماننا هذا!

قال عروة: رحم الله أم المؤمنين؟ فكيف لو أدركت زماننا هذا.

قال هشام: رحم الله أبي، فكيف لو رأى زماننا هذا!

قال كاتبه: سمعناه مسلسلا بهذا القول بإسناد مقارب.

محمد بن وضاح: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، عن عصام بن قدامة، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (أيتكن صاحبة الجمل الأدبب، يقتل حولها قتلى كثير، وتنجو

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة٢/١٠٠

بعد ما كادت) .

قال ابن عبد البر: هذا الحديث من أعلام النبوة.

وعصام: ثقة (١) .

وقال أبو حسان الزيادي: عن أبي عاصم العباداني (٢) ، عن علي بن زيد، قال:

باعت عائشة دارا لها بمائة ألف، ثم قسمت الثمن، فبلغ ذلك ابن الزبير؟

فقال:

قسمت مائة ألف! والله لتنتهين عن بيع رباعها، أو لأحجرن عليها.

فقالت: أهو يحجر علي؟ لله علي نذر إن كلمته أبدا.

فضاقت به الدنيا حتى كلمته! فأعتقت مائة رقبة (٣) .

قلت: كانت أم المؤمنين من أكرم أهل زمانها؛ ولها في السخاء أخبار، وكان ابن الزبير بخلاف ذلك.

---

(١) وتمام كلامه كما في " الاستيعاب " ١٣ / ٩٤: وسائر الإسناد أشهر من أن يحتاج لذكره.

وهو حديث صحيح تقدم تخريجه ص ١٧٧ ت (٣) ، ولا يعبأ بقول من طعن فيه، ووهاه، ونفى أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قاله مستندا إلى شبهة واهية لا تثبت على النقد، فقد حكم بصحته غير واحد من جهابذة المحدثين ونقاده، وهم القدوة في هذا الباب، والمعول عليهم فيه.

(٢) تحرف في مطبوعة دمشق إلى العبادي.

(٣) إسناده ضعيف لضعف أبي عاصم وشيخه.." (١)

"لا عيش إلا طراد الخيل بالخيل (١) ...

قال عاصم الأحول:

قال مورق: أوصى بريدة أن يوضع في قبره جريدتان، وكان مات بخراسان، فلم توجدا إلا في جوالق حمار (٢) .

وروى: مقاتل بن حيان، عن ابن بريدة، عن أبيه، قال:

شهدت خيبر، وكنت فيمن صعد الثلمة، فقاتلت حتى رئي مكاني، وعلي ثوب أحمر، فما أعلم أني ركبت

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة٢/١٩٨

في الإسلام ذنبا أعظم علي منه - أي: الشهرة (٣) -.

قلت: بلى، جهال زماننا يعدون اليوم مثل هذا الفعل من أعظم الجهاد؛ وبكل حال فالأعمال بالنيات، ولعل بريدة - رضي الله عنه - بإزرائه على نفسه، يصير له عمله ذلك طاعة وجهادا! وكذلك يقع في العمل الصالح، ربما افتخر به الغر، ونوه به، فيتحول إلى ديوان الرياء.

قال الله -تعالى* -: {وقدمنا إلى ما عملوا من عمل، فجعلناه هباء منثورا} [الفرقان: ٢٣] .

وكان بريدة من أمراء عمر بن الخطاب في نوبة سرغ (٤) .

وقال ابن سعد، وأبو عبيد: مات بريدة سنة ثلاث وستين.

وقال آخر: توفي سنة اثنتين وستين.

وهذا أقوى.

---

(١) ابن سعد ٤ / ٢٤٣، و٧ / ٣٦٥.

(٢) أخرجه ابن سعد ٧ / ١١٧ من طريق عفان بن مسلم، عن حماد بن سلمة، أخبرنا عاصم الاحول، قال: قال مورق وهذا سند صحيح، وعلقه البخاري في " صحيحه " ٣ / ١٧٧ بصيغة الجزم.

(٣) ذكره المؤلف في " تاريخ الإسلام " ٢ / ٣٨٦ عن بكير بن معروف بهذا الإسناد.

(٤) سرغ: أول الحجاز وآخر الشام، من منازل حاج الشام.." (١)

"ظنك بالإكثار من رواية الغرائب والمناكير في زماننا، مع طول الأسانيد، وكثرة الوهم والغلط، فبالحري أن نزجر القوم عنه، فيا ليتهم يقتصرون على رواية الغريب والضعيف، بل يروون -والله- الموضوعات، والأباطيل، والمستحيل في الأصول والفروع والملاحم والزهد - نسأل الله العافية -.

فمن روى ذلك مع علمه ببطلانه، وغر المؤمنين، فهذا ظالم لنفسه، جان على السنن والآثار، يستتاب من ذلك، فإن أناب وأقصر، وإلا فهو فاسق، كفى به إثما أن يحدث بكل ما سمع، وإن هو لم يعلم فليتورع، وليستعن بمن يعينه على تنقية مروياته (١) - نسأل الله العافية - فلقد عم البلاء، وشملت الغفلة، ودخل الداخل على المحدثين الذين يركن إليهم المسلمون، فلا عتبى على الفقهاء، وأهل الكلام.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة٢/٤٧٠

قال محمد بن يحيى الذهلي: حدثنا محمد بن عيسى، أخبرنا يزيد بن يوسف، عن صالح بن أبي الأخضر، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال:

ما كنا نستطيع أن نقول: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى قبض عمر -

---

(١) قال محدث الديار الشامية في عصره العلامة الشيخ بدر الدين الحسني رحمه الله ورضي عنه فيما نقله عنه الشيخ العلامة محمود ياسين في مجلة الهداية الإسلامية ٨ / ٢٦٤: لا يجوز إسناد حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا إذا نص على صحة هذا الحديث حافظ من الحفاظ المعروفين، فمن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو لا يعلم صحة ذلك من طريق أحد الحفاظ يوشك أن يصدق عليه حديث: " من قال علي ما لم أقل، فليتبوأ مقعده من النار "، فليحذر الخطباء والكتاب والمدرسون والوعاظ من إسناد حديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يعلموا صحته من طريق حافظ مشهور من حفاظ الحديث، وعليهم إذا لم يعلموا ذلك أن يذكروا الحديث معزوا إلى الكتاب الذي نقلوا منه، كالترمذي، والنسائي مثلا، وبذلك يخرجون من العهدة، أما الذين يحملون بأيديهم الكتب التي لا قيمة لها عند علماء الحديث الشريف ككثير من كتب الأخلاق والوعظ المنتشرة بالأيدي، فلا يكفي عزو الحديث إليها، ولا يخرج القارئ من الوزر.." (١)

"وقال ابن نقطة (١) : هو ثقة، لكن خطه لا يشبه خط أهل الضبط.

وذكر المحدث عبد الرحمان بن مقرب، عن ندى العرضي، قال:

قرأت على بهاء الدين القاسم، فقلت: عن ابن لهيعة، فرد علي بالضم (٢) !

قلت: ذكر محدث (٣) أنه اجتمع بالمدينة ببهاء الدين القاسم، فسأله أن يحدثه، فروى له من حفظه أحاديث، ثم ذكر أنه قابل تلك الأحاديث بأصلها، فوافقت، وبمثل هذا يوصف المحدث في زماننا بالحفظ.

وبلغني: أن الحافظ بهاء الدين ولي بعد أبيه مشيخة النورية، فما تناول من الجامكية شيئا، بل كان يعطيه لمن يرحل في طلب الحديث.

حدث عنه: أبو المواهب بن صصرى، وأبو الحسن بن المفضل، وعبد القادر الرهاوي، ويوسف بن خليل، وولده؛ عماد الدين علي بن القاسم، وأبو الطاهر ابن الأنماطي، والتاج القرطبي، وفتاه فرج، والتقي

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة٢/٦٠٢

اليلداني، والشهاب القوصي، وعبد الغني بن بنين، وبدل بن أبي المعمر التبريزي، والزين خالد بن يوسف، والمجد محمد بن عساكر، والتقي

---

(١) (التقييد) ، الورقة: ١٩٤ وأصل العبارة فيه: (وكان ثقة في الحديث مكرما للفقراء، وكتب كثيرا إلا أن خطه لا يشبه خط أهل الضبط والإتقان)

(٢) يعني ضم اللام من لهيعة.

(٣) هذا المحدث هو أبو الحسن علي بن المفضل المقدسي المتوفى سنة ٦١١، وقد روى هذه الحكاية لتلميذه الحافظ أبي محمد عبد العظيم المنذري حينما سأله: أقول حدثنا القاسم بن علي الحافظ بالكسر نسبة إلى والده؟ فقال له أبو الحسن المقدسي: بالضم فإني اجتمعت به بالمدينة فأملى علي..الخ (تاريخ الإسلام، الورقة: ٢٧٨ أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٤) .

وقال المنذري في ترجمته من (التكملة) : (ولقيه شيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسي بالحجاز وكان يذكره بالحفظ وكان القاسم أيضا يثني على شيخنا)." (١)

"رجل حلف بالطلاق أنك تحفظ مائة ألف حديث.

فقال: لو قال أكثر لصدق!

ورأيت الحافظ على المنبر غير مرة يقولون له: اقرأ لنا من غير كتاب، فيقرأ أحاديث بأسانيده من حفظه.

وسمعت ابنه عبد الرحمان يقول: سمعت بعض أهلنا يقول: إن الحافظ سئل: لم لا تقرأ من غير كتاب؟

قال: أخاف العجب.

وسمعت خالي أبا عمر (١) أو والدي، قال: كان الملك نور الدين بن زنكي يأتي إلينا، وكنا نسمع الحديث، فإذا أشكل شيء على القارئ قاله الحافظ عبد الغني، ثم ارتحل إلى السلفي، فكان نور الدين يأتي بعد ذلك، فقال: أين ذاك الشاب؟

فقلنا: سافر.

وسمعت عبد العزيز بن عبد الملك الشيباني، سمعت التاج الكندي يقول:

لم يكن بعد الدارقطني مثل الحافظ عبد الغني.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة٤٠٨/٢١

وسمعت أبا الثناء محمود بن همام، سمعت الكندي يقول: لم ير الحافظ مثل نفسه.

شاهدت بخط أبي موسى المديني على كتاب (تبيين الإصابة) الذي أملاه عبد الغني- وقد سمعه أبو موسى، والحافظ أبو سعد الصائغ، وأبو العباس الترك-:

يقول أبو موسى عفا الله عنه: قل من قدم علينا يفهم هذا الشأن كفهم الشيخ الإمام ضياء الدين أبي محمد عبد الغني المقدسي، وقد وفق لتبيين هذه الغلطات، ولو كان الدارقطني وأمثاله في الأحياء لصوبوا فعله، وقل من يفهم في زماننا ما فهم زاده الله علما وتوفيقا.

---

(١) ستأتي ترجمة أبي عمر بعد قليل، وتوفي سنة ٦٠٧ وهو زاهد المقادسة.." (١)

"قال الضياء: كان -رحمه الله- إماما في التفسير (١) ، وفي الحديث ومشكلاته، إماما في الفقه، بل أوحد زمانه فيه، إماما في علم الخلاف، أوحد في الفرائض، إماما في أصول الفقه، إماما في النحو والحساب والأنجم السيارة والمنازل.

وسمعت داود بن صالح المقرئ، سمعت ابن المني يقول -وعنده الإمام الموفق -: إذا خرج هذا الفتى من بغداد احتاجت إليه.

وسمعت البهاء عبد الرحمان يقول: كان شيخنا ابن المني يقول للموفق: إن خرجت من بغداد لا يخلف فيها مثلك.

وسمعت محمد بن محمود الأصبهاني يقول: ما رأى أحد مثل الشيخ الموفق.

وسمعت المفتي أبا عبيد الله عثمان بن عبد الرحمن الشافعي يقول عن الموفق: ما رأيت مثله، كان مؤيدا في فتاويه.

وسمعت المفتي أبا بكر محمد بن معالي بن غنيمة يقول: ما أعرف أحدا في زماننا أدرك درجة الاجتهاد إلا الموفق.

وسمعت الحافظ أبا عبد الله اليونيني يقول: أما ما علمته من أحوال شيخنا وسيدنا موفق الدين، فإنني إلى الآن ما أعتقد أن شخصا ممن رأيته حصل له من الكمال في العلوم والصفات الحميدة التي يحصل بها الكمال سواه، فإنه كان كاملا في صورته ومعناه من حيث الحسن، والإحسان، والحلم والسؤدد، والعلوم

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة ٢١/٤٤٩

المختلفة، والأخلاق الجميلة، رأيت منه ما يعجز عنه كبار

---

(١) وجدنا خطأ فوق " في التفسير "كأنها علامة حذف، ولكننا ابقيناها لما نقل عنه في " تاريخ الإسلام " من قوله: " وكان رحمه الله إماما في القران وتفسيره ".." (١)

"والأعمش، ومخول بن راشد، وحرب بن سريج، والقاسم بن الفضل الحداني، والأوزاعي، وآخرون.

وروايته عن الحسن وعائشة في (سنن النسائي) ، وذلك منقطع.

وروايته عن سمرة في (سنن أبي داود) .

وكان أحد من جمع بين العلم والعمل، والسؤدد والشرف، والثقة والرزانة، وكان أهلا للخلافة، وهو أحد الأئمة الاثني عشر الذين تبجلهم الشيعة الإمامية، وتقول بعصمتهم وبمعرفتهم بجميع الدين.

فلا عصمة إلا للملائكة والنبيين، وكل أحد يصيب ويخطئ، ويؤخذ من قوله ويترك، سوى النبي -صلى الله عليه وسلم- فإنه معصوم، مؤيد بالوحي.

وشهر أبو جعفر: بالباقر، من: بقر العلم، أي: شقه، فعرف أصله وخفيه.

ولقد كان أبو جعفر إماما مجتهدا، تاليا لكتاب الله، كبير الشأن، ولكن لا يبلغ في القرآن درجة ابن كثير ونحوه، ولا في الفقه درجة أبي الزناد وربيعة، ولا في الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة وابن شهاب، فلا نحابيه ولا نحيف عليه، ونحبه في الله؛ لما تجمع فيه من صفات الكمال.

قال ابن فضيل: عن سالم بن أبي حفصة:

سألت أبا جعفر وابنه جعفرا عن أبي بكر وعمر، فقالا لي: يا سالم، تولهما، وابرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامي هدى (١) .

كان سالم فيه تشيع ظاهر، ومع هذا فيبث هذا القول الحق، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذو الفضل، وكذلك ناقلها ابن فضيل شيعي، ثقة، فعثر الله شيعة زماننا، ما أغرقهم في الجهل والكذب! فينالون من

---

(١) ابن عساكر ١٥ / ٣٥٥ ب، وانظر ابن سعد ٥ / ٣٢١.." (٢)

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة٢٢/١٦٩

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة٤/٤٠٢

"حدث عن: سعيد بن المسيب، وأبي بردة، والشعبي، وموسى بن طلحة، وعروة بن الزبير.

وعنه: ابنه؛ عبد الله، وشعبة، والثوري، وزائدة، وهشيم، وآخرون.

هرب إلى واسط من بني العباس، فقتل بها مع الأمير ابن هبيرة.

وقد روى عنه: عمرو بن دينار - مع تقدمه -.

وثقه: أحمد، وابن معين.

وكان مرجئا، ينال من علي -رضي الله عنه-.

قتل: في أواخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وهو من عجائب الزمان، كوفي، ناصبي، ويندر أن تجد كوفيا إلا وهو يتشيع.

وكان الناس في الصدر الأول بعد وقعة صفين على أقسام:

أهل سنة: وهم أولو العلم، وهم محبون للصحابة، كافون عن الخوض فيما شجر بينهم؛ كسعد، وابن عمر، ومحمد بن سلمة، وأمم.

ثم شيعة: يتوالون، وينالون ممن حاربوا عليا، ويقولون: إنهم مسلمون بغاة ظلمة.

ثم نواصب: وهم الذين حاربوا عليا يوم صفين، ويقرون بإسلام علي وسابقيه، ويقولون: خذل الخليفة عثمان.

فما علمت في ذلك الزمان شيعيا كفر معاوية وحزبه، ولا ناصبيا كفر عليا وحزبه، بل دخلوا في سب وبغض، ثم صار اليوم شيعة زماننا يكفرون الصحابة، ويبرؤون منهم جهلا وعدوانا، ويتعدون إلى الصديق - قاتلهم الله -.

وأما نواصب وقتنا فقليل، وما علمت فيهم من يكفر عليا ولا صحابيا.

١٧٠ - يزيد بن الوليد * بن عبد الملك بن مروان الأموي

الخليفة، أبو خالد القرشي، الأموي، الدمشقي،

(*) تاريخ خليفة: ٣٦٨، تاريخ اليعقوبي ٣ / ٧٤، الطبري حوادث سنة ١٢٦، ابن الأثير حوادث سنة

١٢٦، البداية ١٠ / ١١، ابن خلدون ٣ / ١٠٦، النجوم الزاهرة ١ / ١٢٦، تاريخ الخميس ٢ / ٣٢١، ٣٢٢.." (١)

"ويمكن أن نذكر في كل طبقة بعد ذلك أئمة على هذا النمط إلى زماننا، فرأس المحدثين اليوم: أبو الحجاج القضاعي المزي (١) ، ورأس الفقهاء: القاضي شرف الدين البارزي، ورأس المقرئين: جماعة، ورأس العربية: أبو حيان الأندلسي، ورأس العباد: الشيخ علي الواسطي، ففي الناس بقايا خير، ولله الحمد.

عن ابن مهدي، قال: نزل عندنا سفيان، وقد كنا ننام أكثر الليل، فلما نزل عندنا، ما كنا ننام إلا أقله، ولما مرض بالبطن، كنت أخدمه، وأدع الجماعة، فسألته، فقال: خدمة مسلم ساعة، أفضل من صلاة الجماعة.

فقلت: ممن سمعت هذا؟

قال: حدثني عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه قال:

لأن أخدم رجلا من المسلمين على علة يوما واحدا، أحب إلي من صلاة الجماعة ستين عاما، لم يفتني فيها التكبيرة الأولى.

قال: فضجع سفيان لما طالت علته، فقال: يا موت، يا موت.

ثم قال: لا أتمناه، ولا أدعو به.

فلما احتضر، بكى وجزع، فقلت له: يا أبا عبد الله! ما هذا البكاء؟

قال: يا عبد الرحمن! لشدة ما نزل بي من الموت، الموت -والله- شديد.

فمسسته، فإذا هو يقول: روح المؤمنين تخرج رشحا، فأنا أرجو.

ثم قال: الله أرحم من الوالدة الشفيقة الرفيقة، إنه جواد كريم، وكيف لي أن أحب لقاءه، وأنا أكره الموت.

فبكيت حتى كدت أن أختنق، أخفي بكائي عنه، وجعل يقول: أوه ... ، أوه من الموت.

قال عبد الرحمن: فما سمعته يقول: أوه، ولا يئن إلا عند ذهاب عقله.

ثم قال: مرحبا برسول ربي.

ثم أغمي عليه، ثم أسكت حتى أحدث، ثم أغمي عليه، فظننت أنه قد قضى، ثم أفاق.

فقال: يا عبد الرحمن! اذهب

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة٥/٣٧٤

(١) وهو صاحب " تهذيب الكمال "، شيخ المؤلف.." (١)

"العين) ، ولا هذبه، ولكن العلماء يغرفون من بحره.

قال ابن خلكان: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي (١) ، قيل: كان يعرف علم الإيقاع والنغم، ففتح له ذلك علم العروض.

وقيل: مر بالصفارين (٢) ، فأخذه من وقع مطرقة على طست (٣) .

وهو معدود في الزهاد، كان يقول: إني لأغلق علي بابي، فما يجاوزه همي.

وقال: أكمل ما يكون الإنسان عقلا وذهنا عند الأربعين.

وعنه، قال: لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يجالس غيره.

قال أيوب بن المتوكل: كان الخليل إذا أفاد إنسانا (٤) شيئا، لم يره بأنه أفاده، وإن استفاد من أحد شيئا، أراه بأنه استفاد منه.

قلت: صار طوائف في زماننا بالعكس.

١٦٢ - أبان بن يزيد العطار أبو يزيد * (خ، م، د، س)

الحافظ، الإمام، أبو يزيد البصري، من كبار علماء الحديث.

---

(١) الوفيات: ٢ / ٢٤٤. انظره.

(٢) الصفارون: ج، صفار: وهو الصفر، والصفر: النحاس الجيد، أو ضرب منه.

(٣) الطست: إناء كبير مستدير، من نحاس أو نحوه، يغسل فيه.

(٤) في الأصل: " إنسان " بالرفع، وهو خطأ.

(*) طبقات ابن سعد: ٧ / ٢٨٤، التاريخ الكبير: ١ / ٤٥٤، الجرح والتعديل: ٢ / ٢٩٩، مشاهير علماء الأمصار: ١٥٨، الكامل لابن عدي: خ: ٥٣، تهذيب الكمال: خ: ٤٩: تذهيب التهذيب: خ: ١ / ٣٢، تذكرة الحفاظ: ١ / ٢٠١ - ٢٠٢، ميزان الاعتدال: ١ / ١٦، الوافي بالوفيات: ٥ /

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة٧/٢٥٠

٣٠١، طبقات القراء لابن الجزري: ١ / ٤، تهذيب التهذيب: ١ / ١٠١ - ١٠٢، طبقات الحفاظ: ٨٧، خلاصة تذهيب الكمال: ١٤ - ١٥.." [١]

"وبدر بن عثمان، وسفيان الثوري، وعدة.

ولم يرحل، ولكنه ثقة، صاحب حديث.

روى عنه: أحمد بن حنبل، ومحمود بن غيلان، وإسحاق بن منصور، وعلي بن حرب، ومحمد بن رافع، وعبد بن حميد، وبنو أبي شيبة، وأبو كريب، وخلق سواهم.

قال عباس: سمعت يحيى بن معين يقدم الحفري في حديث سفيان على محمد بن يوسف الفريابي، وقبيصة (١) .

وقال أبو حاتم: صدوق، رجل صالح (٢) .

وقال الدارقطني: كان من الصالحين الثقات.

حكي: أنه أبطأ يوما في الخروج إلى الجماعة، ثم خرج، فقال:

أعتذر إليكم، فإنه لم يكن لي ثوب غير هذا، صليت فيه، ثم أعطيته بناتي حتى صلين فيه، ثم أخذته، وخرجت إليكم.

قال وكيع بن الجراح: إن كان يدفع بأحد في زماننا، فبأبي داود الحفري (٣) .

وقال علي بن المديني: لا أعلمني رأيت بالكوفة أعبد منه (٤) .

قال الهجيمي: حدثنا محمد بن عبد الرحمن الجوهري، قال:

رأيت أبا داود الحفري، وكان لا يرى أديم جسده من الشعر، وعليه

---

(١) " تهذيب الكمال ": لوحة ١٠١١.

(٢) " الجرح والتعديل " ٦ / ١١٢.

(٣) " تهذيب الكمال ": لوحة ١٠١٢.

(٤) " تهذيب الكمال ": لوحة ١٠١٢.." [٢]

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة٧/٤٣١

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة٩/٤١٦

"نسخت عن نسخة المؤلف التي بخطه وكتبت في حياته في السنوات ٧٣٩ - ٧٤٣ هـ، وهو العنوان الأكثر دقة وكمالا، لذلك اعتمده محققو الكتاب.

وقد ألف الذهبي كتابه هذا بعد كتابه العظيم " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام " الذي انتهى من تأليفه أول مرة سنة ٧١٤ هـ ثم أعاد النظر فيه، وبيض قسما منه سنة ٧٢٦ هـ (١) .

وقد أشار المؤلف إلى بعض كتبه الأخرى، وأحال عليها في كتابه " السير ".

وحينما ذكر تلميذه الصلاح الصفدي بعض كتب الذهبي الخاصة بتراجم الأعيان مثل " نفض الجعبة في أخبار شعبة " و " قض نهارك بأخبار ابن المبارك " وغيرهما قال: " وله في تراجم الأعيان لكل واحد مصنف قائم الذات مثل الأئمة الأربع ومن جرى مجراهم، لكنه أدخل الجميع في " تاريخ النبلاء " (٢) .

وهذا النص يوضح أنه ألف " السير " بعد تأليفه لكل تلك التراجم المفردة الكثيرة، ويلاحظ أن ناسخ أول نسخة من الكتاب قد بدأ بنسخها في سنة ٧٣٩ هـ وانتهى من المجلد الثالث عشر في أوائل سنة ٧٤٣ هـ، وهذا يعني أن المؤلف كان قد انتهى من تأليف كتابه سنة ٧٣٩ هـ، أو قبلها.

وقد جزم الدكتور الفاضل صلاح الدين المنجد بتأليف الكتاب سنة ٧٣٩ هـ، من غير دليل (٣) سوى أن الناسخ ابن طوغان قد بدأ بنسخ نسخته في هذه السنة.

أما نحن فنعتقد أنه بدأ في تأليف الكتاب سنة ٧٣٢ هـ أو قبيلها بقليل، ودليلنا على ذلك قول المؤلف الذهبي في ترجمة العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم: " وقد صار الملك في ذرية العباس، واستمر ذلك، وتداوله تسعة وثلاثون خليفة إلى وقتنا هذا، وذلك ست مئة عام، أولهم السفاح. وخليفة زماننا المستكفي له الاسم المنبري، والعقد والحل بيد

---

(١) انظر التفاصيل في كتابي: الذهبي: ٢٥ فما بعد.

(٢) الوافي بالوفيات، ٢ / ١٦٤.

(٣) انظر مقدمته للجزء الأول الذي نشره من السير ص ٣٨.." (١)

"قال أبو إسحاق الحبال: توفي في شوال سنة خمس وأربعين وأربعمائة -رحمه الله، وممن قرأ عليه محمد بن شريح، صاحب الكافي١.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالةالمقدمة/٩٢

٣٦- أبو عمرو الداني هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، مولاهم القرطبي، الإمام العلم، المعروف في زمانه بأبي الصيرفي، وفي زماننا بأبي عمرو الداني، لنزوله بدانية.

ولد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، قال: وابتدأت بطلب العلم، في سنة ست وثمانين وثلاثمائة، ورحلت إلى المشرق سنة سبع وتسعين. فمكثت بالقيروان أربعة أشهر، أكتب.

ثم دخلت مصر في شوال من السنة، فمكثت بها سنة، وحججت ودخلت الأندلس، في ذي القعدة سنة تسع وتسعين.

وخرجت إلى الثغر سنة ثلاث وأربعمائة، فسكنت سرقسطة سبعة أعوام، ثم رجعت إلى قرطبة، قال: وقدمت دانية سنة سبع عشرة، فاستوطنها حتى مات.

وقرأ بالروايات على عبد العزيز بن جعفر بن خواشي الفارسي، وعلى خلف بن إبراهيم بن خاقان، وأبي الفتح فارس بن أحمد، وأبي الحسن طاهر بن غلبون.

وسمع كتاب ابن مجاهد في اختلاف السبعة، من أبي مسلم محمد بن أحمد الكاتب، بسماعه منه، وسمع الحديث من أبي مسلم، ومن أحمد بن فراس العبقسي، وعبد الرحمن بن عثمان الزاهد.

وحاتم بن عبد الله البزاز، وأحمد بن فتح بن الرسان، ومحمد بن خليفة بن عبد الجبار، وأحمد بن عمر بن محفوظ الجيزي، وعبد الرحمن بن عمر بن النحاس، وأبي الحسن علي بن محمد القابسي، وأبي عبد الله بن أبي زمنين، وعبد الوهاب بن منير المصري، وطائفة كبيرة.

قرأ عليه أبو بكر بن الفصيح، وأبو الذواد مفرج فتى إقبال الدولة وأبو الحسين يحيى بن أبي زيد.

وأبو بكر محمد بن المفرج، وأبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن الدش، وأبو داود سليمان بن نجاح، وأبو عبد الله محمد بن مزاحم، وأبو علي الحسين بن علي بن مبشر، وأبو القاسم خلف بن إبراهيم، وأبو إسحاق إبراهيم بن علي، وخلق سواهم.

---

١ انظر/ شذرات الذهب "٢/ ٢٧٢، ٢٧٣". غاية النهاية "١/ ٨٩".." (١)

"٥٠- إلياس بن محمد بن علي الشيخ أبو البركات الأنصاري، ذكره ابن الحاجب في معجمه فقال: أحد عدول دمشق، مطبوع صاحب نوادر.

---

(١) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار/٢٢٦

قرأ القراءات السبع، على يحي بن سعدون القرطبي، وكان يشهد تحت الساعات، توفي في رجب سنة ست وعشرين وستمائة١.

٥١- محمد بن أحمد بن مسعود الشيخ أبو عبد الله الأزدي الشاطبي، المعروف بابن صاحب الصلاة.

قرأ برواية نافع على ابن الهذيل، وسمع منه جملة كتب، من تصانيف أبي عمرو الداني، عام ثلاثة وستين وقبلها، وكتب بخطه علما كثيرا، واحتيج إليه.

قال الأبار: لم آخذ عنه لتسمحه في الإقراء والإسماع، سمح الله له، قلت: رأيت ما يدل على ذلك بخطه، أن بعض القراء قرأ عليه في ليلة واحدة، ختمة برواية نافع.

ولد بشاطبة، سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، ومات ببلنسية، سنة خمس وعشرين وستمائة، وقد قرأ عليه أبو عبد الله محمد بن محمد الفصال، ورضي الدين محمد بن علي الشاطبي اللغوي٢.

٥٢- محمد بن أبي الفرج بن معالي الإمام فخر الدين، أبو المعالي الموصلي، المقرئ الفقيه الشافعي.

ولد بالموصل سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، وقرأ بها القراءات، على يحي بن سعدون القرطبي، وسمع منه ومن خطيب الموصل، أبي الفضل الطوسي، وقدم بغداد فتفقه بها وبرع في المذهب.

وقرأ العربية على الكمال عبد الرحمن بن محمد الأنباري، وأعاد بالنظامية، وتصدر للإقراء، قرأ عليه الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش، والكمال عبد الرحمن بن المكبر، وعلي بن إسماعيل الفقيه، وغيرهم.

توفي في سادس رمضان سنة إحدى وعشرين وستمائة، ببغداد، اتصلت القراءات من طريقه في زماننا، قرأ جماعة من الطلبة على الشيخ أبي بكر بن المشيع الجزري، أخذت عنه الحروف سماعا قال: تلوت للسبعة على الشيخ عبد الصمد، عن تلاوته على الفخر الموصلي.

---

١ انظر/ غاية النهاية "١/ ١٧١، ١٧٢".

٢ انظر/ غاية النهاية "٢/ ٨٨".." (١)

"الجزري، وكان عمر ابن جبارة، إحدى وثمانين سنة١.

٦- يحي بن أحمد بن خذاذاذ الإمام، العالم المقرئ البارع، المحقق الصالح وحيد الدين أبو حامد الخلاطي الرومي الشافعي، إمام الكلاسة.

---

(١) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار/٣٣١

قرأ بالروايات على الشيخ صائن الدين، صاحب المنتجب، وقدم دمشق، في أيام الفاضلي وغيره، تصدر للإقراء وأخذ عنه جماعة.

وكان بصيرا بالقراءات ودقائقها، مستحضرا للخلاف، عارفا بشرح القصيد، وبالمقاطع والمبادئ والرسم، تام السكينة، حسن الديانة كثير التواضع والحياء، ولد سنة نيف وأربعين وستمائة٢.

٧- أحمد بن محمد بن اسماعيل الشيخ الإمام، الصالح المقرئ العالم، بقية السلف، أبو العباس الحراني الحنبلي.

قرأ القراءات على الزواوي، والفاضلي والفاروثي، والبرهان الوزيري وغيرهم، وعني بالفن، أتم عناية، وتصدر للإقراء والتلقين دهرا، وسمع الكثير من كتب الحديث، على الشيخ شمس الدين المقدسي وغيره.

وكان قائما على معرفة الخلاف، وفهم القصيد، وبعض علل القراءات كثير التواضع، متين الديانة حسن السمت مجموع الفضائل قرأ عليه ابن المبيض وغيره.

وهو من أعيان القراء بالجامع في زماننا، تلقن عليه خلق كثير، وهو في عشر السبعين، توفي سنة خمس وعشرين وسبعمائة في ذي الحجة٣.

٨- أبو بكر بن محمد بن أبي بكر الإمام المقرئ، العالم المجود الكبير، بقية السلف، شيخ القراء تقي الدين الموصلي.

ولد سنة نيف وثلاثين وستمائة بالموصل، وقدم دمشق، فقرأ بها القراءات على الشيخ زين الدين الزواوي وغيره، وتصدر للإقراء والتلقين دهرا، إلى جانب محراب الصحابة، وختم عليه خلق كثير.

وكان شيخا حسنا خيرا، موطأ الأكناف، مجموع الفضائل، عارفا بالروايات، له حرمة وجلالة، وصار شيخ ميعاد ابن عامر مدة، جود عليه جماعة القرآن، وسمعنا منه تاريخ داريا، ونعم الشيخ كان.

---

١ انظر/ شذرات الذهب "٦/ ٨٧" غاية النهاية "١/ ١٢٢".

٢ انظر/ غاية النهاية "٢/ ٣٦٥، ٣٦٦".

٣ انظر/ غاية النهاية "١/ ١٠٧".." (١)

---

(١) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصارص/٣٩٩

"ولا من قيل: هو صالح الحديث، أو يكتب حديثه، أو هو شيخ، فإن هذا وشبهه يدل على عدم الضعف المطلق.

فأعلى العبارات في الرواة المقبولين: ثبت حجة، وثبت حافظ، وثقة متقن، وثقة ثقة، ثم ثقة، ثم صدوق، ولا بأس به، وليس به بأس، ثم محله الصدق، وجيد الحديث، وصالح الحديث، وشيخ وسط، وشيخ، وحسن الحديث، وصدوق إن شاء الله، وصويلح، ونحو ذلك.

وأردى عبارات الجرح: دجال كذاب، أو وضاع يضع الحديث، ثم متهم بالكذب، متفق على تركه، ثم متروك ليس بثقة، وسكتوا عنه، وذاهب الحديث، وفيه نظر، وهالك ، وساقط، ثم واه بمرة، وليس بشيء، وضعيف جدا، وضعفوه، وضعيف، وواه،ومنكر الحديث ونحو ذلك،

ثم يضعف، وفيه ضعف، وقد ضعف، ليس بالقوي، ليس بحجة، ليس بذاك، تعرف وتنكر، فيه مقال، تكلم فيه، لين، سيء الحفظ، لا يحتج به، اختلف فيه، صدوق لكنه ليس بحجة. ونحو ذلك من العبارات التي تدل بوضعها على اطراح الراويبالأصالة، أو على ضعفه، أو على التوقف فيه، أو على جواز أن يحتج به مع لين ما فيه.

نعم، وكذلك من قد تكلم فيه من المتأخرين لا أورد منهم إلا من قد تبين ضعفه، واتضح أمره من الرواة، إذ العمدة في زماننا ليس على الرواة، بل على المحدثين والمفيدين والذين عرفت عدالتهم وصدقهم في ضبط أسماء السامعين.

ثم من المعلوم أنه لابد من صون الراويوستره فالحد الفاصل بين المتقدم والمتأخر هو رأس سنة ثلاث مئة، ولو فتحت على نفسي تليين هذا الباب لما سلم معي إلا القليل، إذ الأكثر لا يدرون ما يروون، ولا يعرفون هذا الشأن، إنما سمعوا في الصغر، واحتيج إلى علو سندهم في الكبر، فالعمدة على من قرأ لهم، وعلى من أثبت طباق السماع لهم، كما هو مبسوط في علوم الحديث، والله الموفق، وبه الاستعانة، ولا قوة إلا به.." (١)

"٢- (م، ٤) أبان بن تغلب الكوفي.

شيعي جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته.

وقد وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، وأبو حاتم، وأورده ابن عدي، وقال: كان غاليا في التشيع.

---

(١) ميزان الاعتدال ط- الرسالة١/٤٨

وقال السعدى: زائغ مجاهر.

فلقائل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع وحد الثقة العدالة والإتقان ؟ فكيف يكون عدلا من هو صاحب بدعة ؟ وجوابه إن البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرق، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق.

فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة.

ثم بدعة كبرى، كالرفض الكامل والغلو فيه، والحط على أبي بكر وعمر رضى الله عنهما، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة.

وأيضا فما أستحضر الآن في هذا الضرب رجلا صادقا ولا مأمونا، بل الكذب شعارهم، والتقية والنفاق دثارهم، فكيف يقبل نقل من هذا حاله ! حاشا وكلا.

فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب عليا رضى الله عنه، وتعرض لسبهم.

والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة، ويتبرأ من الشيخين أيضا، فهذا ضال معثر ولم يكن أبان بن تغلب يعرض للشيخين أصلا، بل قد يعتقد عليا أفضل منهما.." (١)

"٢٢٢٨- حميد بن الربيع بن حميد بن مالك بن سحيم، أبو الحسن اللخمي الخزاز الكوفي.

عن هشيم وابن عيينة.

وعنه المحاملي، ومحمد بن مخلد، وجماعة.

قال الدارقطني: تكلموا فيه بلا حجة.

وقال البرقاني: رأيت الدارقطني يحسن القول فيه.

وقال البرقاني: عامة شيوخنا يقولون: ذاهب الحديث.

وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة: قال أبي: أنا أعلم الناس بحميد بن الربيع، هو ثقة، لكنه شره يدلس.

وقال ابن الغلابي: قال يحيى بن معين: أخزى الله ذاك، ومن يسأل عنه.

وقال أبو محمد بن أحمد النسائي: سمعت عبدان الجواليقي قال: قال يحيى بن معين: كذابي زماننا أربعة: الحسين بن عبد الأول، وأبو هشام الرفاعي، وحميد بن الربيع، والقاسم بن أبي شيبة، وأحسن القول فيه

---

(١) ميزان الاعتدال ط- الرسالة١/٤٩

أحمد بن حنبل.

وقال النسائي: ليس بشيء.

وقال ابن عدي: يسرق الحديث ويرفع الموقوف.." (١)

"٥٦٠٤- علي بن عيسى الرماني، صاحب العربية.

لقى ابن دريد، معتزلي رافضي، ومن حدود سبعين وثلاث مئة، إلى زماننا هذا تصادق الرفض والاعتزال وتواخيا.." (٢)

---

(١) ميزان الاعتدال ط- الرسالة١/٥٦٢

(٢) ميزان الاعتدال ط- الرسالة٣/١٥٩

الامام ابن كثير

"الصميم، خاتم الأنبياء، وصاحب الحوض الأكبر الرواء صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة، وحامل اللواء الذي يبعثه الله المقام المحمود الذي يرغب إليه فيه الخلق كلهم حتى الخليل إبراهيم صلى الله عليه وعلى سائر إخوانه من النبيين والمرسلين وسلم وشرف وكرم أزكى صلاة وتسليم وأعلى تشريف وتكريم ورضي الله عن جميع أصحابه الغر الكرام السادة النجباء الأعلام خلاصة العالم بعد الأنبياء ما اختلط الظلام بالضياء وأعلن الداعي بالنداء وما نسخ النهار ظلام الليل البهيم.

أما بعد، فهذا الكتاب أذكر فيه بعون الله وحسن توفيقه ما يسره الله تعالى بحوله وقوته من ذكر مبدأ المخلوقات: من خلق العرش، والكرسي، والسماوات والأرضين وما فيهن وما بينهن من الملائكة والجان والشياطين، وكيفية خلق آدم عليه السلام وقصص النبيين، وما جرى مجرى ذلك إلى أيام بني إسرائيل وأيام الجاهلية حتى تنتهي النبوة إلى أيام نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه فنذكر سيرته كما ينبغي فنشفي الصدور والغليل ونزيح الداء عن العليل، ثم نذكر ما بعد ذلك إلى زماننا ونذكر الفتن والملاحم، وأشراط الساعة، ثم البعث والنشور، وأهوال القيامة، ثم صفة ذلك وما في ذلك اليوم وما يقع فيه من الأمور الهائلة، ثم صفة النار، ثم صفة الجنان وما فيها من الخيرات الحسان وغير ذلك وما يتعلق به وما ورد في ذلك من الكتاب والسنة والآثار والأخبار المنقولة المقبولة عند العلماء وورثة الأنبياء الآخذين من مشكاة النبوة المصطفوية المحمدية على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام.." (١)

"وفي الشهر الثاني من سنة اثنتين في ست وعشرين ليلة منه {قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم} [هود: ٤٨] . وفيما ذكر أهل الكتاب أن الله كلم نوحا قائلا له: اخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك، وجميع الدواب التي معك، ولتنموا ولتكثروا في الأرض، فخرجوا، وابتنى نوح مذبحا لله عز وجل، وأخذ من جميع الدواب الحلال والطير الحلال فذبحها قربانا إلى الله عز وجل، وعهد الله إليه أن لا يعيد الطوفان على أهل الأرض، وجعل تذكار الميثاق إليه القوس الذي في الغمام، وهو قوس قزح الذي قدمنا عن ابن عباس أنه

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٦/١

أمان من الغرق. قال بعضهم: فيه إشارة إلى أنه قوس بلا وتر. أي ؛ أن هذا الغمام لا يوجد منه طوفان كأول مرة. والله أعلم

وقد أنكرت طائفة من جهلة الفرس وأهل الهند، وقوع الطوفان، واعترف به آخرون منهم. وقالوا: إنما كان بأرض بابل، ولم يصل إلينا. قالوا: ولم نزل نتوارث الملك كابرا عن كابر من لدن كيومرث يعنون آدم إلى زماننا هذا. وهذا قاله من قاله من زنادقة المجوس عباد النيران، وأتباع الشيطان. وهذه سفسطة منهم، وكفر فظيع، وجهل بليغ، ومكابرة للمحسوسات، وتكذيب لرب الأرض والسماوات. وقد أجمع أهل الأديان الناقلون عن رسل الرحمن مع ما تواتر عند الناس في سائر الأزمان على وقوع الطوفان، وأنه عم جميع البلاد، ولم يبق الله أحدا من كفرة العباد ؛ استجابة لدعوة نبيه المؤيد المعصوم، وتنفيذا لما سبق في القدر المحتوم.." (١)

"وقال محمد بن إسماعيل الحساني الواسطي راوي تفسير وكيع عنه فيما ذكره من الزيادات، حدثنا أبو معاوية، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: كان إبراهيم أول من تسرول، وأول من فرق، وأول من استحد، وأول من اختتن بالقدوم وهو ابن عشرين ومائة سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة، وأول من قرى الضيف، وأول من شاب. هكذا رواه موقوفا، وهو أشبه بالمرفوع خلافا لابن حبان، والله أعلم.

وقال مالك: عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب قال: كان إبراهيم أول من أضاف الضيف، وأول الناس اختتن، وأول الناس قص شاربه، وأول الناس رأى الشيب، فقال: يا رب ما هذا؟ فقال الله: وقار. فقال: يا رب زدني وقارا. وزاد غيرهما: وأول من قص شاربه، وأول من استحد، وأول من لبس السراويل، فقبره وقبر ولده إسحاق وقبر ولد ولده يعقوب في المربعة التي بناها سليمان بن داود عليه السلام ببلد حبرون، وهو البلد المعروف بالخليل اليوم. وهذا متلقى بالتواتر أمة بعد أمة، وجيلا بعد جيل من زمن بني إسرائيل، وإلى زماننا هذا أن قبره بالمربعة تحقيقا. فأما تعيينه منها فليس فيه خبر صحيح عن معصوم، فينبغي أن تراعى تلك المحلة، وأن تحترم احترام مثلها، وأن." (٢)

"حقيقة الأمور دون أرباب الشرع الظاهر - مستند يستندون إليه، ولا معتمد يعتمدون عليه.

وأما الخلاف في وجوده إلى زماننا هذا، فالجمهور على أنه باق إلى اليوم، قيل: لأنه دفن آدم بعد خروجهم

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٢٧٥/١

(٢) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٤٠٥/١

من الطوفان، فنالته دعوة أبيه آدم بطول الحياة. وقيل: لأنه شرب من عين الحياة فحيي.
وذكروا أخبارا استشهدوا بها على بقائه إلى الآن، وسنوردها مع غيرها، إن شاء الله تعالى، وبه الثقة. وهذه وصيته لموسى حين {قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا} [الكهف: ٧٨] . روي في ذلك آثار منقطعة كثيرة. قال البيهقي: أنبأنا أبو سعيد بن أبي عمرو، حدثنا أبو عبد الله الصفار، حدثنا أبو بكر ابن أبي الدنيا، حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا جرير، حدثني أبو عبد الله الملطي، قال: لما أراد موسى أن يفارق الخضر، قال له موسى: أوصني. قال: كن نفاعا ولا تكن ضرارا، كن بشاشا ولا تكن غضبان، ارجع عن اللجاجة، ولا تمش في غير حاجة. وفي رواية من طريق أخرى زيادة: ولا تضحك إلا من عجب. وقال وهب بن منبه قال الخضر: يا موسى، إن الناس معذبون في الدنيا على قدر همومهم بها. وقال بشر بن الحارث الحافي: قال موسى للخضر: أوصني. فقال: يسر الله." (١)

"ذي البطح، قالوا: صدقت يا سطيح، نحن أهل البيت الحرام أتيناك لنزورك ؛ لما بلغنا من علمك فأخبرنا عما يكون في زماننا هذا وما يكون بعده فلعل أن يكون عندك في ذلك علم.
قال: الآن صدقتم خذوا مني ومن إلهام الله إياي أنتم يا معشر العرب في زمان الهرم، سواء بصائركم وبصائر العجم، لا علم عندكم ولا فهم، وينشأ من عقبكم ذوو فهم يطلبون أنواع العلم، فيكسرون الصنم ويبلغون الردم ويقتلون العجم يطلبون الغنم. قالوا: يا سطيح فمن يكون أولئك؟ فقال لهم: والبيت ذي الأركان، والأمن والسكان، لينشؤن من عقبكم ولدان يكسرون الأوثان، وينكرون عبادة الشيطان، ويوحدون الرحمن، وينشرون دين الديان، يشرفون البنيان، ويستفتون الفتيان. قالوا: يا سطيح من نسل من يكون أولئك؟ قال: وأشرف الأشراف والمفضي للإسراف والمزعزع الأحقاف والمضعف الأضعاف لينشؤن الآلاف من عبد شمس وعبد مناف نشوءا يكون فيه اختلاف، قالوا: يا سوءتاه يا سطيح فما تخبرنا من العلم بأمرهم ومن." (٢)

"وقال تعالى: {أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون} [هود: ١٣]

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٢٥٠/٢

(٢) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٦١٧/٣

[يونس: ٣٧ - ٣٩] فبين تعالى أن الخلق عاجزون عن معارضة هذا القرآن، بل عن عشر سور مثله، بل عن سورة منه، وأنهم لا يستطيعون ذلك أبدا، كما قال تعالى: {فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا} [البقرة: ٢٤] أي؛ فإن لم تفعلوا في الماضي ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، وهذا تحد ثان، وهو أنه لا يمكن معارضته لهم لا في الحال ولا في المآل، ومثل هذا التحدي إنما يصدر عن واثق بأن ما جاء به لا يمكن البشر معارضته ولا الإتيان بمثله، ولو كان من متقول من عند نفسه لخاف أن يعارض، فيفتضح ويعود عليه نقيض ما قصده من متابعة الناس له، ومعلوم لكل ذي لب أن محمدا صلى الله عليه وسلم من أعقل خلق الله، بل أعقلهم وأكملهم على الإطلاق في نفس الأمر، فما كان ليقدم على هذا إلا وهو عالم بأنه لا يمكن معارضته، وهكذا وقع، فإن من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى زماننا هذا لم يستطع أحد أن يأتي بنظيره ولا نظير سورة منه، وهذا لا سبيل إليه أبدا، فإنه كلام رب العالمين الذي لا يشبهه شيء من." (١)

"الله كلام له أسلوب لا يشبه أساليب كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأساليب كلامه عليه الصلاة والسلام المحفوظة عنه بالسند الصحيح إليه لا يقدر أحد من الصحابة ولا من بعدهم أن يتكلم بمثل أساليبه في فصاحته وبلاغته فيما يرومه من المعاني بألفاظه الشريفة، بل وكلام الصحابة أسلوب أعلى من أساليب كلام التابعين، وهلم جرا إلى زماننا، وعلماء السلف أفصح وأعلم وأقل تكلفا في أداء ما يريدونه من المعاني بألفاظهم، من علماء الخلف، وهذا يشهده من له ذوق بكلام الناس، كما يدرك تفاوت ما بين أشعار العرب في زمن الجاهلية وبين أشعار المولدين الذين كانوا بعد ذلك.

ولهذا جاء الحديث الثابت في هذا المعنى، وهو فيما رواه الإمام أحمد قائلا: حدثنا حجاج، ثنا ليث، حدثني سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» وقد أخرجه البخاري ومسلم من حديث الليث بن سعد به. ومعنى هذا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كل منهم قد أوتي من الحجج والدلائل على صدقه وصحة ما جاء به عن ربه ما فيه كفاية وحجة لقومه الذين بعث إليهم، سواء آمنوا به ففازوا بثواب إيمانهم، أو جحدوا." (٢)

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٥٤٠/٨

(٢) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٥٤٨/٨

"الليث عنه. ففي هذا الحديث مما نحن بصدده أشياء، منها: أنه أخبر الحاضرين أنه فرطهم، أي المتقدم عليهم في الموت، وهكذا وقع، فإن هذا كان في مرض موته، عليه الصلاة والسلام، ثم أخبر أنه شهيد عليهم وإن تقدم وفاته عليهم، وأخبر أنه أعطي مفاتيح خزائن الأرض أي فتحت له البلاد، كما جاء في حديث أبي هريرة المتقدم. قال أبو هريرة: فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنتم تفتحونها كفرا كفرا. أي بلدا بلدا وأخبر أن أصحابه لا يشركون بعده. وهكذا وقع ولله الحمد والمنة، ولكن خاف عليهم أن ينافسوا في الدنيا، وقد وقع هذا في زمان علي ومعاوية، رضي الله عنهما، ثم من بعدهما، وهلم جرا إلى زماننا هذا.

ثم قال البخاري: ثنا علي بن عبد الله، أنا أزهر بن سعد، أنا ابن عون أنبأني موسى بن أنس بن مالك، عن أنس، «أن النبي صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله، أعلم لك علمه فأتاه فوجده جالسا في بيته منكسا رأسه، فقال ما شأنك؟ فقال: شر. كان يرفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، فقد حبط عمله وهو من أهل النار. فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا. قال موسى: فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: " اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكن من أهل الجنة» ". تفرد به البخاري، وقد قتل ثابت بن قيس بن شماس شهيدا يوم اليمامة، كما سيأتي تفصيله. وهكذا ثبت." (١)

"[إخباره صلى الله عليه وسلم عن أمور وقعت في دولة بني العباس إلى زماننا هذا]

ذكر الإخبار عن أمور وقعت في دولة بني العباس إلى زماننا هذا

فمن ذلك بناء أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس - الخليفة بعد أخيه الخليفة السفاح، وهو المنصور - لمدينة بغداد في سنة خمس وأربعين ومائة.

قال نعيم بن حماد في كتابه، عن أبي المغيرة، عن أرطأة بن المنذر، عمن حدثه عن ابن عباس أنه أتاه رجل وعنده حذيفة فقال: يابن عباس، قوله تعالى {حم عسق} [الشورى: ١]

[الشورى: ١، ٢] . فأطرق ساعة وأعرض عنه، ثم كررها فلم يجبه بشيء، فقال له حذيفة: أنا أنبئك، قد عرفت لم كرهها، إنما نزلت في رجل من أهل بيته يقال له: عبد الإله. أو عبد الله. ينزل على نهر من أنهار المشرق، يبني عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقا، يجتمع فيهما كل جبار عنيد.." (٢)

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ١٣٢/٩

(٢) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٢٩٠/٩

"حرب، عن جرير، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد ؛ قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» . وهذان الصنفان، وهما الجلادون الذين يسمون بالرجالة والجاندارية كثيرون في زماننا هذا، ومن قبله وقبل قبله بدهر، والنساء الكاسيات العاريات ؛ أي عليهن لبس لا تواري سوآتهن، بل هو زيادة في العورة، وإبداء للزينة، مائلات في مشيهن، مميلات غيرهن إليهن وقد عم البلاء بهن في زماننا هذا، ومن قبله أيضا، وهذا من أكبر دلالات النبوة ؛ إذ وقع الأمر في الخارج طبق ما أخبر به، عليه السلام، وقد تقدم حديث جابر: " أما إنها ستكون لكم أنماط ". وذكر تمام الحديث في وقوع ذلك واحتجاج امرأته عليه بهذا.

حديث آخر: روى الإمام أحمد عن عبد الصمد بن عبد الوارث، عن داود بن أبي هند، وأخرجه البيهقي من حديثه، عن أبي." (١)

"عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين ". وهذا موجود، ولله الحمد والمنة، إلى زماننا هذا، ونحن في القرن الثامن، والله المسئول أن يختم لنا بخير، وأن يجعلنا من عباده الصالحين، ومن ورثة جنة النعيم، آمين آمين يا رب العالمين.

وسيأتي الحديث المخرج من " الصحيح ": «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» . وفي " صحيح البخاري ": " وهم بالشام ". وقد قال كثير من علماء السلف: إنهم أهل الحديث. وهذا أيضا من دلائل النبوة، فإن أهل الحديث بالشام اليوم أكثر من سائر أقاليم الإسلام، ولله الحمد، ولا سيما بمدينة دمشق، حماها الله وصانها، كما ورد في الحديث الذي سنذكره أنها تكون معقل المسلمين عند وقوع الفتن.

وفي " صحيح مسلم " «عن النواس بن سمعان، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر عن عيسى ابن مريم أنه ينزل من السماء على المنارة البيضاء شرقي دمشق» . ولعل أصل لفظ الحديث: على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق. وقد بلغني أنه كذلك في بعض الأجزاء، ولم أقف عليه إلى الآن، والله الميسر،

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٩/٣٠١

وقد جددت هذه المنارة البيضاء الشرقية بجامع دمشق - بعد ما أحرقها النصارى - في أيامنا هذه بعد سنة أربعين وسبعمائة، من أموال النصارى ؛ مقاصة على ما." (١)

"وإن أوتي الملك العظيم وسخرت

له الجن تسعى في رضاه وتكدح ... فإن مفاتيح الكنوز بأسرها

أتته فرد الزاهد المترجح ... وإن كان إبراهيم أعطي خلة

وموسى بتكليم على الطور يمنح ... فهذا حبيب بل خليل مكلم

وخصص بالرؤيا وبالحق أشرح ... وخصص بالحوض العظيم وباللوا

ويشفع للعاصين والنار تلفح ... وبالمقعد الأعلى المقرب ناله

عطاء لعينيه أقر وأفرح ... وبالرتبة العليا الوسيلة دونها

مراتب أرباب المواهب تلمح ... ولهو إلى الجنات أول داخل

له بابها قبل الخلائق يفتح

وهذا آخر ما يسر الله جمعه من الإخبار بالمغيبات التي وقعت إلى زماننا مما يدخل في دلائل النبوة، والله الهادي، وإذا فرغنا، إن شاء الله، من إيراد الحادثات من بعد موته، عليه السلام، إلى زماننا، نتبع ذلك بذكر الفتن والملاحم الواقعة في آخر الزمان، ثم نسوق بعد ذلك أشراط الساعة، ثم نذكر البعث والنشور، ثم ما يقع يوم القيامة من الأهوال وما فيه من العظمة، ونذكر الحوض والميزان والصراط، ثم نذكر صفة النار، ثم صفة الجنة.." (٢)

"قال محمد بن عائذ الدمشقي، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن عبد العزيز، أنه قال: أول مدينة فتحت من الشام بصرى، وبها توفي سعد بن عبادة. وعند كثير من أهل زماننا أنه دفن بقرية من غوطة دمشق يقال لها: المنيحة. وبها قبر مشهور به. ولم أر الحافظ ابن عساكر تعرض لذكر هذا القبر في ترجمته بالكلية. فالله أعلم.

قال ابن عبد البر: ولم يختلفوا أنه وجد ميتا في مغتسله وقد اخضر جسده، ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلا يقول:.

قتلنا سيد الخزر ... ج سعد بن عباده

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٣٠٤/٩

(٢) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٤١٢/٩

رميناه بسهمين ... فلم نخط فؤاده

قال ابن جريج: سمعت عطاء يقول: سمعت أن الجن قالوا في سعد بن عبادة هذين البيتين.

له عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث، وكان، رضي الله عنه، من أشد الناس غيرة، ما تزوج امرأة إلا بكرا، ولا طلق امرأة فتجاسر أحد أن يخطبها بعده. وقد روي أنه لما خرج من المدينة قسم ماله بين بنيه، فلما توفي ولد له ولد، فجاء أبو بكر وعمر إلى ابنه قيس بن سعد، فأمراه أن يدخل هذا معهم، فقال: إني لا أغير ما صنع سعد، ولكن نصيبي لهذا الولد.." (١)

"لا يخرب أبدا ولا تخلو منه العبادة، وأن هذه الدار إذا بنيت لا تخلو من أن تكون دار الملك والسلطنة. قلت: أما المعبد فلم يخل من العبادة. قال كعب الأحبار: لا يخلو منها حتى تقوم الساعة.

وأما دار الملك التي هي الخضراء فقد جدد بناءها معاوية، ثم أحرقت في سنة إحدى وستين وأربعمائة كما سنذكره فبادت وصارت مساكن ضعفاء الناس وأراذلهم في الغالب إلى زماننا هذا، وبالله المستعان.

والمقصود أن اليونان استمروا على هذه الصفة التي ذكرناها بدمشق مددا طويلة، تزيد على أربعة آلاف سنة، حتى إنه يقال: إن أول من بنى جدران هذا المعبد الأربعة هود، عليه الصلاة والسلام، وقد كان هود قبل إبراهيم الخليل بمدة طويلة.

وقد ورد إبراهيم الخليل عليه السلام، دمشق ونزل شماليها عند برزة، وقاتل هناك قوما من أعدائه فظفر بهم، ونصره الله عليهم، وكان مقامه لمقاتلتهم عند برزة. فهذا المكان المنسوب إليه بها منصوص عليه في الكتب المتقدمة يأثرونه كابرا عن كابر، وإلى زماننا. والله أعلم.

وكانت دمشق إذ ذاك عامرة آهلة بمن فيها من اليونان، وكانوا خلقا لا يحصيهم إلا الله؛ وهم خصماء الخليل، وقد ناظرهم الخليل في عبادتهم الأصنام والكواكب وغيرها في غير موضع، كما قررنا ذلك في التفسير، وفي قصة." (٢)

"وعمت البلوى به، وانحصر الناس منه بدمشق، فينزل مسيح الهدى فيقتل مسيح الضلالة، ويكون نزوله على المنارة الشرقية بدمشق وقت صلاة الفجر، فيأتي وقد أقيمت الصلاة، فيقول له إمام الناس: تقدم يا روح الله. فيقول: إنما أقيمت لك. فيصلي عيسى تلك الصلاة خلف رجل من هذه الأمة. يقال إنه المهدي. فالله أعلم.

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٦٠٨/٩

(٢) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٥٦٢/١٢

ثم يخرج عيسى بالناس، فيدرك الدجال عند عقبة أفيق، وقيل: بباب لد. فيقتله بيده هنالك. وقد ذكرنا ذلك مبسوطا عند قوله تعالى: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته} [النساء: ١٥٩] (النساء: ١٥٩) ، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكما مقسطا، وإماما عادلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام» .

والمقصود أن عيسى عليه السلام ينزل والبلد محصن من الدجال، ويكون نزوله على المنارة الشرقية بدمشق وهي هذه المنارة المبنية في زماننا من أموال النصارى؛ حيث أحرقوها فجددت من أموالهم ثم يكون نزول عيسى حتفا لهم، وهلاكا ودمارا عليهم، ينزل بين ملكين واضعا يديه على." (١)

"واعتدال صيفها وشتائها، وصحة ربيعها وخريفها، وأكثر ما كانت عمارة وأهلا في أيام الرشيد. ثم ذكر تناقص أحوالها بعد ذلك، وهلم جرا إلى زمانه.

قلت: وكذا من بعده إلى زماننا هذا، ولا سيما في أيام هولاكو بن تولى بن جنكز خان التركي الذي وضع معالمها، وقتل خليفتها وعالمها، وخرب دورها، وهدم قصورها، وأباد الخواص والعوام من أهلها في ذلك العام، وأخذ الأموال والحواصل، ونهب الذراري والأصائل، وأورث بها حزنا يعدد به في البكرات والأصائل، وصيرها مثلة في الأقاليم، وعبرة لكل معتبر عليم، وتذكرة لكل ذي عقل مستقيم، وبدلت بعد تلاوة القرآن، بالنغمات والألحان، وإنشاد الأشعار وكان وكان، وبعد سماع الأحاديث النبوية، بدرس الفلسفة اليونانية، والمناهج الكلامية، والتأويلات القرمطية، وبعد العلماء بالحكماء، وبعد الخليفة العباسي، بشر الولاة من الأناسي، وبعد الرياسة والنباهة، بالخساسة والسفاهة، وبعد العباد بالأنكاد، وبعد الطلبة المشتغلين، بالظلمة والعيارين، وبعد الاشتغال بفنون العلم من التفسير والفقه والحديث وتعبير الرؤيا، بالزجل والموشح ودوبيت ومواليا، وما أصابهم ذلك إلا ببعض ذنوبهم، وما ربك بظلام للعبيد.

والتحول منها في هذه الأزمان - لكثرة ما فيها من المنكرات الحسية والمعنوية - والانتقال عنها إلى بلاد الشام الذي تكفل الله بأهله، أفضل وأكمل وأجمل.." (٢)

"ثم إن المنصور خلع عيسى بن موسى عن ولاية العهد، وقدم عليه ابنه المهدي، فكان يجلسه فوق عيسى عن يمينه، ثم كان بعد ذلك لا يلتفت إلى عيسى بن موسى، ويهينه في الإذن والمشورة والدخول عليه والخروج من عنده، بعد ما كان حظيا عنده قبل ذلك جدا، ثم ما زال يقصيه ويبعده ويتهدده

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٥٩١/١٢

(٢) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٣٩٧/١٣

ويتوعده، حتى خلع نفسه بنفسه وبايع لمحمد ابن المنصور، وأعطاه المنصور على ذلك نحوا من اثني عشر ألف ألف درهم، وانصلح أمر عيسى بن موسى وبنيه عند المنصور، وأقبل عليه بعدما كان قد أعرض عنه، وكان قد جرت بينهما مكاتبات كثيرة جدا، ومراوضات في تمهيد البيعة لابنه المهدي وخلع عيسى نفسه، وأن العامة لا يعدلون بالمهدي أحدا، وكذلك الأمراء والخواص، ولم يزل به حتى أجاب إلى ذلك مكرها، فعوضه عن ذلك ما ذكرنا، وسارت بيعة المهدي في الآفاق شرقا وغربا، وبعدا وقربا، وفرح المنصور بذلك فرحا شديدا، واستقرت الخلافة في ذريته إلى زماننا هذا، فلم يكن خليفة من بني العباس إلا من سلالته، ذلك تقدير العزيز العليم.

وفيها توفي عبيد الله بن عمر العمري، وهاشم بن هاشم، وهشام بن حسان صاحب الحسن البصري.." (١)

"بن خالد الزنجي.

وروى عنه خلق كثير قد ذكرنا أسماءهم مرتبين على حروف المعجم. وقرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين، عن شبل، عن ابن كثير عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن جبريل، عن الله عز وجل.

وأخذ الشافعي الفقه عن مسلم بن خالد الزنجي، عن ابن جريج عن عطاء، عن ابن عباس، وابن الزبير وغيرهما، عن جماعة من الصحابة؛ منهم عمر، وعلي، وابن مسعود، وزيد بن ثابت وغيرهم، كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفقه أيضا على مالك عن مشايخه، وتفقه به جماعة قد ذكرناهم ومن بعدهم إلى زماننا في مصنف مفرد، ولله الحمد والمنة.

وقد روى ابن أبي حاتم، عن أبي بشر الدولابي، عن محمد بن إدريس وراق الحميدي، عن الحميدي، عن الشافعي أنه ولي الحكم بنجران من أرض اليمن، ثم تعصبوا عليه ووشوا به إلى الرشيد هارون أنه يروم الخلافة، فحمل على بغل في قيد إلى بغداد فدخلها في سنة أربع وثمانين ومائة وعمره ثلاثون سنة فاجتمع بالرشيد فتناظر هو ومحمد بن الحسن بين يديه، وأحسن القول فيه محمد بن الحسن، وتبين للرشيد براءته مما نسب إليه، وأنزله محمد بن الحسن عنده.

وكان أبو يوسف قد مات قبل ذلك بسنة وقيل: بسنتين وأكرمه." (٢)

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٤٠٨/١٣

(٢) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ١٣٣/١٤

"ويكلمونه. فخرج إلى بعض الثغور فرأى بعض أهل دمشق أنه إن لم يرجع إليهم هلكوا، فخرجوا في طلبه وتشفعوا إليه، حتى ردوه.

وقد اختلف في وفاته على أقوال؛ فقيل: سنة أربع ومائتين. وقيل: سنة خمس ومائتين. وقيل: سنة خمس عشرة ومائتين. وقيل: سنة خمس وثلاثين ومائتين. والله أعلم. وقد قال مروان الطاطري يوم مات أبو سليمان: لقد أصيب به أهل الإسلام كلهم.

قلت: وقد دفن في قرية داريا، وقبره بها مشهور وعليه بناء، وقبلته مسجد بناه الأمير ناهض الدين عمر المهراني، ووقف على المقيمين عنده وقفا يدخل عليهم منه غلة، وقد جدد مزاره في زماننا هذا، ولم أر الحافظ ابن عساكر تعرض لموضع دفنه بالكلية، وهذا عجب منه. وروى ابن عساكر، عن أحمد بن أبي الحواري قال: كنت أشتهي أن أرى أبا سليمان في المنام فرأيته بعد سنة، فقلت: ما فعل الله بك يا معلم؟ فقال: يا أحمد، دخلت يوما من باب الصغير فرأيت حمل شيح، فأخذت منه عودا، فما أدري تخللت به أو رميته، فأنا في." (١)

"وحدث عن الباغندي وأبي بكر بن أبي داود والبغوي وابن صاعد وخلق، وكان ثقة أمينا يسكن الجانب الشرقي من بغداد وكانت له المصنفات العديدة المفيدة، ذكر عنه أنه صنف ثلاثمائة وثلاثين مصنفا ؛ من ذلك " التفسير " في ألف جزء، و " المسند " في ألف وخمسمائة جزء، و " التاريخ " في مائة وخمسين جزءا، و " الزهد " في مائة جزء. توفي وكانت وفاته في ذي الحجة منها، وقد قارب التسعين، رحمه الله تعالى.

الحافظ الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله، أبو الحسن الدارقطني

الحافظ الكبير، أستاذ هذه الصناعة في زمانه وقبلها بمدة وبعدها إلى زماننا هذا، سمع الكثير، وجمع وصنف، وألف وأجاد وأفاد، وأحسن النظر والتعليل، والانتقاء والاعتقاد، وكان فريد عصره، ونسيج وحده، وإمام أهل دهره في أسماء الرجال، وصناعة التعليل، والجرح والتعديل، وحسن التصنيف والتأليف، واتساع الرواية، والاطلاع التام في الدراية، له كتاب " السنن الكبير " المشهور، من أحسن المصنفات في

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ١٥٦/١٤

بابه، لم يسبق إلى مثله، ولا يلحق في شكله، إلا من استمد من بحره، وعمل كعمله، وله كتاب " العلل " بين فيه الصواب من." (١)

"وأربعمائة بعد ثلاث سنين. وأن غلمان الفاطميين اقتتلوا مع غلمان العباسيين فألقيت نار بدار الإمارة – وهي الخضراء – فاحترقت وتعدى حريقها إلى أن وصل إلى الجامع فسقطت سقوفه وزخرفته ورخامه وبقي كأنه خرابة وبادت الخضراء فصارت كوما من تراب، بعدما كانت في غاية الإحكام والإتقان وطيب الغناء وحسن البناء فهي إلى يومنا هذا لا يسكنها – لرداءة مكانها – إلا سفلة الناس وسقاطهم بعدما كانت دار الملك والإمارة منذ أسسها معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه. وأما الجامع فإنه لم يكن على وجه الأرض بناء أحسن منه، إلى أن احترق فبقي خرابا مدة طويلة ثم شرع الملوك في تجديده وترميمه حتى بلط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب، ولم يزل في تحسين معالمه إلى زماننا هذا فتماثل حاله بعض التماثل، وهو بالنسبة إلى حاله الأول كلا شيء، ولا زال التحسين فيه إلى أيام الأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله الناصري في حدود سنة ثلاثين وسبعمائة وما قبلها وما بعدها بيسير.
وفيها رخصت الأسعار ببغداد رخصا بينا. ونقصت دجلة نقصا ظاهرا. وفيها أخذ الملك ألب أرسلان العهد بالملك من بعده لولده ملكشاه ومشى بين يديه بالغاشية، والأمراء بين يديه يتماشون بالخلع، وكان يوما مشهودا.
وحج بالناس في هذه السنة نور الهدى أبو طالب الحسين بن نظام الحضرتين." (٢)

"مهجورة، ولم يزل كذلك حتى بلط أرضه في زمن العادل أبي بكر بن أيوب، بعد الستمائة سنة من الهجرة، وكان جميع ما سقط منه من الرخام وغيره من الأخشاب مودعا في المشاهد الأربعة، شرقية وغربية، حتى فرغها من ذلك القاضي كمال الدين الشهرزوري، في زمن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي حين ولاه نظره مع القضاء ونظر الأوقاف كلها، ونظر دار الضرب وغير ذلك، ولم تزل الملوك تجدد في محاسنه إلى زماننا هذا، فتقارب حاله في زمن الأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله الناصري نائب الشام أثابه الله تعالى. وقد أرخ الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في المنتظم هذا الحريق في سنة ثمان وخمسين وتبعه ابن الساعي في تاريخه والصواب أنه في هذه السنة كما ذكره ابن الساعي أيضا في هذه السنة وشيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي مؤرخ الإسلام في تاريخه وغير واحد والله أعلم.

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٤٥٩/١٥

(٢) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٨/١٦

وفيها نقمت الحنابلة على الشيخ أبي الوفا بن عقيل وهو من كبرائهم بتردده إلى أبي علي بن الوليد المتكلم المعتزلي واتهموه بالاعتزال، ولا شك أنه لم يكن يتردد إليه إلا ليحيط علما بمذهبه، ولكن سرقه الهوى وصارت فيه نزعة منه، وجرت بينه وبينهم فتنة طويلة وتأذى بسببها جماعة منهم، وما سكنت الفتنة إلى سنة خمس وستين ثم اصطلحوا فيما بينهم بعد اختصام كثير.

وفيها زادت دجلة على إحدى وعشرين ذراعا حتى دخلت مشهد أبي حنيفة ومشهد النذور. وفيها ورد الخبر بأن الأفشين دخل بلاد الروم حتى." (١)

"[ثم دخلت سنة خمسمائة من الهجرة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

قال أبو داود في سننه: حدثنا حجاج بن إبراهيم حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم»

حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا أبو المغيرة، حدثني صفوان، عن شريح بن عبيد، عن سعد بن أبي وقاص، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إني لأرجو أن لا يعجز أمتي عند ربها أن يؤخرها نصف يوم» قيل: لسعد: وكم نصف يوم؟ قال: خمسمائة سنة، وهذا من دلائل النبوة، وذكر هذه المدة لا ينفي زيادة عليها كما هو الواقع ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ذكر شيئا من أشراط الساعة لا بد من وقوعها كما أخبر سواء بسواء، وسيأتي ذكرها فيما بعد زماننا، وبالله المستعان.

ومما وقع في هذه السنة من الحوادث أن السلطان محمد بن ملكشاه حاصر قلاعا كثيرة من حصون الباطنية، فافتتح منها أماكن كثيرة، وقتل منهم خلقا كثيرا، وجمعا كبيرا، وجما غفيرا، وكان من جملة ما افتتح من ذلك قلعة حصينة؛ كان أبوه قد بناها بالقرب من أصبهان في رأس جبل منيع هناك، وكان سبب." (٢)

"محمود؟ من كان يحفظ البلاد قبلي؟ الله لا إله إلا هو. قال: فبكى من حضر.

وقد أسر بنفسه في بعض الغزوات بعض ملوك الفرنج فاستشار الأمراء فيه ؛ هل يقتله أو يأخذ ما يبذل له من المال في الفداء؟ فاختلفوا عليه ثم حسن في رأيه إطلاقه وأخذ الفداء، فحين جهز بعث الفداء،

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ١٦/١٩

(٢) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ١٦/١٩٤

مات ببلده فأعجب ذلك نور الدين وأصحابه، وابتنى نور الدين من ذلك المال البيمارستان الذي بني بدمشق، وهو أحسن مما بني من البيمارستانات بالبلاد، ومن شرطه أنه على الفقراء والمساكين وإذا لم يوجد بعض الأدوية التي يعز وجودها إلا فيه فلا يمنع منه الأغنياء، ومن جاء مستوصفا فلا يمنع من شرابه، ولهذا جاء إليه نور الدين وشرب من شرابه رحمه الله.

قلت: ويقول بعض الناس: إنه لم تخمد منه النار منذ بني إلى زماننا هذا، فالله أعلم.

وقد بنى الخانات في الطرق والأبراج، ورتب الخفراء في الأماكن المخوفة، وجعل فيها الحمام الهوادي التي تطالع الأخبار في أسرع مدة، وبنى الربط والخانقاهات، وكان يجمع الفقهاء عنده للبحث، والمشايخ والصوفية للزيارة، ويكرمهم ويعظمهم وقد نال بعض الأمراء عنده من بعض العلماء ؛ وهو قطب الدين النيسابوري، فقال له نور الدين: ويحك! إن كان ما تقول حقا فله من الحسنات الكثيرة ما ليس عندك مما يكفر عنه سيئات ما ذكرت إن كنت صادقا، على أني والله لا أصدقك، وإن عدت ذكرته أو أحدا غيره بسوء لأدبتك. قال: فكف عنه ولم يذكره بعد ذلك.." (١)

"وكان يقال له: بوق الجامع، لطيب صوته إذا قرأ على الشيخ أبي منصور الضرير المصدر، فيجتمع عليه الناس الكثير.

وفي ذي الحجة منها توجهت مراكب من عكا في البحر إلى ثغر دمياط وفيها ملك قبرس المسمى البال، لعنه الله، فدخل الثغر ليلا، وأغار على بعض البلاد، فقتل وسبى وغنم، وكر راجعا، فركب مراكبه، فلم يدركه الطلب. وقد تقدمت له سابقة بمثلها قبل هذه، وهذا شيء لم يتفق لغيره.

وفي هذه السنة عاثت الفرنج بنواحي القدس الشريف فبرز إليهم الملك المعظم في عساكره، وجلس الشيخ شمس الدين أبو المظفر بن قزغلي الحنفي، وهو سبط الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ابن ابنته رابعة، وهو صاحب " مرآة الزمان "، وكان فاضلا في فنون كثيرة، حسن الشكل، طيب الصوت، وكان يتكلم في الوعظ جيدا، وتحبه العامة على صيت جده، وقد رحل من بغداد، فنزل دمشق وأكرمه ملوكها، وولي التداريس الكبار بها، وكان يجلس كل يوم سبت عند باب مشهد علي زين العابدين إلى السارية التي يجلس عندها الوعاظ في زماننا هذا، فكان يكثر الجمع عنده حتى يكونوا من باب الناطفانيين إلى باب المشهد وإلى باب الساعات غير الوقوف، فحزر جمعه في بعض الأيام بثلاثين ألفا من الرجال والنساء،

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٤٨٦/١٦

وكان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع في الصيف ويتركون البساتين والفرح في ختمات وأذكار لتحصيل الأماكن بميعاده، فإذا فرغ من." (١)

"واحد منهم على قريب لأمير مكة قتادة الحسيني فقتله ظانا أنه قتادة، فثارت فتنة بين سودان مكة وركب العراق، ونهب الركب، وقتل منهم خلق كثير.

وفيها اشترى الملك الأشرف جوسق الريس من النيرب من ابن عمه الظافر خضر بن صلاح الدين، وبناه بناء حسنا، وهو المسمى في زماننا بالدهشة.

[من توفي فيها من الأعيان]

وفيها توفي من الأعيان:

الشيخ عماد الدين محمد بن يونس الفقيه الشافعي الموصلي، صاحب التصانيف والفنون الكثيرة، كان رئيس الشافعية بالموصل، وبعث رسولا إلى بغداد بعد موت نور الدين أرسلان، وكان عنده وسوسة كثيرة في الطهارة، وكان يعامل في الأموال بمسألة العينة - ولو عكس الأمر لكان خيرا له - فلقيه يوما قضيب البان الموله، فقال له: يا شيخ بلغني عنك أنك تغسل العضو من." (٢)

"[ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وستمائة]

[الأحداث الواقعة فيها]

وفيها عمر الأشرف مسجد جراح ظاهر باب الصغير.

وفيها قدم رسول الأنبرور ملك الفرنج إلى الأشرف ومعه هدايا؛ منها دب أبيض، شعره مثل شعر الأسد، ذكروا أنه ينزل إلى البحر، فيخرج السمك فيأكله، ومنها طاووس أبيض أيضا.

وفيها كملت عمارة القيسارية التي هي قبلي النحاسين، وحول إليها سوق الصاغة، وشغر سوق اللؤلؤ الذي كان فيه الصاغة العتيقة عند الحدادين.

وفيها جددت الدكاكين التي بالزيادة.

قلت: وقد جددت شرقي هذه الصاغة الجديدة قيساريتان في زماننا، وسكنها الصواغ وتجار الذهب والجوهر، وهما حسنتان، والجميع وقف الجامع المعمور.

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ١٨/١٧

(٢) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٢٨/١٧

وفيها كمل بناء المدرسة المستنصرية ببغداد، ولم تبن مدرسة قبلها مثلها، ووقفت على المذاهب الأربعة؛ من كل طائفة اثنان وستون فقيها، وأربعة معيدين، ومدرس لكل مذهب، وشيخ حديث، وقارئان، وعشرة مستمعين،." (١)

"عليه أن لا يدخل دمشق، ثم قدم الكامل من مصر، وانضاف إليه الناصر داود صاحب الكرك ونابلس والقدس، فحاصروا دمشق حصارا شديدا، وقد حصنها الصالح إسماعيل، وقطعت المياه، ورد الكامل ماء بردى إلى ثورا، وأحرقت العقيبة وقصر حجاج، فافتقر خلق كثير، واحترق آخرون، وجرت خطوب كثيرة، ثم آل الحال في آخر جمادى الأولى إلى أن سلم الصالح إسماعيل دمشق إلى أخيه الكامل، على أن له بعلبك وبصرى، وسكن الأمر، وكان الصلح بينهما على يدي القاضي محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، اتفق أنه كان بدمشق قد قدم في رسلية من جهة الخليفة إلى دمشق، فجزاه الله تعالى خيرا. ودخل الكامل دمشق، وأطلق الفلك بن المسيري من سجن الحيات بالقلعة الذي كان أودعه فيه الأشرف، ونقل الأشرف إلى تربته، وأمر الكامل في يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة أئمة الجامع أن لا يصلي أحد منهم المغرب سوى الإمام الكبير؛ لما كان يقع من التشويش والاختلاف بسبب اجتماعهم في وقت واحد، ولنعم ما فعل - رحمه الله تعالى - وقد فعل هذا في زماننا في صلاة التراويح، اجتمع الناس على قارئ واحد، وهو الإمام الكبير في المحراب المقدم عند المنبر، ولم يبق به إمام حينئذ سوى الذي بالحلبية عند مشهد علي، ولو ترك لكان حسنا. والله أعلم.

[ذكر وفاة الملك الكامل محمد بن العادل]

تملك الكامل مدة شهرين، ثم أخذته أمراض مختلفة، من ذلك." (٢)

"السلطنة والجيش والعامة. وفي نصف صفر ولي تدريس النورية الشيخ صدر الدين علي البصراوي الحنفي عوضا عن الشيخ ولي الدين السمرقندي، وإنما كان وليها ستة أيام، ودرس بها أربعة دروس بعد بني الصدر سليمان، توفي، وكان من كبار الصالحين، يصلي كل يوم مائة ركعة.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول جلس قاضي القضاة، وخطيب الخطباء: بدر الدين بن جماعة بالخانقاه السميساطية، شيخ الشيوخ بها عن طلب الصوفية له في ذلك، ورغبتهم فيه، وذلك بعد وفاة

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٢١٢/١٧

(٢) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٢٣٥/١٧

الشيخ يوسف بن حمويه الحموي، وفرحت الصوفية به، وجلسوا حوله، ولم تجتمع هذه المناصب قبله لغيره، ولا بلغنا أنها اجتمعت إلى أحد بعده إلى زماننا هذا: القضاء، والخطابة، ومشيخة الشيوخ.

وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الأول، قتل الفتح أحمد بن البققي بالديار المصرية، حكم فيه القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي بما ثبت عنده من تنقصه للشريعة المطهرة، واستهزائه بالآيات المحكمات، ومعارضة." (١)

"أنشأها قريبا من السلطانية التي أنشأها أبوه، وقد كان من خيار ملوك التتار، وأحسنهم طريقة، وأثبتهم على السنة، وأقومهم بها، وقد عز أهل السنة في زمانه، وذلت الرافضة - بخلاف دولة أبيه - ثم من بعده لم يقم للتتار قائمة، بل اختلفوا فتفرقوا شذر مذر إلى زماننا هذا، وكان القائم من بعده بالأمر أربا كاوون من ذرية أبغا، ولم يستمر له الأمر إلا قليلا.

وفي يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى درس بالناصرية الجوانية الشيخ نور الدين الأردبيلي عوضا عن كمال الدين بن الشيرازي، توفي، وحضر عنده القضاة، وفيه درس بالظاهرية البرانية الشيخ الإمام المقرئ سيف الدين أبو بكر الحريري عوضا عن نور الدين الأردبيلي؛ تركها لما حصلت له الناصرية الجوانية.

وبعده بيوم درس بالنجيبية كاتبه إسماعيل بن كثير عوضا عن الشيخ جمال الدين ابن قاضي الزبداني؛ تركها حين تعين له تدريس الظاهرية الجوانية، وحضر عنده القضاة والأعيان، وكان درسا حافلا أثنى عليه الحاضرون، وتعجبوا من جمعه وترتيبه، وكان ذلك في تفسير قوله تعالى: {إنما يخشى الله من عباده العلماء} [فاطر: ٢٨] . وانساق الكلام إلى مسألة ربا الفضل.

وفي يوم الأحد رابع عشره ذكر الدرس بالظاهرية المذكورة ابن قاضي الزبداني، عوضا عن علاء الدين بن القلانسي ؛ توفي، وحضر عنده القضاة والأعيان، وكان يوما مطيرا.." (٢)

"المنصوري، وبها توفي في بكرة السابع عشر من ذي الحجة عن أربع سنين، وترك مالا وأثاثا كثيرا ورثه بيت المال.

قلت: فهذا آخر ما أرخه شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في كتابه الذي ذيل به على " تاريخ الشيخ شهاب الدين أبي شامة "، وقد كانت وفاة البرزالي في العام القابل وهو محرم بمنزلة خليص، وقد ذيلت

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٦/١٨

(٢) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٣٨٣/١٨

على " تاريخه " رحمه الله إلى زماننا هذا، وكان فراغي من الانتقاء من تاريخه في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة من سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، أحسن الله خاتمتها، آمين.." (١)

"[ترجمة الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية]

وفي ليلة الخميس ثالث عشر رجب، وقت أذان العشاء توفي صاحبنا الإمام الشيخ العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، إمام الجوزية، وابن قيمها، وصلي عليه بعد صلاة الظهر من الغد بالجامع الأموي، ودفن عند والدته بمقابر الباب الصغير، رحمه الله. ولد في سنة إحدى وتسعين وستمائة، وسمع الحديث، واشتغل بالعلم، فبرع في علوم متعددة، لا سيما علم التفسير، والحديث والأصلين، ولما عاد الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الديار المصرية في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة لازمه إلى أن مات الشيخ، فأخذ عنه علما جما مع ما سلف له من الاشتغال، فصار فريدا في بابه في فنون كثيرة، مع كثرة الطلب ليلا ونهارا، وكثرة الصلاة والابتهال، وكان حسن القراءة والخلق، كثير التودد، لا يحسد أحدا، ولا يؤذيه، ولا يستعيبه، ولا يحقد على أحد، وكنت من أصحب الناس له، وأحب الناس إليه، ولا أعرف من أهل العلم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جدا، ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع،." (٢)

"التي كان يتولد بسببها شرور كثيرة بالبلد، ولا سيما بالجامع الأموي، وكان ذلك بمرسوم السلطان الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون – خلد الله سلطانه، وشيد أركانه – وكان الساعي في ذلك بالديار المصرية الأمير حسام الدين أبو بكر بن النجيبي – بيض الله وجهه – وقد كان مقيما في هذا الحين بالديار المصرية، وقد كنت رأيت عنده فتيا عليها خط الشيخ تقي الدين ابن تيمية، والشيخ كمال الدين بن الزملكاني، وغيرهما في إبطال هذه البدعة، فأنفذ الله ذلك، ولله الحمد والمنة، وقد كانت هذه البدعة قد استقرت بين أظهر الناس من نحو سنة خمسين وأربعمائة، وإلى زماننا هذا، وكم سعى فيها من فقيه، وقاض، ومفت، وعالم، وعابد، وأمير، وزاهد، ونائب سلطنة، وغيرهم، ولم ييسر الله ذلك إلا في عامنا هذا، والمسئول من الله تعالى إطالة عمر هذا السلطان؛ ليعلم الجهلة الذين استقر في أذهانهم من انه إذا أبطل هذا الوقيد في عام يموت سلطان الوقت، وكان هذا لا حقيقة له، ولا دليل عليه إلا مجرد الوهم والخيال.

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٤٠٨/١٨

(٢) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٥٢٣/١٨

وفي مستهل شهر رمضان اتفق أمر غريب لم يتفق مثله من مدة متطاولة – فيما يتعلق بالفقهاء والمدارس – وهو أنه كان قد توفي ابن الناصح الحنبلي بالصالحية، وكان بيده نصف الصاحبية التي للحنابلة بالصالحية، والنصف الآخر للشيخ شرف الدين ابن القاضي شرف الدين الحنبلي شيخ الحنابلة بدمشق،." (١)

"[كتاب الفتن والملاحم وأشراط الساعة والأمور العظام يوم القيامة]

[مقدمة المصنف]

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يسر وأعن.

قال الشيخ الإمام العالم العلامة أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير، رحمه الله تعالى: هذا كتاب الفتن والملاحم الواقعة في آخر الزمان مما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر أشراط الساعة والأمور العظام التي تكون قبل يوم القيامة، مما يجب الإيمان بها. الصادق المصدوق قد أخبر بها، وهو لا ينطق عن الهوى.

وقد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا إخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيوب الماضية، وبسطناه في بدء الخلق، وقصص الأنبياء، وأيام الناس إلى زماننا، وأتبعنا ذلك بذكر سيرته صلى الله عليه وسلم وأيامه، وذكر شمائله ودلائل نبوته، وذكرنا فيها ما أخبر به من الغيوب التي وقعت بعده صلى الله عليه وسلم طبق إخباره، كما شوهد ذلك عيانا قبل زماننا هذا، وقد أوردنا جملة ذلك في آخر كتاب دلائل النبوة من سيرته، وذكرنا عند كل زمان ما ورد فيه من الحديث الخاص به عند ذكر حوادث الزمان، ووفيات الأعيان، كما بسطنا في كل سنة ما حدث فيها من الأمور الغريبة، وترجمنا من توفي فيها من مشاهير الناس؛ من الصحابة والخلفاء، والملوك والوزراء والأمراء، والفقهاء والصلحاء، والشعراء والنحاة والأدباء، والمتكلمين ذوي الآراء، وغيرهم من النبلاء، ولو أعدنا الأحاديث المذكورة." (٢)

"وأستاذ المؤرخين في أوانه – أن في سنة أربع وخمسين وستمائة في يوم الجمعة خامس جمادى الآخرة منها ظهرت نار بأرض الحجاز في أرض المدينة النبوية، في بعض تلك الأودية، طول أربعة فراسخ وعرض أربعة أميال، تسيل الصخر، حتى يبقى مثل الآنك، ثم يصير مثل الفحم الأسود، وأن الناس كانوا يسيرون

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٥٢٥/١٨

(٢) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٣/١٩

على ضوئها بالليل إلى تيماء، وأنها استمرت شهرا، وقد ضبط ذلك أهل المدينة، وعملوا فيها أشعارا، وقد ذكرناها فيما تقدم.

وأخبرني قاضي القضاة صدر الدين علي بن أبي القاسم الحنفي، قاضيهم بدمشق، عن والده الشيخ صفي الدين مدرس الحنفية ببصرى، أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة تلك الليلة، ممن كان بحاضرة بلد بصرى، أنهم شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز، وقد تقدم بسط ذلك سنة أربع وخمسين وستمائة بما فيه كفاية عن إعادته هنا.

[ذكر إخباره صلى الله عليه وسلم بالغيوب المستقبلة بعد زماننا هذا]

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عاصم، حدثنا عزرة بن ثابت، حدثنا علباء بن أحمر اليشكري، حدثنا أبو زيد الأنصاري، قال: «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، ثم نزل." (١)

"[ذكر شرور تحدث في هذه الأمة في آخر الزمان]

وإن كان قد وجد بعضها في زماننا أيضا

قال ابن ماجه في كتاب الفتن من " سننه ": حدثنا محمود بن خالد الدمشقي، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب، عن ابن أبي مالك، عن أبيه، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عمر، قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " «يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله، إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم» ". تفرد به ابن ماجه، وفيه غرابة.

وقال الترمذي: حدثنا صالح بن عبد الله، حدثنا الفرج بن فضالة أبو فضالة الشامي، عن يحي بن سعيد، عن محمد بن عمر بن علي، عن." (٢)

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٢٨/١٩

(٢) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٤٦/١٩

"فقلت: من هذا؟ قالوا: ابن مريم. فذهبت ألتفت، فإذا رجل أحمر جسيم، جعد الرأس، أعور عينه اليمنى، كأن عينه عنبة طافية. قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال، وأقرب الناس به شبها ابن قطن» ".

قال الزهري: رجل من خزاعة هلك في الجاهلية.

وتقدم في حديث النواس بن سمعان: " «فينزل عند المنارة البيضاء، شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ، ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه» ".

هذا هو الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقد رأيت في بعض الكتب: أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق. فلعل هذا هو المحفوظ، وتكون الرواية: " فينزل على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق " فتصرف الراوي في التعبير بحسب ما فهم، وليس في دمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى جانب الجامع الأموي بدمشق من شرقيه، وهذا هو الأنسب والأليق؛ لأنه ينزل، وقد أقيمت الصلاة، فيقول له إمام المسلمين: " يا روح الله تقدم ". فيقول: " تقدم أنت، فإنها إنما أقيمت لك ". وفي رواية: " «بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة» ".

وقد جدد بناء منارة في زماننا في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، من حجارة بيض، من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التي كانت مكانها، ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة، حيث قبض الله بناء هذه المنارة البيضاء من أموال." (١)

""""""" صفحة رقم ٣ """""""

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وبعد ؛ فهذا كتاب الفتن والملاحم في آخر الزمان مما أخبر به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذكر أشراط الساعة والأمور العظام التي تكون قبل يوم القيامة مما يجب الإيمان به لإخبار الصادق المصدوق عنها الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

رحمة الله عز وجل بأمة محمد عليه الصلاة والسلام

قال أبو داود ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا كثير بن هشام ، حدثنا المسعودي عن سعيد بن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " أمتي هذه أمة مرحومة

---

(١) البداية والنهاية ط هجرابن كثير ٢٢٩/١٩

ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل " وقد ذكرنا فيما تقدم إخباره (صلى الله عليه وسلم) عن الغيوب الماضية وبسطناه في بدء الخلق وقصص الأنبياء وأيام الناس إلى زمانه وأتبعنا ذلك بذكر سيرته عليه الصلاة والسلام وأيامه وذكرنا شمائله ودلائل نبوته وأردفناها بما أخبر به عن الغيوب التي وقعت بعده (صلى الله عليه وسلم) ، وقد طابق ذلك إخباره كما شوهد ذلك عيانا قبل زماننا هذا ، وقد أوردنا جملة في آخر كتاب دلائل النبوة من سيرته (صلى الله عليه وسلم) وذكرنا عند كل زمان ما ورد فيه من الحديث الخاص به عند ذكرنا حوادث ووفيات الأعيان كما بسطنا في كل سنة ما حدث للخلفاء والوزراء والأمراء والفقهاء والصلحاء والشعراء والتجار والأدباء والمتكلمين ذوي الآراء وغيرهم من النبلاء ، ولو أعدنا ذكر الأحاديث المتقدمة هاهنا مبسوطا لطال ذلك ، ولكن نشير إلى ذلك إشارة لطيفة ثم نعود إلى ما قصدنا إليه هاهنا وبالله المستعان .." (١)

""""""" صفحة رقم ١١ """"""

ذكر الخبر الوارد في ظهور نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى من أرض الشام

قال البخاري : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب عن الزهري قال : قال سعيد بن المسيب أخبرني أبو هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى)

ورواه مسلم من حديث الليث عن عقيل عن ابن شهاب .

ظهور النار في المدينة واستمرارها شهرا عام ٦٥٤ للهجرة

وقد ذكر الشيخ شهاب الدين أبو شامة ، وكان شيخ المحدثين في زمانه وأستاذ المؤرخين في أوانه أنه في سنة أربع وخمسين وستمائة في يوم الجمعة خامس جمادى الآخرة ظهرت نار بأرض المدينة النبوية في بعض تلك الأودية طول أربعة فراسخ وعرض أربعة أميال تسيل الصخر حتى يبقى مثل الآنك ، ثم يصير كالفحم الأسود وإن ضوءها كان الناس يسيرون عليه بالليل إلى تيماء وأنها استمرت شهرا ، وقد ضبط ذلك أهل المدينة وعملوا فيها أشعارا ، وقد ذكرناها فيما تقدم . وأخبرني قاضي القضاة صدر الدين علي بن القاسم الحنفي قاضيهم بدمشق عن والده الشيخ صفي الدين مدرس الحنفية ببصرى أنه أخبره واحد من الأعراب صبيحة تلك الليلة ممن كان بحاضرة بلد بصرى أنهم شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم – العلميةابن كثير ٣/١

من أرض الحجاز .

ذكر إخباره صلى الله عليه وسلم بالغيوب المستقبلة بعد زماننا هذا

قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا أبو عاصم ، حدثنا عروة عن ثابت ، حدثنا عليان بن أحمد البكري ، حدثنا أبو زيد الأنصاري قال : (صلى بنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صلاة الصبح ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ثم نزل فصلى العصر ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان وما هو كائن فأعلمنا أحفظنا) . وقد رواه مسلم منفردا في كتاب الفتن من صحيحه عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، وحجاج بن الشاعر عن أبي عاصم الضحاك بن مخلد النبيل عن عروة عن علي عن أبي يزيد وهو عمرو بن أخطب بن رفاعة الأنصاري .

إشارات نبوية إلى الأحداث الماضية والمستقبلة حتى قيام الساعة

وقال البخاري في كتاب بدء الخلق من صحيحه ، وروى عن عيسى بن موسى عنجار عن رقية عن." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٩ """"""

تدفع عنهم دخول النار بالكلية ويكون فرضهم القول المجرد لعدم تكليفهم بالأفعال التي لم يخاطبوا بها والله تعالى أعلم ، ويحتمل أن يكون المعنى أنها تنجيهم من النار بعد دخولها ، وعلى هذا فيحتمل أن يكونوا من المراد بقوله تعالى في الحديث القدسي .

(وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال يوما من الدهرلا إله إلا الله) .

كما سيأتي بيانه في مقامات الشفاعة ، ويحتمل أن يكون أولئك قوما آخرين والله أعلم ، والمقصود أن العلم يرفع في آخر الزمان ويكثر الجهل ، وفي هذا الحديث إخبار بأنه ينزل الجهل أي يلهم أهل ذلك الزمان الجهل وذلك من الخذلان نعوذ بالله منه ، ثم لا يزالون كذلك في تزايد من الجهالة والضلالة إلى أن تنتهي الحياة الدنيا كما جاء في الحديث ما أخبر به الصادق المصدوق في قوله : (لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله ولا تقوم إلا على شرار الناس) .

ذكر شرور تحدث في آخر الزمان وإن كان قد وجد بعضها في زماننا أيضا

إشارة نبوية إلى بعض شرور ستكون

قال أبو عبد الله بن ماجة رحمه الله في كتاب الفتن من سننه ، حدثنا محمود بن خالد الدمشقي ، حدثنا

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم – العلميةابن كثير ١١/١

سليمان بن عبد الرحمن أبي أيوب ، عن ابن مالك ، عن أبيه ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله بن عمر قال : أقبل علينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : ذكر شرور تحدث في آخر الزمان وإن كان قد وجد بعضها في زماننا أيضا .

(يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا آلقطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله وسخروا بما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم .)

تفرد به ابن ماجه وفيه غرابة ، وقال الترمذي : حدثنا صالح بن عبد الله ، حدثنا الفرج بن فضالة الشامي ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل فيها البلاء قيل وما هي يا رسول الله ؟ قال إذا كان المغنم دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات." (١)

""""""" صفحة رقم ٩٨ """"""

واضعا يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : (المسيح الدجال) . تابعه عبيد الله ، عن نافع .

ثم روى البخاري ، عن أحمد بن محمد المكي ، عن إبراهيم بن سعد ، عن الزهري ، عن سالم

عن أبيه قال : لا والله ما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعيسى أحمر ، ولكن قال : (بينما أنا نائم أطوف بالكعبة وإذا رجل آدم سبط الشعر يهود بين رجلين ينطف رأسه ماء أو يهرق ماء فقلت : من هذا ؟ قالوا : هذا المسيح ابن مريم ، فذهبت ألتفت فإذا رجل أحمرجسيم جعد الرأس ؟ أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية ؟ قلت : من هذا ؟ قالوا : الدجال : وأقرب الناس به شبها ابن قطن قال الزهري : ابن قطن رجل من خزاعة هلك في الجاهلية وتقدم في حديث النواس بن سمعان (فينزل عند

(١) النهاية في الفتن والملاحم – العلميةابن كثير ١٩/١

المنارة البيضاء شرقي دمشق في مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين ؟ إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ ، ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ؟ ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه)
.

هذا هو الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق ؟ وقد رأيت في بعض الكتب أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق فلعل هذا هو المحفوظ ، وتكون الرواية فينزل على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق فتصرف الراوي في التعبير بحسب ما فهم ، وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى شرق الجامع الأموي ، وهذا هو الأنسب والأليق ، لأنه ينزل وقد أقيمت الصلاة فيقول له : يا إمام المسلمين ، يا روح الله ، تقدم ، فيقول : تقدم أنت فإنها أقيمت لك ، وفي رواية بعضكم على بعض أمراء ، يكرم الله هذه الأمة ، وقد جدد بناء المنارة في زماننا في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من حجارة بيض ، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التي كانت مكانها ، ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة حيث قيض الله بناء هذه المنارة البيضاء من أموال النصارى حتى ينزل عيسى ابن مريم عليها فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ولا يقبل منهم جزية ، ولكن من أسلم قبل من إسلامه وإلا قتل ، وكذلك حكم سائر كفار الأرض يومئذ ، وهذا من باب الإخبار عن المسيح بذلك ، والتشريع له بذلك فإنه إنما يحكم بمقتضى هذه الشريعة المطهرة ، وقد ورد في بعض الأحاديث كما تقدم أنه ينزل ببيت المقدس ، وفي رواية بالأردن ، وفي رواية بعسكر المسلمين وهذا في بعض روايات مسلم كما تقدم والله أعلم .

وتقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة : (وإنه نازل ؟ فإذا رأيتموه فاعرفوه ؟ رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ؟ عليه ثوبان ممصران ؟ كأن رأسه يقطر ؟ وإن لم يصبه بلل فيدق الصليب ؟ ويقتل الخنزيرة ويضع الجزية ، ويدعو الناس إلى الإسلام ، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ؟ ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ؟ ثم تقع الأمنة على الأرض حتى يرتع الأسد مع الإبل ؟ والنمور مع البقر ؟ والذئاب مع الغنم ويلعب الصبي بالحيات لا تضره ، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون) .." (١)

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم – العلميةابن كثير ١/٩٨

"وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (فأتوا بسورة) من مثل ما جاء به إن زعمتم أنه من عند غير الله فعارضوه بمثل ما جاء به واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله فإنكم لا تستطيعون ذلك. قال ابن عباس: شهداءكم أعوانكم، وقال السدي عن أبي مالك: شركاءكم، أي قوما آخرين يساعدونكم على ذلك، أي استعينوا بآلهتكم في ذلك يمدونكم وينصرونكم، وقال مجاهد: وادعوا شهداءكم قال: ناس يشهدون به يعني حكام الفصحاء. وقد تحداهم الله تعالى بهذا في غير موضع من القرآن فقال في سورة القصص قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين [القصص: ٤٩] وقال في سورة سبحان قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا [الإسراء: ٨٨] وقال في سورة هود: أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين [هود: ١٣] وقال في سورة يونس: وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين. أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين [يونس: ٣٧- ٣٨] وكل هذه الآيات مكية، ثم تحداهم بذلك أيضا في المدينة فقال في هذه الآية وإن كنتم في ريب- أي شك- مما نزلنا على عبدنا- يعني محمدا صلى الله عليه وسلم- فأتوا بسورة مثله يعني من مثل القرآن، قاله مجاهد وقتادة واختاره ابن جرير والزمخشري والرازي، ونقله عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن البصري، وأكثر المحققين، ورجح ذلك بوجوه من أحسنها أنه تحداهم كلهم متفرقين ومجتمعين سواء في ذلك أميهم وكتابيهم وذلك أكمل من التحدي وأشمل من أن يتحدى آحادهم الأميين ممن لا يكتب ولا يعاني شيئا من العلوم وبدليل قوله تعالى: فأتوا بعشر سور مثله [هود: ١٣] وقوله لا يأتون بمثله [الإسراء: ٨٨] وقال بعضهم: من مثل محمد صلى الله عليه وسلم، يعني من رجل أمي مثله، والصحيح الأول، لأن التحدي عام لهم كلهم مع أنهم أفصح الأمم، وقد تحداهم بهذا في مكة والمدينة مرات عديدة مع شدة عداوتهم له وبغضهم لدينه، ومع هذا عجزوا عن ذلك ولهذا قال تعالى: فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ولن لنفي التأبيد في المستقبل أي: ولن تفعلوا ذلك أبدا وهذه أيضا معجزة أخرى، وهو أنه أخبر خبرا جازما قاطعا مقدما غير خائف ولا مشفق أن هذا القرآن لا يعارض بمثله أبد الآبدين ودهر الداهرين وكذلك وقع الأمر لم يعارض من لدنه إلى زماننا هذا ولا يمكن، وأنى يتأتى ذلك لأحد والقرآن كلام الله خالق كل شيء، وكيف يشبه كلام الخالق كلام المخلوقين.

ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونا ظاهرة وخفية من حيث اللفظ ومن جهة المعنى، قال

الله تعالى: الر. كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير [هود: ١] فأحكمت ألفاظه وفصلت معانيه، أو بالعكس على الخلاف فكل من لفظه ومعناه فصيح." (١)

"[الغاشية: ٥] أي حارة، كما قال تعالى: وبين حميم آن [الرحمن: ٤٤] وساءت مرتفقا أي وساءت النار منزلا ومقيلا ومجتمعا وموضعا للارتفاق، كما قال في الآية الأخرى إنها ساءت مستقرا ومقاما [الفرقان: ٦٦] .

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ٣٠ الى ٣١]

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا (٣٠) أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا (٣١)

لما ذكر تعالى حال الأشقياء، ثنى بذكر السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين فيما جاءوا به، وعملوا بما أمروهم به من الأعمال الصالحة، فلهم جنات عدن، والعدن: الإقامة، تجري من تحتهم الأنهار أي من تحت غرفهم ومنازلهم، قال فرعون وهذه الأنهار تجري من تحتي [الزخرف: ٥١] الآية، يحلون أي من الحلية فيها من أساور من ذهب وقال في المكان الآخر ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير [فاطر: ٣٣] وفصله هاهنا، فقال ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق فالسندس ثياب رفاع رقاق كالقمصان وما جرى مجراها. وأما الإستبرق فغليظ الديباج وفيه بريق.

وقوله: متكئين فيها على الأرائك الاتكاء قيل الاضطجاع، وقيل التربع في الجلوس وهو أشبه بالمراد هاهنا، ومنه الحديث الصحيح «أما أنا فلا آكل متكئا» «١» ، فيه القولان:

والأرائك جمع أريكة، وهي السرير تحت الحجلة، والحجلة كما يعرفه الناس في زماننا هذا بالباشخاناه، والله أعلم. قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن قتادة على الأرائك قال: هي الحجال، قال معمر وقال غيره: السرر في الحجال.

وقوله: نعم الثواب وحسنت مرتفقا أي نعمت الجنة ثوابا على أعمالهم وحسنت مرتفقا، أي حسنت منزلا ومقيلا ومقاما، كما قال في النار بئس الشراب وساءت مرتفقا وهكذا قابل بينهما في سورة الفرقان في قوله: إنها ساءت مستقرا ومقاما [الفرقان: ٦٦] ، ثم ذكر صفات المؤمنين، فقال أولئك يجزون الغرفة بما

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلميةابن كثير ١٠٨/١

صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما [الفرقان: ٧٥- ٧٦] .

(١) أخرجه البخاري في الأطعمة باب ١٣، وأبو داود في الأطعمة باب ١٦، والترمذي في الأطعمة باب ٢٨، وابن ماجة في الأطعمة باب ٦، والدارمي في الأطعمة باب ٣١، وأحمد في المسند ٤/ ٣٠٨، ٣٠٩." (١)

"يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء أي أخبر سليمان بنعم الله عليه فيما وهبه له من الملك التام والتمكين العظيم، حتى إنه سخر له الإنس والجن والطير، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضا، وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله به ورسوله، ومن زعم من الجهلة والرعاع أن الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود، كما قد يتفوه به كثير من الناس، فهو قول بلا علم، ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة، إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم، ويعرف ما تقول، وليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا، بل لم تزل البهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خلقت إلى زماننا هذا على هذا الشكل والمنوال. ولكن الله سبحانه كان قد أفهم سليمان ما يتخاطب به الطيور في الهواء، وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها، ولهذا قال تعالى: علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء أي مما يحتاج إليه الملك إن هذا لهو الفضل المبين أي الظاهر البين لله علينا.

قال الإمام أحمد «١» : حدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة، فكان إذا خرج أغلقت الأبواب، فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع- قال- فخرج ذات يوم وأغلقت الأبواب، فأقبلت امرأة تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة؟ والله لنفتضحن بداود، فجاء داود عليه السلام فإذا الرجل قائم وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ فقال: الذي لا يهاب الملوك ولا يمتنع من الحجاب، فقال داود: أنت إذا والله ملك الموت مرحبا بأمر الله، فتزمل داود مكانه حتى قبضت نفسه حتى فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس، فقال سليمان عليه السلام للطير: أظلي على داود، فظللت عليه الطير حتى أظلمت عليه

(١) تفسير ابن كثير ط العلميةابن كثير ١٤١/٥

الأرض، فقال لها سليمان:
اقبضي جناحا جناحا» قال أبو هريرة: يا رسول الله كيف فعلت الطير؟ فقبض رسول الله يده وغلبت عليه يومئذ المضرحية. قال أبو الفرج بن الجوزي: المضرحية هن النسور الحمراء.
وقوله تعالى: وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون أي وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير، يعني ركب فيهم في أبهة وعظمة كبيرة في الإنس وكانوا هم الذين يلونه، والجن وهم بعدهم في المنزلة، والطير ومنزلتها فوق رأسه، فإن كان حر أظلته منه بأجنحتها. وقوله: فهم يوزعون أي يكف أولهم على آخرهم لئلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له. قال مجاهد: جعل على كل صنف وزعة يردون أولاها على أخراها لئلا يتقدموا في المسير كما يفعل الملوك اليوم.

---

(١) المسند ٢/ ٤١٩، ولفظه: المصرحية بدل المضرحية.." (١)

"الأدعياء، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة رضي الله عنه، فكان يقول له زيد بن محمد، فلما قطع الله تعالى هذه النسبة بقوله تعالى: وما جعل أدعياءكم أبناءكم- إلى قوله تعالى- ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله [الأحزاب: ٤- ٥] ثم زاد ذلك بيانا وتأكيدا بوقوع تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش رضي الله عنها، لما طلقها زيد بن حارثة رضي الله عنه، ولهذا قال تعالى في آية التحريم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم [النساء: ٢٣] ليحترز من الابن الدعي، فإن ذلك كان كثيرا فيهم. وقوله تعالى:
وكان أمر الله مفعولا أي وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله تعالى وحتمه وهو كائن لا محالة، كانت زينب رضي الله عنها في علم الله ستصير من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٣٨]
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (٣٨)
يقول تعالى: ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له أي فيما أحل له وأمره به من تزويج زينب رضي الله عنها التي طلقها دعيه زيد بن حارثة رضي الله عنه. وقوله تعالى:

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلميةابن كثير ٦/١٦٥

سنة الله في الذين خلوا من قبل أي هذا حكم الله تعالى في الأنبياء قبله لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج، وهذا رد على من توهم من المنافقين نقصا في تزويجه امرأة زيد مولاه ودعيه الذي كان قد تبناه وكان أمر الله قدرا مقدورا أي وكان أمره الذي يقدره كائنا لا محالة وواقعا لا محيد عنه ولا معدل، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٣٩ الى ٤٠]

الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا (٣٩) ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (٤٠)

يمدح تبارك وتعالى الذين يبلغون رسالات الله أي إلى خلقه ويؤدونها بأماناتها ويخشونه أي يخافونه ولا يخافون أحدا سواه، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله تعالى وكفى بالله حسيبا أي وكفى بالله ناصرا ومعينا، وسيد الناس في هذا المقام بل وفي كل مقام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب إلى جميع أنواع بني آدم، وأظهر الله تعالى كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع، فإنه قد كان النبي قبله إنما يبعث إلى قومه خاصة، وأما هو صلى الله عليه وسلم فإنه بعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا [الأعراف: ١٥٨] ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده، فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه رضي الله عنهم، بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في ليله ونهاره، وحضره وسفره، وسره وعلانيته، فرضي الله عنهم وأرضاهم ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهتدون، وعلى منهجهم يسلك الموفقون، فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم.." (١)

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو عمر الدوري، حدثني أبو إسماعيل المؤدب عن عبد الله بن مسلم بن هرمز عن أبي حزرة عن عروة بن الزبير قال: اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه ود ويغوث وسواع ونسر قال وكان ود أكبرهم وأبرهم به وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا يعقوب عن أبي المطهر قال: ذكروا عند أبي جعفر وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب، قال: فلما انفتل من صلاته قال: ذكرتم يزيد بن المهلب أما إنه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله، قال: ثم ذكروا رجلا مسلما وكان محببا في قومه فلما مات اعتكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه، فلما

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلميةابن كثير ٦/٣٨٠

رأى إبليس جزعهم عليه تشبه في صورة إنسان، ثم قال إني أرى جزعكم على هذا الرجل فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه؟ قالوا نعم، فصور لهم مثله، قال: ووضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه، فلما رأى ما بهم من ذكره قال: هل لكم أن أجعل في منزل كل رجل منكم تمثالا مثله فيكون له في بيته فتذكرونه؟ قالوا: نعم، قال: فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به، قال: وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به، قال: وتناسلوا ودرس أمر ذكرهم إياه حتى اتخذوه إلها يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم، فكان أول ما عبد من دون الله: الصنم الذي سموه ودا.

وقوله تعالى: وقد أضلوا كثيرا يعني الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقا كثيرا، فإنه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم، وقد قال الخليل عليه السلام في دعائه واجنبني وبني أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس [إبراهيم: ٣٥- ٣٦] وقوله تعالى: ولا تزد الظالمين إلا ضلالا دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم كما دعا موسى على فرعون وملئه في قوله: ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم [يونس: ٨٨] وقد (١)

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلميةابن كثير ٨/٢٤٩